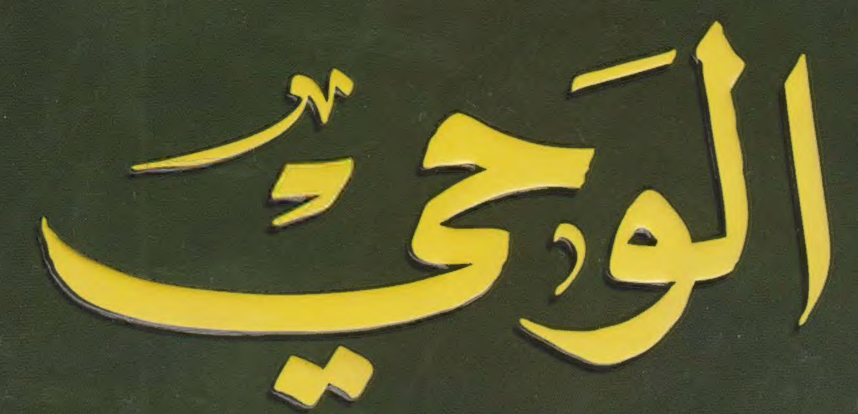
السيد فهمي نور الدين العاملي



في الأديان الثلاثة

الإسلام واليهودية والمسيحية



دار المحجة البيضاء

الوحي

في الأديان الثلاثة

الإسلام واليهودية والمسيحية



الوحي

في الأديان الثلاثة

الإسلام واليهودية والمسيحية

تأليف

السيد فهمي نور الدين العاملي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م





الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

شكر وثناء

﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل : ٧٨)

وبعد:

فالحمد لله الذي خلقني فسوّني وعلّمني فهداني الذي لا يبلغ ثناءه مدح المادحين ولا جوده وكرمه وعطاءه شكر الشّاكرين.

«اللّهمَّ إنّ أحداً لا يبلغ من شُكركَ غايةً، إلاّ حصل عليه من إحسانك ما يُلزمه شُكراً، ويبلُغ مبلغاً من طاعتك وإن اجتهد إلاّ كان مقصِّراً دون استحقاقك بفضلك، فأشْكَرُ عِبادك عاجز عن شُكرك وأعبدَهم مقصّر عن طاعتك»

فكيف بنا نحن الّذين شغلتنا الدُّنيا وما فيها من الشّهوات واللّذات والإغراءات عن طاعة الله وشكره، ولكنّ أملنا وطمعنا بسعة رحمتك كبير جداً كما جاء على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام:

١)- ذنوبي إنْ فكرت فيهـا كثيـرة ورحمة ربّي مـن ذنـوبي أوسـعُ

٢)- فما طمعي في صالحٍ قد عملته ولكنّنـي فـي رحمـة الله أطمـعُ

٣)- فإن يكُ غفران فذاك برحمـة وإن لم يكنْ أُجزى ما كنت أصنعُ

٤)- مليكي ومولائي وربِّي وحافظي وإنّـي لــه عَبـدٌ أقـرٌّ وأخـضعُ

فشكراً لك يا ربّ العزّة والجلال على منّك وعطائك وجودك وكرمك في جميع الأمور وبالأخصٍّ على توفيقك لي وعونك إيايّ في كتابة هذه الرِّسالة راجياً من المولى عزّ وجلّ القبول والرِّضا.

الاهداء

إلى قبلة العالم وناموس الحقيقة وسرِّ الخليقة

إلى ابن النبيّ المصطفى وعليٍّ المرتضى وابن فاطمة الزَّهراء

إلى الحجّة ابن الحسن

إلى المهدي المنتظر من آل محمّد الَّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً

إلى الذي يرى الخلق ولا يُرى ولا يُسمع لـه فيها حسيسٌ ولا نجوى

إلى الذي لم يتخّذ بعد بيت الأحزان بيت سُرورِ

لا تراني اتخذت لا وعلاها *** بعد بيت الأحزان بيت سُرُورِ

إلى منقذ البشريَّة ورافع رايات الهدى بنوّابه العلماء وجُنده الشُّهداء الّذين صبغوا الأرض بدمهم الأحمر القاني حبّاً لله ونصرة لدينه وتأسيّاً بأوليائه من أهل بيته.

أهدي هذا السِّفر القليل والجُهد اليسير راجياً من الله عزّ وجلّ القبول والرّضى

مقدمة المؤلف

إنّ مسألة الوحي من المسائل الأساسيّة والمهمّة عند جميع الأديان، وذلك لأنّ الوحي يشكّل اللّبنة الأولى، والرُكن الأساس الذي تبتني عليه جميع الأديان، إذْ مع إنكار فكرة الإيحاء من ربّ العزّة والجلال إلى الأنبياء والرُّسل والبشر لا يمكن لنا إثبات أيّ دين سماوي، ومن هنا فإنّ كثيراً من بني البّشر ذهبوا إلى اعتناق العديد من الأديان الوضعية، لأنّهم أنكروا فكرة الوحي وما تُمثّل من إرتباط روحي لبعض الأفراد من بني البَّشر بعالم ما وراء الطَّبيعة والمادّة، ومن هنا فانّ بحثنا في هذا الكتاب المكوّن من فصول أربعة وخاتمة حول مسألة الوحي سنتعرّض فيه لمسيرة الوحي ابتداءاً بتحديد مفهومه لغة واصطلاحاً في الدّيانات الثلاث وهذا ما تكفّل بتحديده الفصل الأول، ثمّ التعرّض في فصله الثاني لإثبات إمكان الوحي عقلاً مع إثبات حاجة البشر إليه وأنّه لا يمكنهم الإستغناء عنه لأنّهم بأمسّ الحاجة إليه لقصورهم العقلي والحسي عن إدراك كلٍّ ما يحتاجونه في سبيل الوصول إلى هدفهم المنشود والفوز بسعادة الدّارين الدنيا والآخرة ثمّ إثبات وقوعه وتحققه خارجاً لبعض الأفراد الخاصّين من بني البشر الّذين يتميّزون ببعض المؤهّلات الخاصّة مستعرضين بعد ذلك في فصله الثالث الذي هو من أهمّ فصولـه بل هو مفخرته، الطُّرق الّتي خـاطب الله تعالى من خلالها البشر من أنبياء ورسل وغيرهم مع إثباتها بجميع أنواعها

وأقسامها وأنحائها وصورها إلاّ القليل منها عند جميع الأديان الثلاثة وانتهاءاً بإثبات عصمته وتدوينه الذي يُمثّل خاتمة تلك المسيرة وهذا ما تكفّل الفصل الرابع بإثباته. سائلاً المولى عزّ وجل التوفيق والعون والرضا.

والحمد لله رب العالمين



بحوث تمهيديِّة

١) أهميّة البحث

٢) الهدف من البحث

٣) سوابق البحث

٤) منهج البحث

٥) تمهيد حول المصادر الاساسية للديانات الثلاث

مقدمة

إن موضوع كتابي هذا هو الوحي في الدِّيانات الثلاث (الاسلام واليهودية والمسيحية) وطبقاً للمعمول به بشرح جميع مفردات هذا العنوان فنقول:

إن الوحي في اللغة عبارة عن الإعلام الخفي.

وأمَّا في الإصطلاح فهو عند المسلمين إعلام خفي أيضاً ولكن للأنبياء والرُّسل بنحوٍ يكون خفياً عن غيرهم، وعند اليهود والنّصاري هو عبارة عن إعلان الله عن ذاته وإرادته.

والدِّيانات جمع دين وهو ما يدين به الانسان.

والاسلام لغة عبارة عن الانقياد والطاعة.

وأمَّا في الاصطلاح الخاص: فهو عبارة عن تلك الدِّيانة التي نزلت على سيدنا ونبينا محمد ﷺ ويدين بها المسلمون وكتابها القرآن الكريم الذي هو آخر الكتب السَّماوية نزولاً وخاتمها.

وأمَّا من منطلق الحكم الشرعي فالإسلام هو الانقياد للأعمال الظاهرة عن طريق الالتزام بها أيّاً كانت وجوباً أو حرمة أو غيرهما وذلك للحديث المشهور عند كلا الفريقين سُنّة وشيعة، فقد سُئل رسول الله ﷺ عن معنى الإسلام فقال:

«الإسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان تحج البيت.»[١]

ووفقاً لهذا الحديث الشريف فالإسلام شرعاً هو عبارة عن أعمال ظاهرة قوامها التّلفظ بالشّهادتين وحدانية الالوهية واثبات الرسالة لسيدنا محمد ﷺ مع الإلتزام بجميع احكامها سواء كانت وجوباً ام حرمةً ام غيرهما.

وقد يُطلق الإسلام ايضاً على الدِّيانات الأخري اذا كانت صحيحة وحقّة، وهذا المعنى قد استعمله القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[٢].

وأمَّا **اليهودية** فإنها مأخوذة من كلمة يهود.

ويهود أصلها من (هاد) أي تاب قال الله تعالى في محكم كتابه.

﴿.... إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ....﴾[٣].

واليهودية في الاصطلاح عبارة عن الدَّيانة التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام وهي من الدِّيانات التوحيدية ولكن الله عندهم يسمى «يهوه»

---

(١) النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح المسلم، ج ١، ص ٦٤، كتاب الايمان، وكذا نقله بحارالانوار مضموناً، ج ٤١، ص ٢٦١، بل ادّعى التواتر من البعض عليه في صفحة ٣٠٢ من الجزء عينه.

(٢) سورة آل عمران: ٣ : ١٨.

(٣) سورة الاعراف: ٧ : ١٥٦.

وهو إله خاص بهم جبّار بطّاش خلق الكون وما فيه من بشر وشجر ... لخدمة الشعب اليهودي، وكتابها التوراة وهو أوّل الكتب السّماية نزولاً على البشرية وأمّا ما نزل على ابراهيم عليه السلام فهو عبارة عن صحف.

ومن اللاّفت أنّ اليهود يتبعون كتاب التّلمود أكثر من التّوراة وذلك لأنّ التّلمود أكثر تفصيلاً، وهو في نظرهم القانون الشفوي الذي نقله الحاخامات عن موسى عليه السلام جيلاً بعد جيل.

واليهود هم أمة موسى عليه السلام ويدّعون أنّهُم يتبعون موسى عقيدةً وشريعةً إلاّ أنّهم من غير بنياسرائيل الذي هو يعقوب عليه السلام.

وفي دراسات الكتاب المقدس أنّ يهود ترجع الى يهوذا الذي هو أحد أسباط بنياسرائيل الاثنى عشر، وكانت عاصمة مملكتهم التي نشأت جنوب الضّفة الغربية في فلسطين قبل السّبى البابلي تسمى اورشليم.

ولليهودية صلة وثيقة بالمسيحيّة لأنّ مريم أمُّ عيسى عليه السلام كانت يهودّية الأصل.

وأمّا المسيحية

كانت تطلق صفة مسيح في العهد القديم على الشخصيات التي كانت تمسح بالزّيت.

وكانت تدل بالمعنى التوسيعي على من أختاره الله للقيام بمهمة الأباء[١].

---

(١) سفر المزامير: ١٠٥: ١٥.

وأمّا في العهد الجديد حيث صارت العبارة تطلق على يسوع الذي مسحه الأب.[(١)]

فالمسيح هو الذي مسحه الله وارسله الى العالم أمّا يسوع نفسه فلم يكن يستعمل هذا التعريف للدلالة على نفسه اثناء حياته وإن قَبِلَ هذا التعريف الذي كان يطلقه عليه بعض تلامذته حال حياته.

والكنيسة القديمة إعتادت أن تطلق على يسوع هذا اللَّقب لتقول لليهود إنَّ المسيح الذي ترجون مجيئه ليحمل الخلاص لكم ولغيركم بحسب الايمان المسيحي هو يسوع.

فقد جاء في اعمال الرُّسل:

«فليعلم يقيناً جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربّاً ومسيحاً»[(٢)].

وقد اصبحت هذه التّسمية منذ عهد الرُّسل اسمَ علمٍ ليسوع.

ونجد هذا ظاهراً إلى حدٍّ كبير في رسائل القديس بولس التي سيأتي توضيحها في بحث تدوين العهد الجديد.

والدّيانة المسيحية هي الدِّيانة التي نزلت على نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام الذي صار لفظ المسيح له اسمَ علمٍ والمسيحية منسوبة اليه بهذا الإعتبار وإلاَّ فأصل تسمية هذه الدّيانة هي النصرانية ومن هنا صحَّ القول بأنّ النصرانية هي المسيحية وكذا العكس وأنّ كلا الاسمين يؤدِّيان المعنى

---

(١) اعمال الرسل: ٤ : ٢٧.

(٢) اعمال الرسل: ٢ : ٣٦.

الاصطلاحي نفسه بل إنّ المسيحية اسم آخر للدّيانة النصرانية والنصرانية هي الاسم الأصل.

ولذا نرى أنّ القرآن الكريم قد استعمل النّصارى في التّعبير عنهم.

والمسيحيون هم الذين يؤمنون بعيسى بن مريم العذراء عليها السلام الذي حملت به عن طريق الرُّوح القدس وقد بدأ بتبشير ديانته وهو في سن الثلاثين من عمره فكذّبه اليهود وناصبوه العداء على الرّغم من وجود العديد من المعاجز والدّلائل الدّالة على نبوته كشفاء الأبرص والأعمى وإحياء الموتي.

وأمّا الكتاب الذي يؤمن به المسيحيون فهو الكتاب المقدس بكلا عهدية القديم والجديد أي أنهم يؤمنون بالتّوراة والانجيل وما أُلحق بهما من اسفار ورسائل ومكاشفات.

ومن المهم هنا التّنبيه على أنّ الكنيسة لم تعترف إلاّ باربعة من الاناجيل التي دونت مع أنّ عددها قد تجاوز المائة كما سنبيّن لاحقاً.

والاناجيل المتعرف بها هي انجيل متى، ومرقس، ويوحنا، ولوقا.
وعلى هذا الاساس سنقوم بدراسة هذا الموضوع طبقاً للعنوان المذكور اعلاه بعد التّعرض لذكر أمورٍ خمسة.

١- أهميَّة البحث

إنّ أيّ إنسان منتسب لأيّ دين من الأديان السَّماويَّة الثلاثة يدرك بشكل واضح مدى أهميّة هذا البحث، وذلك لأنّ الوحي يشكّل اللّبنة الأساس، والنقطة المركزيّة الأولى الّتي تبنى عليها أُسس هذه الدّيانات السَّماويَّة ومعارفها، إذ من دون التّسليم بظاهرة الوحي وعقيدة الوحي الّتي هي من أحد الطُّرق الثلاثة للمعرفة المعبَّر عنها في كتب العلماء.

١- بطريق الحسِّ والتَّجربة.

٢- طريق التعقّل والإدراك النَّظري.

٣- طريق الإلهام والوحي الذي هو فوق الحسِّ والتَّعقُل.

لا يمكننا فعلَ شيء، وذلك لأنّ جميع المعارف والعقائد والأحكام سواء كانت مرتبطة بالحياة العباديّة للإنسان أم الاجتماعيّة والسياسيّة أم الأخلاقيّة والسلوكيّة أم غيرها، ننسبها جميعها إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي، ولذا نرى بأنّ جميع الأنبياء أوّل ما يحاولون إثباته والتأكيد عليه هو أنّ هذا الذي يقولونه من شريعة ليس من عند أنفسهم، وإنّما هو موحى إليهم من عند ربّهم خالق الكَونِ والمنعم عليهم، وأنّهم جاؤوا بهدف هداية النَّاس إلى هذا الخالق والمُنعم، وأنّ هذه الوسائل الّتي يحملونها هي من عند الله وليس لهم أيُّ علاقة بها سوى إبلاغُها للنّاس والعباد حيث قال جلَّ شأنه في حق نبيّه الأكرم محمد ﷺ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

ومن هنا نرى بأنَّ الكثيرين من المغرضين الّذين يريدون تشويه صورة الإسلام يسعَون بكلِّ جهدهم للنَّيل من هذه العقيدة وهذا المبدأ الذي تسالمت عليه كلّ الأديان السَّماويَّة بتصويره أنّه محضُ خرافات وأكاذيب تارة وبأنّه نتيجة بعض الرّياضات الرَوحيَّة آخرى وثالثة بأنّه نتيجة نبوغ ذاتي عند النبيّ ﷺ كما سوف يأتي توضيحه فيما بعد وذلك بهدف إزالة هذا المعتقد الأساسي كما فعلوا بالدّيانات السابقة على الإسلام ـ كاليهوديّة والنصرانيَّة ـ إذ

---

(١) سورة النّجم: ٥٣: ٣-٤.

أنّه من خلال التشّكيك في مصداقيَّة الوحي النّازل على أنبيائهم ومن خلال التشّكيك في نسبة الموجود في كتبهم الآن إلى الأنبياء السّابقين وبالتالي نسبته إلى الله تعالى وكذا من خلال وجود التّناقضات الكثيرة الّتي لا يمكن صدورها عن الوحي استطاعوا صرف النَّاس في مجتمعاتهم عن هذا الإرتباط الرُّوحي مع الله والخالق سبحانه إلى الاهتمام بالماديَّات فقط وبالتالي السَّعي في محاولة حلٍّ كل المشاكل الّتي تعترضهم على أساس علمي مادّي تجريبي ولكنَّ هذه المحاولة تبقى بعيدة المنال بالنسبة للوحي الإسلامي المحمّدي المرتبط بالكتاب العزيز وذلك لانّ المسلمين وعلى مرِّ العصور وبمختلف أطيافهم وطبقاتهم ومذاهبهم قد إهتموا إهتماماً بالغاً وكبيراً بمسألة الوحي من حين بدئ نزوله إلى زماننا الحاضر وليس هذا بغريب منهم بعد أن كانت الرِّسالة الّتي يحملها نبيُّهم خاتمة الرِّسالات وخالدة إلى الأبد ومن هنا نرى كتبهم المتعلّقة بالتفسير وعلوم القرآن مليئة بالأبحاث الّتي تتحدّث عن الوحي من بداية نزوله على نبيّ الرحمة صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وما كان يعانيه صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من أثقال وحالات ناجمة عن ذلك إلى نهايته كما سيتضح معنا في الأبحاث القادمة عند حديثنا عن الوحي من وجهة نظر إسلاميَّة فأهميَّة هذا البحث تكمن في إثبات نقطة الإرتكاز الّتي تنطلق منها الأديان السَّماويَّة الثلاثة وتستند إليها في تبليغ جميع معارفها العقائديَّة وغيرها.

٢- هدف البحث

إنّ الهدف من هذا البحث هو الوقوف على ما تذكره الأديان الثلاثة حول الوحي وحقيقته وإمكانه ووقوعه بالأدلّة والبراهين مع المقارنة فيما بينها حتّى يقف القارئ الكريم على حقيقة ما تقوله تلك الأديان حول الوحي وأيُّها يصحُّ نسبتها إلى الله سبحانه وبالتالي يمكن الالتزام بها وأيُّها لا يصحُّ نسبتها إلى الله تاركين الحكم في ذلك للقارئ الكريم لأنّنا قد

أخذنا على عاتقنا دراسة هذا الموضوع بكلّ شفافيَّة وتجرُّد عن أيّ عقيدة نحملها مسبقاً.

٣- سوابق البحث:

هناك العديد من الباحثين النَّصارى قد تطرّقوا لدراسة هذا البحث بشكل مقارن بين الأديان الثلاثة.

منهم الأب صلاح أبو جوده اليسوعي في كتابه مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي.

ومنهم الأب روبير كليمان اليسوعي في كتابه إيماننا بين العقيدة والعمل حتّى أنّ بعضهم قد ألّف كُتباً في هذا الموضوع.

ومنهم الأب فاضل سيداروس الذي ألّف كتاباً أسماه «بين وحي الله وإيمان الإنسان» والذي تكلّم فيه بشكل مطوّل عن الوحي اليهودي والمسيحي والإسلامي.

وأمّا عند المسلمين فهناك العديد أيضاً من الكُتّاب المسلمين من أهل السُّنة قد تعرّضوا لهذا البحث بشكل مقتضب جداً،

منهم الدكتور عماد علي عبد السميع حسين.

ومنهم صاحب كتاب آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره.

وأمّا الكُتّاب الشيعة فلم يتعبوا أنفسهم في التعرّض لهذا الموضوع بشكل مقارن بين الأديان الثلاثة وغيرها، سوى القليل منهم حيث تطرَّقوا لهذا البَّحث بشكل مجمل جداً.

منهم الكاتب إبراهيم أمين في كتابه المطبوع باللغة الفارسيَّة «وحي در اديان آسماني».

ولكن وللأسف الشّديد، فإنّ جميع ما كُتب من قِبَلِ هؤلاء قد اقتُصر البّحث فيه على مفهوم الوحي وبعض التفاصيل الأخرى من دون التعرّض لـه بالشّكل الذي سنذكره. خصوصاً في الفصل الثالث من هذا الكتاب الرسالة كما سيتضح للقارئ الكريم فيما بعد.

٤- منهج البحث

إنّ منهجنا في هذا البّحث هو منهج مقارن، نتعرّض فيه لذكر النّظريات والأقوال الّتي ساقها أتباع هذه الدّيانات، محفوفة بالأدلّة والبراهين المثبتة لمطلوبهم، بالقَدْرِ المُستطاع مع بيان نقاط الإختلاف والإشتراك بحسب نظرتنا، تاركين للقارئ الكريم الحكم في نهاية المطاف انسجاماً مع ما ألزمنا به أنفسنا من دراسة هذا الموضوع بكلّ تجرُّد وشفافيَّة.

٥- تمهيد حول المصادر الاساسية للديانات الثلاث

قبل الدّخول في صلب موضوعنا الذي نتعرّض فيه لبيان ظاهرة الوحي في الأديان السَّماويَّة الثلاثة ـ الإسلام، واليهوديَّة، والنصرانيَّة ـ فلا بأس بذكر تمهيد نلقي فيه بعض الأضواء على الكُتب الّتي ادُّعي نسبتها إلى الله سبحانه بواسطة أنبياء هذه الدّيانات، والتي تتمثّل بالقرآن والتّوراة والإنجيل، والتي تشكّل عمدة بحثنا بإعتبارها المصادر الأساسيَّة الّتي نعتمد عليها في بيان حقيقة الوحي، وعليه فالبحث في هذا التّمهيد سنقسِّمه إلى ثلاثة نقاط، كلّ واحدة منها مرتبطة بالكلام حول كتاب معيّن من هذه الكتب الثلاثة.

٥-١: حول القرآن الكريم

ألف) تعريف القرآن وأسماؤه

عرِّف القرآن الكريم أنّه الكلام الإلهيُّ المُعجز المُنزل وحياً على نبيّ الرَّحمةﷺ المكتوب في المصحف بين الدّفتين المنقول عنه بالتّواتر

المتعبّد بتلاوته[١]، وقد إختار الله سبحانه وتعالى لهذا الكلام المُنزل على نبيّه أسماءً خاصّة، فتارة عبّر عنه بلفظ الكتاب كما جاء في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وأُخرى عبّر عنه بالقرآن كما جاء في قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ...﴾[٣].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾[٤].

وثالثة عبّر عنه بلفظ الفُرقان كقوله تعالى:

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذين كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[٥].

وكقوله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[٦]

وكما هو واضح أنّ المراد من الفُرقان هو نفس القرآن الكريم.

وممّا لا شكّ فيه أنّ لهذه التّسميات الجّديدة الّتي أطلقها الله سبحانه وتعالى على كلامه المنزل إشارات لابدّ من الالتفات إليها، وذلك لأنّ القرآن

---

(١) الحكيم: محمّد باقر، علوم القرآن: ص١٧.

(٢) سورة البقرة: ١: ٢.

(٣) سورة الحشر: ٥٩: ٢١.

(٤) سورة البقرة: ٢: ١٨٥.

(٥) سورة آل عمران: ٣: ٤.

(٦) سورة الفرقان: ٢٥: ١.

الكريم كما هو معروف جاء بطريقة جديدة مخالفة لما كانت عليه العرب، إنْ من ناحية التّعاليم والتّوجيهات الأخلاقيَّة أو من ناحية السّبك والتّعبير، فلا هو شِعر ولا هو نثر ومع ذلك لم يُجاره أيٌّ كلام عربي مهما بلغت فصاحته وبلاغته، مع ما يحمله هذا الكلام من توجيهات جديدة علميَّة وغيرها، مرتبطة بالحياة الفرديَّة للإنسان أم الاجتماعيَّة بشكل عام، وهذا بطبيعته يستدعي أن يطلق سبحانه على هذا الكلام الجَّديد في سبكه وتعبيره، الجَّديد في توجيهاته أسماءاً جديدة، إذ من الطبيعيِّ جدّاً أن يطلق على هذا الكلام الجَّديد أسماءاً جديدةً تكون مشيرة لهذا التّغيُّر الذي يحمله الكلام الإلهيُّ إنْ من ناحية لفظه وتعبيره أو من ناحية توجيهاته، ومن هنا ذهب البعض كالسيد الشّهيد الصَّدر إلى القول:

«إنَّ تسمية الكلام الإلهي بالكتاب هو لأجل الإشارة إلى التَّرابط الموجود بين مضامينه ووحدتها في الهدف والإتجاه بالنَّحو الذي يجعل من مجموع هذا الكلام كتاباً واحداً ذا هدف واحد»[1].

ومضمون فارد أساسي وهو هداية النَّاس هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير هذا الإسم إلى جمع الكلام الكريم في سطور لأنّ الكتابة هي عبارة عن جمع للحروف ورسم للألفاظ.

ومن ناحية ثالثة لعلّه للإشارة بأنّ هذا الكلام قد كُتب بهذه الحُروف والكلمات الّتي يستعملها العرب ومع ذلك هم أعجز من أن يأتوا بسورة مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

---

(١) علوم القرآن: ص١٨.

وأمّا تسميته بالقرآن فهي لأجل الإشارة إلى حفظه في الأعماق والصُّدور كنتيجة لكثرة قرائته وتردّده على الألسن لأنّ القرآن مصدر القراءة وفي القراءة إستكثار وإستظهار للنّص. وبهذا يتضح لنا بأنّ لهذا الكلام الإلهيّ ميزتين إحداهما أنّه مكتوب والثانية أنّه محفوظ في الصُّدور من كثرة قرائته ولذا سُمي كتاباً وقرآناً.

وأمّا تسميته بالفُرقان فللإشارة إلى أنّ هذا الكلام والكتاب هو الذي يُفرق به بين الحقّ والبّاطل وبه يغلب الحّق على الباطل فكان زهوقاً لذا فالمتمّسك به وبعدِله وهم أهل البّيت يكون على حقّ والتّارك المعرض عنهما يكون على باطل وضلال.

وبهذا اتضح لنا أن وراء هذه التّسميات الجّديدة أهدافاً معيّنة أشار الله سبحانه بها إليها.

ب) ممّا يتألف القرآن الكريم

لقد قام بعض المفسّرين وعلماء علوم القرآن بتقسيم الآيات الواردة في القرآن الكريم من حيث المحتوى والمضمون إلى عدّة أقسام على ما يدّعيه الأستاذ محمّد فاكر ميبدي، حيث قال:

إنّ آيات القرآن تنقسم بلحاظ المحتوى والموضوع إلى:

١- آيات المعارف والعقائد.

٢- آيات التّهذيب والأخلاق.

٣- آيات العلوم والفنون.

٤- آيات التّاريخ والقصص.

٥- آيات الأحكام[١] .

ولم أعثر على تقسيمٍ من هذا القبيل في أيّ من الكُتب التفسيريَّة أو المرتبطة بعلوم القرآن ولعلَّه تقسيم إقتناصي قد إقتنصه المؤلِّف من كلماتهم وليس مصرِّحاً به بهذا الشَّكل في كتبهم وكلماتهم[٢] .

وممّا لا شكَّ فيه أنّ القرآن الكريم قد تحدّث عن هذه الموضوعات بشكل غير مبوَّب، ولا منظَّم تنظيماً على غرار الكتب العلميَّة المتعارفة الآن، أو بعض الكُتب السَّماويَّة الموجودة بين أيدنا الآن كالتّوارة مثلاً ـ على فرض صحّة النِّسبة ـ كما سيتضح معنا فيما بعد.

فإنّها جعلت كلَّ سِفرٍ من الأسفار الخمسة الأساسيَّة مختصَّاً ببيان جهةٍ ما كإختصاص بعضها ببيان حقيقة تكوُّن السَّماوات والأرض والكون بشكلٍ عام وإختصاص بعض آخر منها ببيان أحكام شريعتهم وهكذا في بقيَّة الخمسة، بمعنى أنَّه لم تجمع الآيات الّتي تتحدث عن الصوم أو الصلاة في فصل واحد مع بعضها البعض، كما وأنّه لم تجمع الآيات الّتي تتحدّث عن الأحكام بشكل عام أو العقائد أو غيرهما في باب واحد، وإنَّما كانت متفرّقة ولذا نرى القرآن الكريم في كثيرٍ من الأحيان يتعرّض لبيان موضوع في طيٍّ حديثه عن موضوع آخر، وذلك لوجود صِلة ما بين

---

(١) مَيبدي: محمّد فاكر، آيات أحكام تطبيقي: ص٢٨: بالفارسيَّة.

(٢) طبعاً هناك العديد من المناهج الأخرى ذكرت من قبل العلماء في تقسيم وتصنيف الآيات القرآنية. إذْ إنّ مسألة التقسيم والتصنيف للآيات وقعت مورد اختلاف كبير وأخذ وردٌ كثير بين العلماء ولذا نرى بأنّ هناك العديد من المناهج الّتي ذكرت في تبويب الآيات. راجع: كتاب معارف القرآن، محمّد تقي مصباح اليزدي: ص١٢-٢٠.

الموضوعين، والنَّماذج على ذلك كثيرة في القرآن الكريم نكتفي بذكر نموذجٍ واحد كحديث القرآن عن طهارة أهل البَّيت عليهم السلام في طيّ حديثه عن المهمّات الثِّقال الملقاة على عاتق نساء النبيّ صلى الله عليه وآله حيث إنّ القرآن في سورة الأحزاب أخذ على عاقته بيان تلك المسؤوليَّات الجسام الملقاة على نساء النّبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال جلّ شأنه مخاطباً نبيّه الأكرم محمداً صلى الله عليه وآله:

﴿يَا أَيّهَا النّبِيّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنيا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتّعْكُنّ وَأُسَرّحْكُنّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدّارَ الْآخِرَةَ فَإِنّ الله أَعَدّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاء النّبِيّ مَن يَأْتِ مِنكُنّ بِفَاحِشَةٍ مّبَيّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاء النّبِيّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مّنَ النّسَاء إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلَا تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجَاهِلِيّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصّلَاةَ وَآتِينَ الزّكَاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ إِنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

فنلاحظ أنّ القرآن قد تحدّث عن طهارة أهل البَّيت عليهم السلام ضمن كلامه عن نساء النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ عاد وأكمل حديثه السَّابق عن نساء النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله تعالى:

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣: ٢٧- ٣٣.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[(١)].

وهذا التَّقسيم للقرآن الكريم بلحاظ المحتوى والمضمون والمفهوم قد أشارت إليه بعض الرِّوايات كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال:

«نزل القرآن أرباعاً ربع فينا وربع في عدّونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ولنا كرائم القرآن»[(٢)].

إذ من الواضح أنّ هذا التَّقسيم من الإمام عليه السلام ليس بلحاظ العدد وإنِّما بلحاظ المفهوم والمحتوى، وذلك لأنَّ آيات الأحكام وغيرها كما ثبت في محلّه عددها لا يعادل ربع القرآن على جميع التَّقادير والأقوال المذكورة في عددها[(٣)]، وهذا التَّقسيم لا ينافي التَّقسيم السّابق الذي ذكرناه ونسبه الأستاذ محمّد فاكر ميبدي إلى المفسِّرين وعلماء علوم القرآن لأنَّه هناك بعض الآيات العقائديَّة تتحدّث عن أهل البيت عليهم السلام كما وأنّه هناك بعض الآيات الأخرى الأخلاقيَّة النازلة فيهم والتي تتحدّث عنهم عليهم السلام ومثال الأولى آية التَّطهير ومثال الثانية قوله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا

---

(١) نفس المصدر: ٣٤.

(٢) العياشي: محمّد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص٩.

(٣) لأنّ المشهور أنّ عدد آيات الأحكام خمس مائة آية وعدد الخمس مائة لا يعادل ربع القرآن جزماً. لأنّ عدد آيات القرآن ٦٢٣٦ آية. ومن أراد المزيد فليراجع الكُتب المختصة في هذا المجال.

﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾[١].

ومن هنا يظهر لنا بأنّ كلتا الآيتين اللّتين ذكرناهما داخلتان في الرُبع الأول الذي ذكره الحديث والذي هو نازل في أهل البيت عليهم السلام وإن كانت إحدى الآيتين على التّقسيم الأول داخلة تحت العقائد والثانية داخلة تحت الأخلاق.

٥-٢: التّوراة:

ألف) تعريف التّوراة وأسماؤه

أمّا التّوراة الأصلي فتعريفه عندنا بأنّه كلام الله المُنزل على نبيّه موسى عليه السلام لهداية البّشر في عصره.

والتّوراة لفظة عبريّة معناها الشّريعة وهي بالفرنسيّة (بانتاتيك) وتعني مؤلّفاً من خمسة أجزاء ويسمّيها اليهود بالنّاموس أو ناموس موسى عليه السلام وربّما استخدم النّصارى لفظ التّوراة للدلالة على مجموع العهد القديم لا على خصوص الأسفار الخمسة، ويرى بعض البّاحثين[٢] أنّ التّوراة لم تكن تعرف بهذا الإسم منذ القِدَم شأنها شأن الأسفار الخمسة الّتي تتألّف منها إذ أنّ هذه الأسفار الخمسة لم تكن معروفة بهذه الأسماء الخاصّة كسفر التّكوين أو سفر الخروج... الخ وإنّما هذه أسماء مستحدثة وضعها القوم لهذه الأسفار لوجود مناسبة ما فسمّوا السِّفر الأول بسفر التكوين لأنّه

---

(١) سورة الإنسان: ٧٦: ٨-٩.

(٢) حسنين: فؤاد علي، التّوراة الهيروغليفيّة: ص٣٩.

يتحدث عن تكوين السَّماوات والأرض، كما سيتضح معنا فيما بعد عند حديثنا عن مكوِّنات التَّوراة.

ولكن الذي نرجِّحه هو أنَّ هذه التَّسمية كانت ثابتة للتَّوراة منذ القِدَم أي من حين نزوله وذلك لسببين:

١) إنّ نفس التَّوراة قد عبّرت عن نفسها بهذا الإسم في كثير من المواضع كما عبّر القرآن الكريم عن نفسه بلفظة القرآن في كثير من الآيات إذ إنّ النَّاظر في نصوص التَّوراة يجد بأنَّها تحمل هذا الإسم وتعبّر به عن نفسها، ففي سفر التَّثنية جاء ما نصُّه:

«وكتب موسى هذه التَّوراة وسلّمها للكهنة من بني لاوي»[١].

فلو صحّت هذه الفقرة الموجودة في هذا السِّفر من الكتاب المقدَّس لكانت خير شاهد على أنّ هذه التَّسمية كانت موجودة منذ القِدَم.

٢) إنّ القرآن الكريم قد صرَّح وبيّن أنّ كتاب اليهود المنزل على موسى عليه السلام كان إسمه التَّوراة وأنّه منزل من عند الله حيث قال جلّ شأنه:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوراة وَالإِنجِيلَ﴾[٢].

ومن البعيد جداً أن يكون القرآن الكريم قد أتى بلفظ التَّوراة من باب الجَّري على وفق هذه التَّسمية الجَّديدة وعليه فيتعيّن أنْ تكون تسمية ذاك

---

(١) سفر التَّثنية: ١٣: ٩-١٢.

(٢) سورة آل عمران: ٣: ٣.

الكتاب المنزل على موسى بالتَّوراة ثابتة منذ القِدَمِ (أي من حين نزوله).

ب) مكوِّنات التَّوراة ومحتوياته

قد أشرنا سابقاً إلى أنّ التَّوراة تتألَّف وتتكوّن من خمسة أسفار أساسيَّة وإن كانت جميع نُسخ التَّوراة الموجودة بين أيدينا اليوم تتعدّى هذه الأسفار الخمسة إلى سبعة أو تسعة وثلاثين، وذلك بسبب عدم وقوف المهتمِّين بالمخطوطات القديمة على نسخة خاصة بأسفار موسى الخمسةعليه السلام، كما سيتضح في حديثنا، عن نسخ التَّوراة.

وأمّا الأسفار الخمسة الأساسيَّة فيه عبارة عن:

١- سفر التَّكوين.

٢- سفر الخروج.

٣- سفر اللاويين.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التَّثنية.

وكلٌ واحدٍ من هذه الأسفار الخمسة مختصٌ ببيان جهة ما لعلّها كانت هي السَّببُ بتسميته بهذا الاسم.

أمّا السِّفر الأول المسمّى بسفر التَّكوين: فهو يتحدّث عن تاريخ العالم وبدايته من حين تكوين السَّماوات والأرض إلى زمن نزول نبيٍّ الله يعقوب المسمّى عندهم باسرائيل في أرض مصر وإستقراره فيها مع تعرّضه لذكر بعض التَّفاصيل عن قصّة آدم وحوّاء الّتي لا يمكن الإلتزام بها من وجهة نظر إسلاميَّة على هذه الشّاكلة، مع ذكره للنَّسب الذي ينحدر منه نبيُّ الله يعقوب وأنَّه من أحد أولاد سَامْ الذي هو أحد أولاد نوح عليه السلام لأنّ

نوحاً أنجب ـ سام، وحام، ويافث ـ وكان لـه ولد رابع يدعى كنعان كان كافراً[1] ولعلّ سبب تسمية هذا السِّفر بهذا الإسم كما أشرنا هو أنّه يتحدث عن تاريخ العالم وبداية تكوينه.

وأمّا السِّفر الثّاني المسمّى بسفر الخروج: فهو يتحدَّث عن قصّة حياة موسى عليه السلام ونشوئه في أحضان فرعون وزوجته بعد أن ألقته أمّه في اليّم وما عاناه نتيجة خروجه من المدينة عندما قتل ذلك الفرعوني الذي كان يتشاجر مع أحد أبناء بني اسرائيل، وما حلّ عليه بأرض مَدين وكيف إختاره الله لقيادة بني إسرائيل عندما خاطبه سبحانه من جانب الطُّور الأيمن بأنّه مُرسل من قِبَلِ ربّ العالمين، وكيف رجع إلى المدينة مرَّة ثانية لدعوة فرعون ولكنّه أبى وإستكبر.

وبعد أن كانت المواجهة بينه وبين السَّحرة في عصره وظهور عجز فرعون وسحرته عن الإتيان بمثل معجزة موسى عليه السلام قرّر فرعون وجنوده التخلُّص من موسى عن طريق القتل فجاء رجل وأخبر موسى بمراد فرعون فلمّا علم موسى بمؤامرة الإغتيال ورأى إصرار فرعون وقومه على اضطهاد بني اسرائيل وتعذيبهم صَمَّمَ الخروجَ من مصر بإتجاه الأرض المقدَّسة أي فلسطين، وقد تعرّض هذا السِّفر لوصف هذه الرِّحلة الّتي قام بها اليهود بزعامة موسى عليه السلام اتجاه صحراء سيناء، ولعلّه لأجل ذلك سمّي بسفر الخروج، مع تعرُّضه لذكر بعض الأمور الّتي واجهت موسى عليه السلام كإرتداد بني اسرائيل وعبادتهم للعجل عندما ذهب لميقات ربّه لأجل تلقي الشّريعة والتَّوراة على

---

(١) الشَّبِستري: عبد الحُسين، أعلام القرآن: ص٩٨٩.

ألواح مكتوبة، وما أتى به موسى من معجزات كإنزال المنّ والسَّلوى عليهم وتفجير العيون من ذلك الحجر لأجل هدايتهم والتَّسليم بشريعته.

وأما السِّفر الثَّالث المسمّى بسِفر اللّاويين: فإنّه يحتّل مكانة مميَّزة وعظيمة بين أسفار التَّوراة، وذلك لإحتوائه على كثير من التَّشريعات الّتي تتعلق بالكفَّارات والنُّذور والحلال والحرام والبيع والشّراء وغيرها من الأمور الّتي تتحدَّث عن معايشهم الّتي يرجع إليها كلُّ كاهن منهم عند الحاجة حتّى أنّه قد سمّي بدليل الكاهن هذا بالإضافة إلى إشتماله على ذكر مراسم متنوِّعة ومعيّنة حول الأعياد والذَّبائح والقرابين وكيفيِّة طقوسها ومسح هارون وبنيه وتكريسهم لخدمة الكهونة وشريعة التَّطهير(١). وقد سُمِّي هذا السِّفر بهذا الإسم نسبة للّاويين الّذين هم أبناء لاوي أحد أبناء النبيٍّ يعقوب أو إسرائيل بحسب تعبيرهم.

وأما السِّفر الرَّابع فهو المسمّى بسِفر العدد: وذلك لإشتماله في أكثر مباحثه على الأمور القابلة للعدِّ عند اليهود، فهو يقوم بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، ولأجل ذلك قد سُمِّي بسِفر العدد هذا بالإضافة لتعرّضه لذكر بعض الأحكام الّتي تتعلق بالعبادات والمعاملات.

وأمّا السِّفر الخامس ما يسمّى بسفر التَّثنية وقد يُعبّر عنه بتثنية الإشترع:

وذلك لأنّه هو تكرار وإعادة لمجموع ما تحدّثت عنه الأسفار السّابقة عدا الأول، وذلك لأنّه يتعرَّض لسرد الأحداث الّتي وقعت على اليهود في

---

(١) حسين: د: عماد، الإسلام واليهوديَّة: ص٢٤.

صحراء سيناء وما جاءهم به نبيُّ الله موسى عليه السلام من معاجز كإنزال المنِّ والسَّلوى وتفجير العيون من الحجر وغيرها من المعاجز، وما أنزل الله عليهم من أحكام مكتوبة على ألواح لكي يعتبروا ويعملوا بها هذا بالاضافة إلى اشتماله على بعض الشَّرائع الجَّديدة الَّتي لم يعلم مصدرها ـ وإقامة ـ يَشوع خليفة لموسى عليه السلام وتسليم التَّوراة لحاملي تابوت عهد الربِّ، ثمّ خبر وفاته عليه السلام على جبل نبو[1].

هذه هي الأسفار الخمسة الَّتي قد تلقَّاها اليهود والنَّصارى بالقبول والإيمان وقد وقفنا على ذكر محتوياتها بشكل مُجمل.

ج) نُسخ التَّوراة

هناك ثلاث نسخ لما يسمّى بالكتاب السّماوي اليهودي (أي التَّوراة):

١) النُّسخة السّامريِّة:

تحتوي هذه النُّسخة على أسفار سبعة وهي أسفار موسى الخمسة الّتي تقدّمت مع إضافة سفرين آخرين وهما سفر يَشوع ـ وسفر القضاة، وهذه النُّسخة هي المنسوبة إلى فرقة السّامريَّة الّتي نشأت في السّامرة (شمال فلسطين المحتلة الآن) بعد السّبي من بابل وهي أقلُّ فرق اليهود إنحرافاً وقد أوشكت على الإنقراض[2].

وأصحاب هذه النُّسخة يدّعون بأنّ هذه النُّسخة الموجودة بين أيديهم هي المنزلة على موسى عليه السلام وسائر النُّسخ الموجودة بين أيدي

---

(١) جورجي كامل: وَهيب، مقدمات العهد القديم: ج١، ص١٢٨.

(٢) راجع: المسيرى: عبد الوهّاب، موسوعة اليهود واليهوديّة: ج٥، ص٣١٩- ٣٢٠.

اليهود محرّفة، وسائر اليهود يدّعون العكس أي أنّ سائر اليهود يدّعون أن النُّسخة السّامريَّة محرّفة.

٢) النُّسخة العبرانيّة:

وهي النُّسخة المعتمدة عند اليهود وتتألّف من ٣٩ سِفراً وكان إجماع النّصارى على تحريف هذه النُّسخة وأنّ اليهود قد حرّفوها سنة ١٣٠ ميلادي حتّى ظهور فرقة النَّصارى البروستانت في القرن الخامس أو السّادس عشر ميلادي حيث عكستْ الأمر وقالت بصحّة هذه النُّسخة العبرانيَّة.

٣) النُّسخة الثالثة:

وهذه النُّسخة تحتوي على ٣٩ سِفراً وهي بمثابة ترجمة مأخوذة عن النُّسخة العبرانيَّة مع زيادة أسفار أبوكريفا العشرة عليها فتكون مع هذه الإضافة والزِّيادة ٤٩ سفراً، وهي المعتبرة الآن عند النَّصارى الأرثوذكس وغيرها من كنائس الشّرق، وكذا عند اليهود الهلِّينستيين الّذين يتكلمون اللُّغة اليونانيَّة.

ومن خلال هذا الإستعراض لهذه النُّسخ الثَّلاثة الموجودة للتَّوراة يتضح لنا بأنّه لا يوجد بين أيدي اليهود الآن أيٌّ نُسخة موافقة للتَّوراة المؤلَّفة من الأسفار الخمسة الّتي أدُّعي نزولها على موسى عليه السلام لأنّ النُّسخة الأولى مؤلَّفة من سبعة أسفار والثَّانية والثَّالثة كلٌّ واحدة منها مؤلَّفة من ٣٩ سفراً هذا من دون أسفار أبوكريفا المذكورة في التَّرجمة اليونانيَّة[١].

---

(١) هناك بعض النُسخ الأخرى الّتي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

د) أسماء مجموع أسفار العهد القديم

إنّ بعض البّاحثين المهتّمين في هذا المجال قد قام بتقسيم هذه الأسفار ٣٩ تقسيماً موضوعياً بلحاظ الموضوع والمحتوى إلى ثلاثة أقسام:

١- ما يتحدّث عن تاريخ العهد القديم وأحكامه وطقوسه.

٢- ما يتحدّث عن الحكمة والأناشيد والشِّعر.

٣- ما يتحدّث عن تنبؤات الأنبياء.

أسفار التاريخ والأحكام والطقوس

إنّ الأسفار الّتي تتحدّث عن تاريخ العهد القديم وأحكامه وطقوسه هي عبارة عن ١٧ سفراً على الشكل التالي:

١- سفر التّكوين.

٢- سفر الخروج.

٣- سفر الّلاويين.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التّثنية.

وقد أشرنا إلى محتويات هذه الخمسة سابقاً وقلنا بأنّه يطلق على مجموع هذه الخمسة لفظ التّوراة.

٦- سفر يُوشع: وهو يتحدَّث عن سيرة يوشع بن نون الذي جعله موسى عليه السلام خليفة لـه على بني اسرائيل قبل موته عليه السلام.

٧- سفر القُضاة: وهو الذي يتحدّث عن تاريخ القضاة قبل مجيء ملوك بني اسرائيل كابن النبيّ سليمان عليه السلام وغيره كما سوف يأتي توضيحه.

٨- سفر راعوث ويتحدَّث عن سيرة إمرأة تُدعى راعوث إحدى جدّات النبيٍّ داود عليه السلام.

٩- سفر صموئيل الأوّل: الذي يتحدّث عن تاريخ نبيٍّ الله صموئيل الذي نصَّب طالوت ملكاً.

١٠- سفر صموئيل الثَّاني الذي يتحدّث عن حكم داود عليه السلام .

١١- سفر الملوك الأوَّل الذي يتحدَّث عن إستمرار حكم داود وسليمان وخلفائه عليهم السلام.

١٢- سفر الملوك الثَّاني الذي يتحدَّث عن أخبار ملوك بني إسرائيل حتّى حملة نبوخذ بنصّر الذي قاد جيشاً وشنَّ هجوماً كاسحاً على أورشليم أسفر عن مقتل سكَّان يهوذا وأسر جموع غفيرة منهم، وسوقهم إلى مدينة بابل وبقائهم فيها مدَّة من الزَّمن، وعن أخبار ملوكهم بعد سليمان عليه السلام مثل أرخبعم بن سليمان وكان مَلِكاً حكم سبع عشرة سنة، وكذا بوريعم الذي حكم على الأسباط العشرة وإتخذ عجلاً من ذهب وفضّة يعبده ثمّ ملك بعده أبيا بن أرخبعم بن سليمان ثلاث سنين ثمّ حكم بعده أحاب أربعين سنة وملك بعده يورام[1]...

١٣- سفر أخبار الأيام الأوَّل: وهو الذي يتحدث عن نَسَبِ بني اسرائيل وتاريخهم حتّى وفاة النبي داود عليه السلام .

---

(١) المسعودي: علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب: ج١، ص٦٦.

١٤- سفر أخبار الأيام الثاني: ويتحدّث عن أخبار نبي الله سليمان حتّى جلاء بابل.

١٥- سفر عَزرا: الذي يتحدّث عن عودة اليهود إلى فلسطين واعادة بنائهم لأورشليم الّتي هُدمت قبل السَّبي البابلي وعودة بني اسرائيل مع عزير الذي اختلف في نبوته إلى اورشليم.

١٦- سفر نحميا الذي يذكر فيه كذلك إعادة بناء أورشليم على يد أوّل ملك من ملوك السّلالة الهخامنشية وهو قورش مؤسِّس هذه السّلالة الذي احتل مدينة بابل وأمر بتحرير اليهود وقيل نبوخذ بنصر هو الذي فعل ذلك.

١٧- سفر استير وهي زوجة الملك خشايارشا اليهوديَّة[١] والتي وضعت خطّة للوقوف بوجه المؤامرة الّتي دبّرت لإبادة اليهود.

أسفار الحكمة والأناشيد والشِّعر.

إنَّ الأسفار الّتي تتحدّث عن الحكمة والأناشيد والشّعر عبارة عن خمسة:

١- سفر أيوب: ويتحدّث عن نبي الله أيوب وما حلَّ عليه من بلايا وصبره على فراق ولده يوسف وسخطه على إخوة يوسف عليه السلام .

٢- سفر المزامير: ويعني زبور داود عليه السلام .

٣- سفر أمثال النّبي سليمان وهو مجموعة حِكَمْ ونصائح.

---

(١) يقال أنها مدفونه في مدينة همدان الإيرانية.

٤- سفر نشيد الأناشيد وهو مجموعة أناشيد.

٥- سفر الجامعة وهو من الشّعر وفيه تشكيك حول الدُّنيا.

أسفار تنبُّؤات الأنبياء.

إنَّ الأسفار الّتي تتحدّث عن تنبُّؤات الأنبياء عبارة عن ١٧ سفراً:

١- سفر أشعيا: وهو أطول وأشهر سفر للتنبُّؤات في العهد القديم، وأشعيا هو أحد أنبياء بني اسرائيل وكان قبل زكريا ويحيى وهو من المبشِّرين بنبوَّة عيسى ومحمد ﷺ وقيل إسم أبيه آموص أو راموس وهو من ذُرِيَّة سليمان بن داود ﷺ[(١)].

٢ ـ سفر أرميا: وأرميا هو أحد أنبياء بني اسرائيل بعد أشعيا وقيل هو رميا بن حلقيا وقيل حِزقيا من سبط لاوي ابن نبي الله يعقوب وقيل من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران[(٢)].

٣ ـ سفر مراثي أرميا: وهو مجموعة مرثيّات قالها أرميا النبيُّ على أطلال أورشليم بعد الهدم.

٤ ـ سفر حزقيال: وهو أحد أنبياء بني اسرائيل بعد سليمان عليه السلام وهو والد إسماعيل ـ الذي يُسمونه أهل الكتاب شموئيل أو صموئيل[(٣)].

(١) أعلام القرآن: ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ص٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص١٠١.

٥ ـ سفر دانيال: وهو مجموعة كشوفات وتنبّؤات دانيال.

٦ ـ سفر هوشع.

٧ ـ سفر يوئيل.

٨ ـ سفر عاموس.

٩ ـ سفر عُوبَدْيا.

١٠ ـ سفر يونس: وفيه أخبار يونس في بطن الحوت.

١١ ـ سفر ميخا.

١٢ ـ سفر نحوم.

١٣ ـ سفر حَبَقُّوق النبيٍّ وفيه أخبار هذا النبي.

١٤ ـ سفر صَفَنْيا.

١٥ ـ سفر حجي.

١٦ ـ سفر زكريا.

١٧ ـ سفر ملاخي.

وبهذا يتمّ الكلام حول الأسفار ٣٩ الّتي يتألّف منها العهد القديم طبعاً من دون أسفار أبوكريفا العشرة الّتي أشرنا إليها سابقاً والتي هي عبارة عن:

١- طوبيا.

٢- يهودًيت.

٣- استير.

٤- الحكمة.

٥- يشوع بن سيراخ.

٦- باروخ.

٧- صحيفة إرميا.

٨- دانيال.

٩- المكابيين الأوّل.

١٠- المكابيين الثاني[1] .

٥-٣: الإنجيل:

ولكن قبل الدُّخول في تعريف الإنجيل وأسمائه لابدّ من الوقوف على مسألة مهمَّة ترتبط بالنَّصارى:

١) الكتاب المقدَّس عند النَّصارى

إنّ الكتاب المقدَّس عند النَّصارى يتألَّف من العهد القديم وهو مجموع الأسفار ٣٩ الّتي أشرنا إليها سابقاً عند اليهود، وقد حظي هذا العهد باحترام كبير عند النَّصارى حيث جعلوه في مقدِّمة كتبهم، ومن العهد الجديد الذي يتألَّف من الأناجيل وغيرها كأعمال الرُّسل ورسائل الرّسل والرُّؤيا والمكاشفة، ويعود سبب ذلك إلى إعتقاد النَّصارى بأنّ الله تعالى قد أخذ على النَّاس عهدين وميثاقين أحدهما الميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء الّذين كانوا قبل ظهور المسيح عيسى عليه السلام وهذا ما يسمّى بالعهد القديم أو الميثاق القديم، والميثاق الثاني كان من حين ظهور المسيح عليه السلام وهو ما يُسمّى بالعهد الجديد أو الميثاق الجديد.

٢) ولادة الكنيسة وأعضاؤها

تقول موسوعة الأديان في العالم:

«حوالي سنة ثلاثين يوم العنصرة في أورشليم أمام الحجّاج

---

(١) توفيقي: حسين، دروس في تاريخ الأديان: ص١١٣.

اليهود والمجتمعين لمناسبة العيد يعلن بطرس إنّ يسوع الناصري ذاك الرّجُل الذي أيّده الله لديكم بما أجرى على يده بينكم... فقتلتموه إذ علقتموه على خشبة بأيدي الكافرين قد أقامه الله ونحن بأجمعنا شهود على ذلك فلما رفعه الله بيمينه نال من الأب الرّوح القدس الموعود به فأفاضه... قد جعله الله ربّاً ومسيحاً فقال السّامعون ماذا نعمل؟ فأجابهم بطرس:

توبوا وليعتمد كل منكم بإسم اليسوع المسيح لغفران خطاياكم فتنالوا موهبة الرُّوح القدس»[١].

فاعتمد ثلاثة آلاف نفس وهكذا ولدت الكنيسة.

وأمّا أعضاء الكنيسة الأولى فكانوا يهوداً مثل عيسى عليه السلام فإنّه يهوديٌ الأصل من جهة أُمّه مريم عليها السلام، أي إنّه من نسب هارون أخو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وذلك لأنّ أمّه مريم ترجع بالنَّسب إلى هارون وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى عندما خاطبها قائلاً:

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾[٢].

وذلك لأنّ اليَصابات الّتي ورد ذكرها في انجيل لوقا بقوله:

---

(١) مجموعة من الباحثين: موسوعة الأديان في العالم، المسيحيّة ص:٨.

(٢) سورة مريم: ١١: ٢٨.

«كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها اليَصْابات وكان كلاهما بارّين أمام الله ساكنين في جميع وصايا الرَّب وأحكامه بلا لوم»[(١)].

كانت أخت حَنّة أم مريم عليها السلام فتكون مريم كذلك من نسل هارون لأنّ أُمَّها أخت اليَصابات واليصابات من نسل هارون، وبذلك يثبت أنّ عيسى عليه السلام كان يهودياً وإن لم يكن لـه أبٌ بحسب إعتقادنا فالقرآن الكريم عندما خاطبها بقوله: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ...**﴾.

فمراده أنَّها واحدة منهم كما تقول يا أخا العرب أي يا واحداً منهم.

وأمَّا عبادة وطقوس هؤلاء الأعضاء الأوائل فكانت موافقة للدِّيانة اليهوديَّة فهم كانوا يصلّون في المعابد ويلتزمون بأمور الحلال والحرام الموجودة عند اليهود ويوجبون الختان، ولكن امتاز هؤلاء عن اليهود الأصليين ببعض الأمور الخاصّة بهم كالعِماد بإسم اليسوع وكسر الخُبز والمواظبة على الصلوات.

ولكن سُرعان ما انضمّ باكراً إلى اليهود المسيحيين ذوي الثَّقافة الآراميَّة اليهوديَّة يهود آخرون من ذوي الثَّقافة اليونانيَّة وهم الهلّنيُّون، وعندها بدأت المشادات والحزازيات بين المسيحيين الّذين يحملون الثَّقافة الآراميَّة وبين اليهود الّذين يحملون الثَّقافة اليونانيَّة، وهكذا انفتحت جماعة اليهود المؤمنين على جماعة الشّتات الّذين كانوا يعيشون خارج فلسطين

---

(١) إنجيل لوقا: البشارة بميلاد يوحنّا المعمدان: ١: ٥.

المحتلّة وقد ظهر في يهود الشّتات أمثال اسطفانوس الذي أطلق اتهامات عديدة ضدّ يهود اورشليم ودان طقوسهم والهيكل وذلك لأنّهم أنكروا عيسى عليه السلام وقتلوه وصلبوه كما يدّعون ـ وأنّ اليسوع قد بشّر أنّ العبادة بالروح ولا ترتبط بمكان معيّن ممّا حذا باليهود إلى رجمه على مرئ بولس الذي كان من يهود الشّتات والذي كان لـه الدّور الأساس في تأسيس الكنيسة حيث لم يشترط لإيمان الوثنيين بالمسيح إعتناق اليهوديّة أولاً قبل إعتناق المسيحيّة وتلك كانت أولى الأزمات وبذلك تميّزت المسيحيّة عن اليهوديّة ومن ثَمّ كانت حركة المهتدين الوثنيين إلى المسيحيّة تتزايد بشكل كبير جداً وذلك بسبب الحركة التبشيريّة الكبيرة الّتي قام بها الرُّسل كبولس وبرنابا وغيرهما فصارت الكنيسة صاحبة الحظ الأوفر وغلبت على اليهوديّة، وهكذا بدأت الدّعوة إلى اعتناق العهد الجديد تأخذ طابعها الخاص، وفي طليعة الكتب الّتي أُلفت في العهد الجديد الأناجيل.

ألف) كتاب الانجيل تعريفه وأسماؤه

الإنجيل عندنا نحن المسلمون هو كتاب الله المنزل على نبيّه عيسى عليه السلام لهداية النّاس في عصره وقد أشار القرآن بحزم إلى أنّه كتاب واحد كما يفهم من الآية الّتي مرت معنا سابقا[١].

وأمّا عند المسيحيين فقد أُلّفت الكثير من الأناجيل حتّى أن بعضهم قد ذكر وقال أنّ عدد الأناجيل قد تعدّي المائة وأنّ كثيراً منها قد إختفى كإنجيل الطُّفولة والولادة ومريم وريصان والتّذكرة وغيرها، ولكنّ الكنيسة

---

(١) سورة آل عمران آية ٣: ﴿وَأَنزَلَ التَّوراة وَالإِنجِيلَ﴾.

لم تعترف إلا بأربعة منها وهي[1]:

١) إنجيل متّى: الذي يستعرض سيرة المسيح ومواعظه وإرشاداته.

٢) إنجيل مرقس: وهو أقدم الأناجيل ومضمونه كسابقه ولكن بشكل مختصر.

٣) إنجيل لوقا: ومضمونه كسابقه لكنّه يستند في ذلك إلى شهود عيان شاهدوا المسيح وسمعوا منه ورأوا فعله.

٤) إنجيل يوحنّا: وهو الإنجيل الذي يؤكِّد على ألوهيَّة عيسى عليه السلام مع تعرّضه لمواعظه وسيرته.

وهناك إنجيل خامس لم تقبله الكنيسة وهو انجيل برنابا الذي يحتوي على بعض البشائر الدّالة على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله ونبوّته.

ب) أعمال الرُّسل

هذا الكتاب قد ألَّفه مؤلّف وكاتب الإنجيل الثَّالث أي لوقا ولعلّه هذا هو السّبب لقبوله وردّ غيره من الكتب الأخرى الّتي كتبت في عصره وهو يتحدّث عن سيرة الرّسل الذين ذهبوا لتبشير الوثنيين أمثال بولس وبرنابا وغيرهما.

ج) رسائل الرُّسل

من الأمور الّتي اهتم المسيحيّون بها كثيراً الرّسائل الّتي وجّهها رسل المسيح عليه السلام إلى مجتمعاتهم المسيحيَّة، وكان من مجموع هذه الرَّسائل

---

(١) راجع: كتاب تاريخ الأديان، حسين توفيق: ص١٧٠، تعريب أنور الرصافي.

الّتي وصل عددها إلى واحد وعشرين رسالة. ١٣ لبولس وواحدة ليعقوب والبَّقية كانت لبطرس ويوحنّا ويهوذا[١].

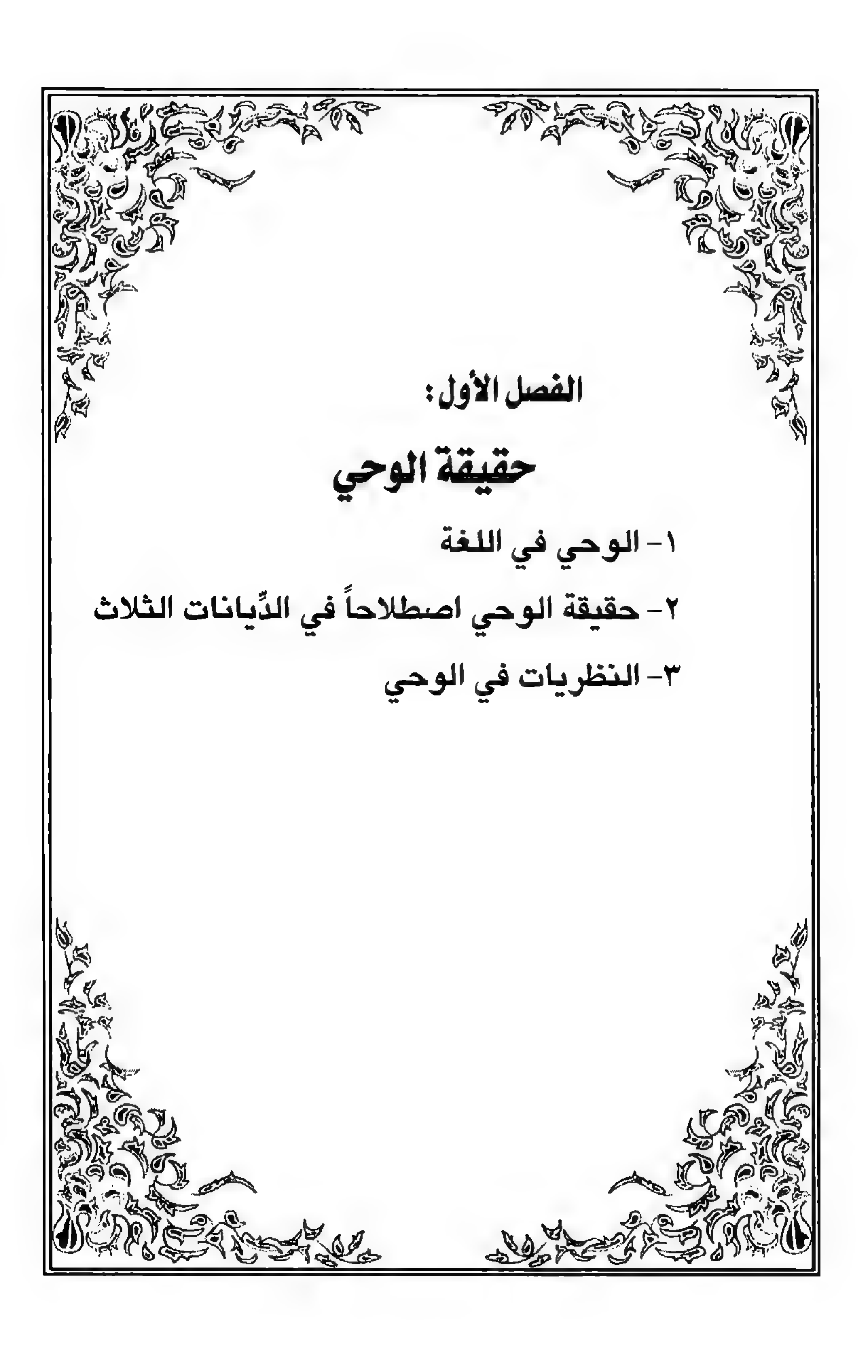
د) الرُّؤيا والمكاشفة

ذكرنا فيما مضى أنّ سفر دانيال كان عبارة عن كتاب رؤيا ومكاشفة، وهذا معناه أنّه قبل ظهور المسيح عليه السلام كان هناك تأليفات من هذا القبيل، وكذا الحال بعد ظهوره فقد دوّن المسيحيون أسفاراً أخرى على شاكلة السِّفر المذكور في العهد القديم ـ أي دوّنوها على شكل رؤى ومكاشفات بشكل ينسجم مع أهدافهم وأهوائهم، فأولوا رؤيا يوحنّا الذي يعتقد المسيحيون أنه كان أصغر الحواريين الإثني عشر سِنّاً إهتماماً بالغاً إعتقاداً منهم بأنّ يوحنّا قد فصّل وشرح رؤياه وختمها بالنِّصر والإنتصار للمسيحيَّة على جميع قوى الشّر.

وكما هو واضح فإنّ كتب الأناجيل وحدها هي الّتي تتحدّث عن سيرة المسيح ومواعظه للبشر من بين جميع هذه الكتب المؤلّفة في العهد الجديد وذلك لأنّ الكتب الثلاثة الباقية تتحدّث عن أحوال وسِيَر وتوجيهات رُسل المسيح وليس عن المسيح نفسه ولذا قلنا سابقاً بأن الأناجيل كانت طليعةَ ما أُلِّفَ في العهد الجديد هذا من جهة ومن جهة أخرى هي المنسوبة إلى الله عن طريق الوحي.

---

(١) أبو جوده: الأب صلاح، مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي ص: ٩٤.



الفصل الأول:

حقيقة الوحي

١- الوحي في اللغة

٢- حقيقة الوحي اصطلاحاً في الدِّيانات الثلاث

٣- النظريات في الوحي

الوحي في اللغة:

ممّا لا شكٌّ فيه أنّ الوقوف على المعنى اللُّغوي للفظة الوحي وكيفيَّة استعمالاتها في كلام العرب يساعدنا كثيراً على تحديد المعنى والمفهوم الدَّقيق لهذه اللَّفظة الذي من خلاله نستطيع أن نميّز بين مفهوم الوحي من وجهة نظر إسلاميَّة وبين مفهوم الوحي من وجهة نظر يهوديَّة نصرانيَّة كما سيتضح معنا فيما بعد.

والوحي بحسب اللُّغة هو إعلام خفيٌّ كما يظهر من قول أبي إسحاق على ما نقله عنه ابن منظور(1) حيث قال:

«وأصل الوحي في اللُّغة كلِّها، إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يُسمّى وحياً».

لأنّ فيه خفاء ومنه قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي...﴾(2).

أي ألهمتهم على ما ينقله الزَّجاج عن بعضهم في تفسير الآية.

فيكون قد أطلق لفظ الوحي على الإلهام وذلك لأنّ فيه جهة خفاء.

---

(1) ابن منظور: جمال الدين، لسان العرب: ج١٥، ص٢٤٠- ٢٤١.

(2) سورة المائدة: ٥: ١١١.

ومنه أيضاً قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً...﴾[١].

أي ألهما على نحو الخفاء.

ومن هنا يُعلم بأنّ كلَّ إعلام فيه جهة خفاء يسمّى وحياً سواءاً كان هذا الإعلام بالإشارة كقوله تعالى:

﴿... فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[٢].

أي أشار إليهم كما نقله الفرّاء.

أم كان هذا الاعلام بالكتابة كقول الشّاعر:

فَمَــدافِعُ الرَّيَّــانِ عُــرِّيَ رَسْــمُها   خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها[٣]

وقد أراد الشّاعر من الوحي المذكور في البيت أي ما يُكتب على الحجارة ويُنقش عليها.

ومن هنا ذهب ابن منظور إلى القول بأنّ الوحيَّ: الإشارةُ والكتابة والرِّسالة والإلهام والكلام الخفيُّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك، يقال وحيتُ إليه الكلام وأوحيتُ ووحى وحياً وأوحى أيضاً أي كتب[٤] أي تأتي بمعنى كتب وكذا قال الأزهريُّ:

---

(١) سورة النحل: ١٦: ٦٨.

(٢) سورة مريم: ١٩: ١١.

(٣) لسان العرب: ج ١٥، ص ٢٤٠.

(٤) لسان العرب: ج١٥، ص٢٣٩- ٢٤٠.

«بأنّ الإشارة والإيماء يسمى وحياً والكتابة تسمّى وحياً»[١].

وكذلك الكلام يسمى وحياً فتقول أوحيتُ إليه بالكلام أي كلمتُه ومنه قوله تعالى:

﴿... وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[٢].

أي أوحى إليه على سبيل الكلام.

وهذا معناه أنّ الوحي يقصد منه الكلام في بعض الأحيان كقول أبي ذؤيب:

فَقَالَ لهَا وَقدْ أوْحَت إليه ألا لله أمُّكِ لا تَعيفُ[٣]

أي: كلّمتْهُ.

ومن خلال هذا الذي ذكرناه يتضح لنا أنّ مفهوم الوحي مكوّن من أمرين (الإعلام والخفاء) وعليه فكل المعاني الّتي استعمل فيها القرآن لفظ الوحي كان من باب إستعمال اللّفظ في مصاديقه المختلفة وذلك لوجود هذه الجهة المشتركة فيما بينها أي الإعلام والخفاء.

حقيقة الوحي اصطلاحاً في الدِّيانات الثلاث

الإسلام

قد ذكرنا في البحث السّابق أنّ علماء اللّغة قد ذكروا لمادّة الوحي

---

(١) نفس المصدر السابق: ص٢٤١.

(٢) سورة النساء : ٤: ١٦٤.

(٣) لسان العرب: ج ١٥، ص٢٤٠.

عدّة معاني ومداليل كلّها قد أُخذ فيها جنبة الإعلام والخفاء حيث قالوا بأنّ الوحي هو إعلام خفي وبعضهم قد أضاف إلى ذلك قيد السّرعة.

وقد إستحوذ هذا التّعريف للغويِّن على اهتمام كبير من قِبَلِ الباحثين في علوم القرآن حيث إن نظرهم في تعريف الوحي كان مبتنياً على ما ذكره اللغويون من معنى للوحي ولكن مع إضافة قيد جديد يُحدّد لنا النِّسبة وأنّها من الله تعالى.

ولذا نرى بأنّ بعضهم قد عقد البّحث حول الوحي الإلهيِّ واكتفى بما ذكره اللغويون من تعريف للوحي كصاحب التّمهيد مثلاً الذي لم يذكر تعريفاً للوحي بحسب اصطلاح الشّرع والدِّين وإنَّما اكتفى بإشارة تدل على ذلك.

والبعض الآخر قد ذكر تعريفاً للوحي بحسب مفهوم الشَّرع ضمَّنه الإعلام الخفيً ومن هنا فلا بأس بالإشارة إلى بعض هذه التَّعاريف الّتي ذكرها كلا الفريقين السُنّة والشّيعة.

أما السُنّة فقد ذكر بعض البَّاحثين من أهل السنّة تعريفاً للوحي فقال إنّ الوحي في مفهوم الشّرع:

«هو إعلام الله أنبياءه ورسله بما يريد أن يبلّغه إليهم من شرعٍ أو كتابٍ بواسطة أو بدون واسطة»[1].

وعرّفه آخر بقوله:

---

(١) الإسلام واليهوديّة: ص ٤٦.

«إعلام الله تعالى أنبياءه الشَّيء إمّا بكتاب أو برسالة ملك أو منام أو إلهام»[١].

وأمّا من الشّيعة فقد عرّفه السّيد العلامة الطباطبائي بالإدراك الغيبي في تفسيره الميزان فقال:

«وهذا الإدراك والتَّلقي من الغيب هو المسمّى في لسان القرآن بالوحي»[٢].

وقد عبّر عنه في مكان آخر بقوله:

«ومن هنا يظهر أنّ هذا الشُّعور من غير سنخ الشُّعور الفكري، بمعنى أنَّ ما يجده الإنسان من النَّتائج الفكرية من طريق مقدماتها العقليَّة غير ما يجده من طريق الشُّعور النَّبوي، والطريق غير الطريق»[٣].

فعبّر السُّيد العلاَّمة عن الوحي بالشّعور وأنّ طريقته هي طريقة الإلقاء من الغير بخلاف الطَّريق الفكري العادي فإنّ طريقه هو الجهد الشَّخصي.

ولعلّ هذا هو نفس ما ذكره الشّهيد محمّد باقر الحكيم في كتابه علوم القرآن عندما قال:

«إنّ الوحي عبارة عن فكرة يدركها الإنسان، مصحوبة بالشُّعور الواضح، بأنّها ملقاة من طرف أعلى منفصل عن الذَّات الإنسانيَّة،

---

(١) القسطلاني: شهاب الدين، إرشاد السَّاري لشرح البخاري: ج١، ص٨٣؛ كيف كان بدء نزول الوحي...؟

(٢) الطباطبائي: محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص١٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص١٥٦.

وشعور آخر واضح بالطَّريقة الّتي تمَّ فيها الإلقاء، مع وجود عنصر الغيب والخفاء في هذه العمليَّة، ولذا تسمّى بالوحي»[١].

وقد عرّفه آخر بقوله إنّه:

«**شعور خفي يُدرك الأنبياء بواسطته الحقائق على نحو سريع يخفى على الآخرين**»[٢].

ومراده من الشُّعور الخفيِّ هو الإعلام الخفيُّ كما يستفاد منه في مكان آخر حيث قال:

«**والمهم في هذا السّياق هو الوقوف على مصدر هذا الشُّعور والإعلام المعقّد والتعرّف عليه**»[٣].

وكذا الشَّهيد الصَّدر في بحثه نزول القرآن الكريم عن طريق الوحي قال بعد تعرّضه لمعنى الوحي لغةً وأنّه إعلام في خفاء ما نصُّه:

«**وقد اطلق هذا اللفظ (الوحي) على الطّريقة الخَّاصة الّتي يتّصل بها الله تعالى برسوله، نظراً إلى خفائها ودقتها وعدم تمكُّن الآخرين من الإحساس بها**»[٤].

ومن الواضح أنّ السَّيد الشَّهيد الصَّدر هنا فسّر الوحي الإلهيَّ بأنّه إعلام خفيٌّ من الله تعالى.

---

(١) علوم القرآن: ص١٥١.

(٢) الرّي شهري: محمّد، فلسفة الوحي والنبوة: ص١٥٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) علوم القرآن: ص ٣٧، نقلاً عن الشّهيد الصدر.

وأيضاً قد عرّفه بعض الباحثين من كلا الفريقين بأنّه كلام الله تعالى.

فمن السُّنة ما ذكره صاحب كتاب آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره حيث قال:

«كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه إمّا بكتاب أو برسالة ملك في منام أو إلهام»(١).

ومن الشِّيعة: ما ذكره الشَّيخ المفيد بأنّه كلام الله، وهو الموجود في بعض تعابير السَّيد الطباطبائي أيضاً حيث قال:

«واعلم أنّ من لوازم النبوَّة الوحي وهو نوع تكليم إلهي تتوقف عليه النبوَّة»(٢).

وهذا هو الموجود في روايات أهل البيت عليهم السلام ولكن مع توسعة في مفهوم الكلام، بمعنى أنّ كلام الله لا يختص بالخطاب واللَّفظ بل يشمل ويصدق على الإلهام وغيره..

فعن النَّبي صلى الله عليه وآله أنّه سأل جبرائيل من أين تأخذ الوحي؟ فقال عليه السلام:

«آخذه من إسرافيل، فقال : ومن أين يأخذه إسرافيل ؟ قال : يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين، قال : فمن أين يأخذه ذلك الملك ؟ قال : يقذف في قلبه قذفاً، فهذا وحي، وهو كلام الله عزوجل، وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرُّسل، ومنه ما قذفه في

---

(١) رضوان: عُمر إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره: ج ١، ص٣٧٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ٢، ص:١٤٥.

قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرُّسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ، فهو كلام الله، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله، فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد»[١].

ومن خلال ما ذكرناه من تعاريف يتَّضح لنا عدّة أمور:

ألف) إنّ الوحي لـه عدّة أطراف وهي المعبّر عنها بأبعاد الوحي وهي عبارة عن:

١) الموحِي بالكسر وهو الله سبحانه وتعالى.

٢) والموحَى إليهم وهم الأنبياء والرُّسل.

٣) والموحَى به هو الشَّرع أو الكتاب.

٤) والوسيلة الّتي يتمٌّ عن طريقها الإيحاء.

وأنّ الوحي هو عبارة عن العمليَّة ككل المشتملة على هذه الأطراف الأربعة كما أشار السّيد الحكيم في كلامه الذي نقلناه سابقاً، ولكن نحن نطلق لفظ الوحي على خصوص الموحَى به من باب إطلاق اللَّفظ على اللاَّزم وإرادة الملزوم، لأنَّ لازم الوحي أن يكون هناك موحَى به، فنحن أطلقنا الوحي على اللاَّزم وهو الموحَى به وأردنا الملزوم أي نفس علميَّة الوحي وهذا الإطلاق موجود في كلام العرب كثيراً.

ب) إن مفهوم الوحي في نظر المسلمين مكوّن من أمرين أساسيين:

أولهما: الإعلام الذي هو نقطة أساسيَّة وجوهريَّة في بيان حقيقة الوحي الإسلامي وذلك لأنّه من خلال أخذ قيد الإعلام في حقيقة الوحي

---

(١) الصدوق: محمّد بن علي بن بابويه القمي، التوحيد، باب الرّد على الثنويَّة والزنادقة: ص٢٦٤.

استطعنا أن نميّز بينه وبين الوحي عند اليهود والنّصارى الّذين قالوا بأنّه إعلان لا إعلام، وهناك فرق كبير بين الإعلام والإعلان، كما سيتضح لنا فيما بعد في آخر هذا البحث عند حديثنا عن نقاط الإشتراك والإفتراق في مفهوم الوحي عند الأديان الثلاثة.

وثانيهما: الخفاء وذلك لأنّ هذا الوحي من الله تعالى لأنبيائه ورسله يكون خفيّاً على غيرهم وبعضهم قد أضاف قيد السُّرعة كما أشرنا سابقاً.

ج) إنّ الوحي بمفهومه العام يشمل غير القرآن كالأحاديث القدسيّة الّتي كان النبيُّ ﷺ ينسبها مباشرة إلى الله عزّ وجلّ أو النبويّة إذا كانت مرتبطة بالتّشريّعات أو كالروايات والأحاديث الّتي جاءت لبيان بعض الأمور العقائديّة أو لبيان حكم شرعي أو لتفصيل مجمل أو إيضاح عامٍ، حيث إنّه قد ورد في بعض الرِّوايات من كلا الفريقين بشكل واضح وصريح أنّ جبرائيل كان ينزل ويعلِّم النبيَّ ﷺ بعض الأحكام والأمور الّتي هي ليست قرآناً.

فمن أحاديث السُّنة ما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد أنّ النّبيّ ﷺ قال:

«إنّ روح القدس نفث في روعي أنّ نفساً لن تخرج من الدُّنيا حتّى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها...»[١].

ومنها ما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب قال:

«حدّثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند

---

(١) الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٤، ص١٢٥.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشَّعر لا يُرى عليه أثر السَّفر ولا يعرفه منَّا أحد حتى جلس إلى النبيِّ ﷺ فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفَّيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله وتقيم الصَّلاة وتؤتي الزَّكاة وتصوم رمضان وتحجَّ البَّيت إنْ استطعت إليه سبيلاً قال[١]: صدقت، قال: (أي: عمر) فعجبنا له يسأله ويصدِّقه قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرَّه قال: صدقت قال: فاخبرني عن الإحسان؟ قال: أنْ تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنّه يراك قال فاخبرني عن السَّاعة؟ قال: ما المسؤل عنها بأعلم من السّائل قال فأخبرني عن امارتها؟ قال: أن تلد الأُمة ربّها وأنْ ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشَّاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عُمر أتدرى من السّائل؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم»[٢].

---

(١) أي: قال جبرائيل للنّبي ﷺ صدقت.

(٢) القشَري النيسابوري: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان: ج١، ص٦٤- ٦٥، ح١.

وأهل السُّنة حملوا هذه الرِّواية على أنّ جبرئيل كان يدارس النبيَّ في دينه ويبلِّغه بعض الأوامر الّتي هي ليست قرآناً:

ومنها أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه قال:

«فبينما النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ومعه نفر من أصّحابه جاءه رجل فقال: يارسول الله كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرة وهو متضمِّخٌ بطيب؟ فسكت النبيّ صلى الله عليه وآله ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى فجاء يعلى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظلَّ به فأدخل رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله محمّر الوجه وهو يغط ثم سري عنه فقال أين الذي سأل عن العمرة؟ فأتي برجل فقال إغسل الطِّيب الذي بك ثلاث مرات وانزع عنك الجِّبة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك»(١).

فهذا الحديث واضح بأنّ الله أوحى لـه ﷺ حكماً شرعياً وليس قرآناً.

ومن أحاديث الشّيعة ما ذكره صاحب كتاب مدينة المعاجز في حديث طويل أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه الأكرم أن الجنّة محرّمة على من أشرك بالله حيث قال:

---

(١) البخاري: محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الحجّ باب غسل الخلوق من الثياب: ج٢، ص٢٦٩.

«... فأوحى الله إليه أنّ الجنّة محرمّة على مَن أشرك بي...»[1].

ومنها ما ذكره علي بن إبراهيم من أنّ أوّل ما علّمه جبرائيل للنّبيّ ﷺ هو الوضوء والصلاة بتفاصيلها، وتفاصيلها من ركوع وسجود بالشّكل المخصوص ليست موجودة في القرآن وليست وحياً قرآنياً حيث قال العلاّمة المجلسي:

«ذكر علي بن إبراهيم وهو من أجلّ رواة أصحابنا أن النبيّ ﷺ لمّا أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله، وكان بين الجبال يرعى غنما فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت ؟ قال: أنا جبرئيل، أرسلني الله إليك ليتخذك رسولاً، وكان رسول الله ﷺ يكتم ذلك فأنزل جبرئيل بماء من السّماء، فقال: يا محمد فتوضأ، فعلّمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وعلّمه الركوع والسّجود...»[2].

فهذا الحديث يدل بشكل واضح وصريح أنّ جبرئيل نزل وعلم النّبيّ شيئاً ليس قرآناً بل هو حكم شرعي.

---

(١) البحراني: السيد هاشم، مدينة المعاجز: ج٧، ص ٥٣٦.

(٢) المجلسي: محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ١٨، ص١٨٤.

وعلى هذا الأساس فإنّ جميع الرِّوايات الّتي نقلتُها تصرّح لنا بأنّ الوحي ليس مختصاً بالقرآن وإنّما هو شامل لغيره، هذا إذا نظرنا إلى هذه المسألة من وجهة نظرٍ خاصّة أي من ناحية الرِّوايات الخاصّة الّتي صرّحت بذلك.

وأمّا إذا نظرنا إلى هذه المسألة من وجهة نظر عامّة وقلنا بأنّ جميع ما ورد عن النّبيّ ﷺ بشكل عام[1] في أمور الحياة، هو وحي من الله تعالى تطبيقاً للآية الكريمة القائلة:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[2].

التي تدل بظاهرها على أنّ كلّ ما يقوله النّبيّ ﷺ من الأمور الحياتيَّة والدينيَّة وغيرها هي موحاة إليه من الله تعالى، بل حتّى لو تنزّلنا وقلنا بأنّها فقط وفقط مختصّة في مجال التشريعات أو مختصَّة بخصوص الذي نسبه النّبيّ ﷺ إلى الله تعالى أمكن لنا أن ندّعي ونقول بأنّ التَّحريف قد دخل على بعض مصاديق الوحي بمعناه العام الذي يشمل الأحاديث وذلك لأنّ كثيراً من الأحاديث الّتي وردت ونسبت إلى النّبيّ ﷺ قد دخلها التّحريف إمّا لفظاً فقط دون المعنى وإما لفظاً ومعناً وخير شاهد على وقوع هذا التحريف نفس الأحاديث والرِّوايات المنسوبة إلى النّبيّ ﷺ والتي هي متعارضة فيما بينها حول موضوع واحد أو حكم واحد.

---

(١) سواء كان حديثاً أم غيره.

(٢) سورة النجم: ٥٣: ٣-٤.

أو تطبيقاً للآية الكريمة القائلة:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[١].

التي تدل على أنّ كلَّ ما يقوله النّبيّ ﷺ عن الله هو موحى إليه منه عزّ وجلّ.

وهذا النّوع من التّحريف للوحي قد وقع في زمن النّبيّ ﷺ وقد أشار نفس النّبيُّ ﷺ إلى وقوعه بقوله عليه الصلاة والسلام:

«... قد كثرت عليَّ الكذّابة....»[٢].

والكذّابة هم الّذين يحرّفون الوحي وينسبونه إلى النّبيّ ﷺ.

وخلاصة الكلام أنّ مفهوم الوحي عند المسلمين هو عبارة عن الإعلام الخفي، وليس مختصاً بالقرآن الكريم بل هو عام يشمل القرآن وغيره.

اليهوديّة

إنَّ مفهوم الوحي عند اليهود هو الإعلان لا الإعلام كما مرَّ. وهناك فرق كبير بين الإعلام والإعلان إذ إنَّ الإعلام ينسجم مع الخفاء وعدم الظهور وذلك لأنّ معناه الإخبار والإخبار ينسجم مع الخفاء بخلاف الإعلان الذي يحمل معنى الظهور قال إبن منظور في لسان العرب:

---

(١) سورة الحاقّة: ٤٤: ٤٤-٤٦.

(٢) المجلسي: محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص٢٢٥.

«العلانُ والمُعالَنة والإعلانُ: المُجاهرة. عَلَنَ الأمْر يَعْلُنُ عُلُوناً ويَعْلَنُ وعَلِنَ يَعْلَنْ عَلناً وعَلانيَّة فيهما إذا شاع وظهره..».

«والإعلان في الأصل: إظهار الشّيء»[١].

وعليه فالإعلان يستلزم ظهور الموحِي[٢] «أي الله» وهذا هو الطّابع العام البارز الذي نراه في الوحي عند اليهود أو في العهد القديم.

ومن هنا ذهب بعض الشّراح إلى القول بأنّ مفهوم الوحي في العهد القديم:

«هو إعلانُ الله عن ذاته المقدَّسة وإرادته وغايته وكشف أسراره لأنبيائه وإستعلان مجده»[٣].

وهذه الإعلانات الإلهيَّة قد تكون متوجّهة للشعب ككل من ملوك وقادة وكهنة وغيرهم أي للنّاس العاديين، وقد تكون لغيرهم فقط دونهم[٤] أو لمجموعهم فقط دون غيرهم[٥] أو لكل واحد منهم على حده أو مثنى مع غيره كالملوك والقادة فقط.

ومن المعلوم أنّ تحديد هذا المفهوم عندهم وأنّه إعلان نابع من استعمال الوحي الإلهيّ في العهد القديم للفعل العِبري جالا Gala والذي

---

(١) ابن منظور محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٩، ص٣٧٤.

(٢) ليس المراد في الظهور معنا الظهور الجسماني بالخصوص بل الأعم منه بما ستعمل الظهور ولو عبر التاريخ في خلال التدخل في أحداثه كما سيتضح معنا فيما بعد.

(٣) راجع: بسيط أبو الخير، عبد المسيح، الاعلان الإلهي وكيف كلّم الله الإنسان: ص١١.

(٤) أي: للشعب دون الملوك والكهنة والقادة.

(٥) أي: للملوك والقادة والكهنة دون الشّعب.

يعني بالعربيَّة يُعلن ـ يستعلن ـ يكشف، وقد ورد استعماله في الكتاب المقدَّس في كثيرٍ من المواضع بهذا المعنى وإليك الشّواهد على ذلك:

ألف) منها ما ورد في سِفر صموئيل الثَّاني:

«لأنّك أنت يا ربّ الجنود إله اسرائيل قد أعلنْتَ لعبدك قائلاً إنّي أبني لك بيتاً لذلك وجد عبدك في قلبه أن يصلي لك هذه الصلاة»[1].

ب) ومنها ما ورد أيضاً في سِفر صموئيل الأوّل:

«وعاد الرَّب يتراءى في شيلوه لأنّ الرَّب استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرّب»[2].

ج) ومنها ما ورد أيضاً في سِفر عاموس:

«إنّ السَّيد الرَّب لا يضع أمراً إلا وهو يُعْلِنُ سرّه لعبيده الأنبياء»[3].

بل إنّ سِفر الخروج يصرّح بشكل أوضح أنّ الرَّب نزل على جبل سيناء نزولاً حَقيقياً ليُعْلِنَ لموسى عليه السلام عن ذاته وإرادته ولكنّ الأصعب والأدهى من ذلك أنّ هذا السِّفر يصرّح بأنّ الله كان يخاف من أن يقتحم عليه شعب إسرائيل الجبل لينظروا فيسقط منهم كثيرون حيث قال:

---

(١) سفر صموئيل الثاني: ٧: ٢٧.

(٢) سفر صموئيل الأول: ٣: ٢١.

(٣) سفر عاموس: ٣: ٧.

«٢٠ ونزل الرَّب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ودعا الله موسى إلى رأس الجبل وصعد موسى ٢١ فقال الرَّب لموسى إنْحدر حذّر الشّعب لئلاًّ يقتحموا إلى الرَّب لينظروا فيسقط منهم كثيرون ٢٢ وليتقدّس أيضاً الكهنة الّذين يتقربون إلى الرَّب لئلاًّ يبطش بهم الرَّب ٢٣ فقال موسى للرَّب لا يقدر الشّعب أنْ يصعد إلى جبل سيناء لأنّك أنت حذَّرتنا قائلاً أقم حدوداً للجبل وقدِّسه»[١].

وقال في موضع آخر من هذا السِّفر أيضاً ما نصّهُ:

«١٢ وقال الرَّب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكُنْ هناك. فاعطيك لَوحَي الحجارة والشّريعة والوصيّة الّتي كتبتها لتعليمهم...»[٢].

فهذه العبارة تدل بشكل صريح على أنّه طلب من موسى الصعود ليُعْلِنَ لـه عن شريعته ووصاياه...؟

ومن هنا يتضح لنا أنّ مفهوم الوحي عندهم هو الإعلان لا الإعلام وأنّ الوحي عندهم لا يُقتصر فيه على أنواع الوحي المعروفة كالخطاب والتَّكليم المباشر أو الرُّؤيا الصَّادقة أو عن طريق الملائكة، بل يتعدّى ذلك إلى رؤية الله مباشرة من خلال مجيئه بذاته في صورة رجال وأشكال مرئية وهيئات جسمانيَّة فقد ورد في سِفر الخروج أنّ موسى عليه السلام طلب من الله أن يُريَه مجده؟

---

(١) سفر الخروج: ١٩: ٢٠- ٢٣.

(٢) نفس المصدر: ٢٤: ١٢.

«١٨ فقال أرني مجدك ١٩ فقال أُجيز كلَّ جودتي قُدامك وأنادي باسم الرَّب قدّامك. واتراءَف على مَن اتراءَف وأرحم مَن أرحم ٢٠ وقال لا تقدر أن ترى وجهي لانَّ الإنسان لا يراني ويعيش ٢١ وقال الرَّب هو ذا عندي مكانٌ فتقف على الصَّخرة ٢٢ ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرةٍ من الصَّخرة وأسترك بيدي حتّى اجتاز ٢٣ ثمّ ارفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يُرى»[1].

فما ورد هنا يدل بشكل لا يقبل الشّك بأنّ الله عندهم جسم يُرى وأنّ خلف الله وظَهْرَ الله يُرى بينما وجهه فإنه لا يُرى لِما نصّت عليه الفقرة الأخيرة.

ومن ذلك أيضاً ما ورد في سِفر التّكوين من أن يعقوب عليه السلام صارع الله فصرعه حيث قال:

«٢٤ فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسانٌ حتّى طلوع الفجر ٢٥ ولمّا رأى أنّه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه فانخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه ٢٦ وقال أطلقني لأنّه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني ٢٧. فقال لـه ما اسمك. فقال يعقوب ٢٨ فقال لا يُدعَى اسمك في ما بعدُ يعقوب بل اسرائيل. لأنّك جاهدت مع الله والنّاس وقدرت ٢٩ وسأل يعقوبُ وقال أخبرني

---

(١) نفس المصدر: ٣٣: ١٨– ٢٣.

بإسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركهُ هناك. ٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرتُ الله وجهاً لوجهٍ ونُجِّيَتْ نفسي»[1].

فالمستفاد من جميع هذه العبائر أنّ الله كان يظهر للأنبياء ظهوراً مباشراً ويُعْلِنْ لهم عن ذاته وإرادته وشريعته.

وعليه فمفهوم الوحي وحقيقته عندهم هو الإعلان عن ذاته وإرادته وشريعته.

النصرانيَّة

أمّا عند النَّصارى فإنّ حقيقة الوحي عندهم عبارة عن مجموعة من الإلهامات الّتي أفاض بها روحُ القدس على مؤلّفي الأناجيل من بني البشر، وذلك عن طريق الإلقاء في الرَّوع مباشرة مع المحافظة على الخصائص البشريَّة الّتي يتمتع بها كلُّ مؤلّف ويتميّز بها عن غيره من ناحية التعبير والصياغة وسبك هذه الإلهامات بطريقته الخاصّة به، فقول النَّصارى هذه كلمة الله أو مُنزل من عند الله يعني أنّ الله هو المؤلّف الأخير للكتاب المقدَّس باختيار مواضيعه ومعانيه وتوجيهاته وأوامره ونواهيه وذلك عن طريق إلهام ناقليه ـ وهم المؤلّفون ـ وتحريكهم على كتابتِه بالنحو الذي أراده الله وعصمته إيّاهم عن الخطأ في فترة كتابتها وتسطيرها من أوّلها إلى ختامها فالله تعالى إذا أراد كتابة شيء من

---

(١) سفر التكوين: ٣٢: ٢٤- ٣٠.

أسراره حرّك كاتباً يختاره فيحثه على كتابة السِّفر المقصود ثمّ يمدُّه بنفحته ويلهمه اختيار الحوادث والظروف والأعمال والأقوال الّتي أراد الله تبليغها لفائدة العباد والنَّاس.

وعليه فالمراد من الوحي عند النَّصارى هو إظهار الحقائق غير الممكن معرفتها بالقوى الطبيعيَّة والتي تتجاوز نطاق العقل عن طريق الفعل ولذا نرى في العديد من تعاريفهم للوحي التنصيص على كلا الأمرين فقد ذكر مؤلفوا كتاب قاموس الكتاب المقدَّس أن الوحي هو إبلاغ الحقِّ الإلهي للبشر عن طريق التبشير حيث قالوا:

«الوحي هو إبلاغ الحقِّ الإلهيِّ للبشر بواسطة تبشير، وهو عمل روح الله أو بعبارة أدق عمل الروح القدس، فالرُّوح القُدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم ويجعلهم للوحي الإلهي».

ثمّ أضافوا وقالوا:

«فالوحي هو إعلان الله نفسه أو كلمته بواسطة البشر مستخدماً في ذلك اختباراتهم وطاقاتهم العقليَّة واستجابتهم للغاية الإلهيَّة ... وقد بلغ الوحي ذروته في الإبن كلمة الله المتجسّد الذي أرسله الله»[1].

وقد عرّفه صبحي حموي:

«عمل يكشف به الله للبشر تدبيره الخلاصي ويعرفهم نفَسه...»[2].

وقد عرّفه جورج بوست في كتابه قاموس الكتاب المقدَّس بأنّه:

---

(١) مجموعة من الباحثين اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدَّس: ص١٠٢٠- ١٠٢١.

(٢) حموي: صبحي، معجم الإيمان المسيحي: ص٥٣٦- ٥٣٧.

«هو حلول روح الله في الكُتَّاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحيَّة والأخبار الغيبيَّة من غير أن يفقد هؤلاء الكتّاب بالوحي شيئاً من شخصياتهم فلكلٍّ منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير»[١].

وقد ذكرت مؤلِّفة كتاب موسوعة الأديان أنّ الوحي الإلهيَّ عند المسيحيين:

«هو الفعل الذي يكشف به الله للإنسان عن الحقائق الّتي تتجاوز نطاق العقل»[٢].

وكذا عرّفه صاحب موسوعة المعرفة المسيحيَّة قائلاً:

«تَبعاً للتقليد المسيحي يقصد بعبارة الوحي العمل الذي يكشف به الله قصده الإلهي للبشر ويعّرفهم نفسه وقد بلغ ذلك العمل تمامه في تجسّد يسوع الذي أظهر الأب للعالم وأسّس الكنيسة»[٣].

وقد جاء في المجمع الڤاتيكاني الثاني ما نصُّه:

«لقد حَسُن لدى الله لفرط حكمته ومحبته أن يوحي ذاته ويعلن سِرَّ مشيته»[٤] أ. ف ١٠/ ٩.

وقد عرّفه معجم لاروس أنَّه:

«حقيقة فعل يدخل به الهواء في الرئتين ومجازاً نصيحة أو إيحاء أو

---

(١) قاموس الكتاب المقدَّس: نقلاً عن مباحث في علوم القرآن صبحي صالح: ص٢٥.

(٢) نجّار: نهى، موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة: الدِّيانة المسيحيَّة: ج٦، ص١٦.

(٣) أبو جوده: صلاح، موسوعة المعرفة المسيحيَّة: ج٦، ص٧.

(٤) المصدر السّابق.

حالة نفسيَّة يوجد عليها الرُّوح عندما يكون تحت تأثير قوّة فوق الطبيعيَّة كوحي موسى والأنبياء»(١).

ومن خلال التأمّل في مجموع هذه التعاريف يمكن لنا استنتاج أنّ الوحي عند النَّصارى كذلك هو إعلان الله عن ذاته ومشيئته كاليهود، ولكن مع فارق في الوسيلة وهي أنّه عند اليهود هذا الإعلان كان يتمُّ ويصل للنَّاس عن طريق الأنبياء كإبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء الّذين أقام الله عهده معهم وكان إلهاً لهم بحسب ما أظهره العهد القديم بينما عند النَّصارى فإنّ ذلك قد تمّ وبلغ ذروته ووصل إلى كماله النهائي في ابنه الوحيد عيسى الذي ورث كلّ شيء من الله وصار كلمته على الأرض الّتي يصدر من خلالها الوحي للبشر والنَّاس مباشرة وذلك لأنّ يسوع المسيح يتكوّن بحسب اعتقادهم من ناسوت ولاهوت أو من جوهرين هما الإله والإنسان فهو من جهة أبيه إله ومن جهة أمّه إنسان، وبالتالي فهو يتمتع بحيثية ظهوريَّة ووجوديَّة بظهور الجزء الثاني منه في العالم الخارجي وهو عيسى عليه السلام إذ إنّ الوحي في المسيحيَّة في زمن عيسى كان متجسِّداً مباشرة بين النَّاس دون وسيط من نبوّة أو ملائكة، لأنّ الله خالط جسد اليسوع وصارت حقيقة عيسى مؤلّفة من الله ومن الإنسان، وعليه فإنّ جميع ما كان يصدر منه عليه السلام من توجيهات للنّاس هو صدور مباشر للوحي من الله للنّاس بخلاف ما عند اليهود والمسلمين فإنّ نفس الأوامر والنواهي والتوجيهات والآيات القرآنيَّة بكيفيتها الخاصة المكتوبة بها هي وحي نازل من الله مباشرة أو عن طريق الملك إلى أنبيائه لأجل تبليغه للبشر فإنّ نفس

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره: ج١، ص٣٨.

التَّوراة المكتوبة النازلة على موسى عليه السلام هي وحي بلفظه ونفس الآيات القرآنيَّة المحفوظة والتي دوِّنت في قراطيس في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله هي وحي نازل بلفظه من الله.

ولذا فالوحي في اليهوديَّة والاسلام يعطي للموحَى به «وهو الكتاب» والشّريعة صبغة وجوديَّة خاصّة لأنّ نفس اللفظ كذلك موحَى به[1] كمضمون الرِّسالة تماماً بخلاف المسيحيَّة فإنّ الموَحى به هو نفس مضمون رسالة الخلاص وأمّا الغلاف الذي تُسبك به هذه الرِّسالة والتعابير الّتي تساق بها للبشر فإنها تختلف من مؤلّف إلى آخر باختلاف القدرة والسَّجيَّة والبيئة والظروف الّتي يعيش فيها كل واحد من مؤلِّفي الأناجيل.

وبعبارة أكثر وضوحاً : نقول إنّ للوحي في الفكر المسيحي ثلاث مراحل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة الإيمان وهي مرحلة ما قبل عيسى عليه السلام وظهوره وما بعدها.

المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة كانت عقيدة المسيحيين مبتنية على ما أظهره العهد القديم من أنّ الله هو إله آباءٍ وأشخاص «كإبراهيم وإسحاق ويعقوب» وأنّه قد أقام عهده معهم وكان يوحي إلى البشر ويخاطب النَّاس عن طريقهم،

---

(١) هنا نتكلم عن خصوص الشريعة و الوصايا التي نزلت على موسى عليه السلام مكتوبة على لوحين من الحجاره. وإلا فاليهود انفسهم ينسبون بعض الأسفار الاخرى غير التّوارة إلى مؤلفين آخرين معلومين ـ كاشعيا و محرِّر الاخبار مثلاً. مضافاً إلي التلمود الذي أشرنا إليه في مقدمة البحث و قلنا إِنّه عبارة عن تقليد شفوي قد أخذه الحاخامات عن موسى عليه السلام جيلاً بعد جيل.

وهذا معناه أنّ الوحي كان يتمُّ ضمن ظروف الزمان والمكان الّلذَين يمثلان التاريخ البشري فيكون للوحي بُعدٌ تاريخي.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة العهد الجديد وفي هذه المرحلة قد تبدّلت عقيدة المسيحيين من الإعتقاد بأنّ الله هو إله الآباء كإبراهيم وغيره إلى الإعتقاد بأنّ الله هو أبٌ لعيسى عليه السلام وبناءً على هذه العقيدة الجديدة اكتسب الوحي بُعداً جديداً، وذلك لأنّه لم يَعُدْ يَتُمُّ في زمانٍ أو مكان على مساحة التّاريخ البشري بل بلغ ذروة تمامه في وحي آخر وأخير تجسّد في عيسى المسيح عليه السلام فالله الذي تكلم في العهد القديم بواسطة الأنبياء بطرق متعدّدة كلّمنا في آخر هذه الأيام بابنٍ جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالمين وفي هذه المرحلة أصبح الوحي مباشرة بين النّاس كما أشرنا سابقاً.

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة كتابة الأناجيل الموحاة بحسب اعتقادهم فإنّ هذه الأناجيل قد كتبت عن طريق مؤلّفين ملهمين بالشّكل الذي ذكرناه سابقاً، وذلك لأنَّ الإلهام بحسب قولهم يتّصل بمجموعة الكتابات القانونية بالخصوص والتي يتكوّن منها الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد «أي الأناجيل وغيرها». وهذا ما أشار إليه بعض كتابهم في موسوعته حيث قال:

«أمّا عبارة الإلهام فتتصل بمجموعة الكتابات القانونيَّة الّتي تكوّن الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد والتي دوّنت بالهام الروح والقدس»[1] .

---

(١) موسوعة المعرفة المسيحيَّة: الوحي و الابهام: ج٦، ص٦.

ثمّ ذكر في الهامش أنّ المراد بالكتابات القانونيَّة:

«هي لاحئة الأسفار الرَّسمية الّتي أقرّتها الكنيسة واعتبرتها مُلهمة»[1].

وبهذا يتضح لنا أنّ مفهوم الوحي في نظر الكنيسة هو أوسع دائرة من مفهوم الإلهام وذلك لأنّ للوحي بُعداً تاريخياً حيث إنّ الله تعالى قد أعلن عن ذاته وأظهر نفسه في التاريخ البشري من خلال تدخُّله في أحداث معيّنة وإرساله الأنبياء.

قال صاحب كتاب موسوعة المعرفة المسيحيَّة تحت عنوان مفهوم الوحي أشمل من مفهوم الإلهام ما نصّه:

«ولا شكَّ أنّ مفهومي الوحي والإلهام مترابطان ترابطاً متيناً غير أنّ المفهوم الأوّل أشمل وأوسع من الثاني فمن جهة للوحي بُعد تاريخي ذلك بأنّ الله قد أظهر عن نفسه في التاريخ البشري من خلال تدخله في أحداث معيّنة وإرساله أنبياء وفي آخر الأمر بواسطة ابنه الوحيد (هذا هو الوحي).

ومن جهة ثانية تمَّ تدوين أحداث هذا الوحي التاريخي في أسفار الكتاب المقدَّس على يد كُتّاب ملهمين (هذا هو الإلهام) وبالتالي يُعلن الكتاب المقدَّس الوحي وهو لا يتمُّ في صفحاته بل في يسوع المسيح الحي أو بكلام آخر يعلن الكتاب المقدَّس عن حقيقة تتجاوزه، على أنّ تطور مفهومي الوحي والإلهام جاء تدريجياً ومترابطاً في كتابات

---

(١) نفس المصدر السابق. الهامش.

اللاهوتيين ووثائق الكنيسة طوال العصور»[1].

وهذا ما سنتعرّض لبيانه بشكل أوضح عند كلامنا عن أنواع الوحي عند المسيحيين وبهذا يظهر لنا أنّ مفهوم الوحي عند النّصارى كذلك هو الإعلان لا الإعلام وأنّ هناك العديد من نقاط الاشتراك والاختلاف بين الأديان الثلاثة حول الوحي ولكن قبل الدُّخول في بيانها لابدّ من التأكيد على مسألة مهمّة وجوهريَّة ترتبط بالعقيدة النصرانيَّة، وهي أنّ المسيحيين يؤمنون بأسفار اليهود وأنّها كذلك موحاة ومكتوبة عن طريق الإلهام كالاناجيل تماماً بل إنّ اليهود يقولون بأنّ الأسفار الأخرى غير التّوراة ملهمة أيضاً، وعليه فللوحي بعد تاريخي عند اليهود كالمسيحيَّة.

نتيجة البحث

١- اتفقت جميع الأديان الثلاثة على مصدر الوحي وأنّه من الله وحده وأنّه هو المقدّم على الجميع[2] لأنَّه إلهيٌّ.

٢- اتفق الإسلام واليهوديَّة أنّ الموحى إليه بالرِّسالة والشّريعة لابدّ وأن يكون رسولاً أو نبياً لا بشراً عادياً فهو خاص من هذه الجهة بخلاف المسيحيَّة فإنها جعلته شاملاً للبشر العاديين بواسطة الإلهام.

٣- اتفقت اليهوديَّة والنَّصرانيَّة على أنّ الوحي هو إعلان الله عن نفسه وذاته بخلاف ما هو ثابت عند المسلمين فإنّه عبارة عن إعلام خفي لا إعلان.

---

(١) نفس المصدر السابق: ج٦، ص٩.

(٢) أي: على باقي طُرق المعرفة الأخرى الّتي ذكرناها سابقاً.

٤- إنّ الوحي اليهودي والمسيحي يحقّق قصد الله الأزلي تحقيقاً تاريخياً في العهدين القديم والجديد فهو واحد في أزليته وفي تاريخه بخلاف الوحي الإسلامي فإنّه لا يحمل ذلك.

٥- إنّ الوحي في اليهوديَّة والنصرانيَّة في جميع مراحله هو بحسب الأباء الشّرقيين تلاحم واتحاد وثيق وتعاون عملي، وعمل مشترك بين الله والإنسان بين مبادرة الله وهو يوحي، بذاته واشتراكه الإنسانَ في الوحي، فهو في آنٍ واحد إلهيّ ومتسامٍ ومتعالٍ وبشري وباطن وكامن ويعود الفضل في ذلك إلى التجسّد حيث اتحدّ نهائياً الله بالبشر ومشيئة الله بحريَّة الإنسان حيث يتجاوب ويتعاون الإنسان مع الله بخلاف الإسلام فإنّه لا يوجد للبشر أيٌّ علاقة بالوحي بل دور النّبيّ ﷺ فقط وفقط نقل هذا الوحي وتبليغه للناس[1].

٦- يتميّز الوحي المسيحي عن الوحي اليهودي بأنّ التلاميذ شهود ليسوع المسيح وقد اختبروه حبّاً فأعلنوه مائتاً حيّاً ثمّ دوّنوا شهادتهم هذه في كتب العهد الجديد بيد أنّ الانبياء في الوحي اليهودي كانوا فقط يتلقون كلام الله[2].

٧- اتفق الإسلام واليهوديَّة بأنّ الإعلام والإعلان لابدّ وأن يكونا من جهة عُليا منفصلة عن الموحَى إليه بينما في المسيحيَّة هناك امتزاج بين الموحي وهو الله وبين الموحَى إليه وهو عيسى عليه السلام وهنا قد تجسّد الله نهائياً في البشر وأصبح الوحي موجوداً بشكل مباشر بين النّاس.

---

(١) سيداروس: فاضل، بين وحي الله وإيمان الإنسان دراسات لاهوتيَّة: ص٤٥.

(٢) نفس المصدر السابق: ص٤٥.

٨- اتفق الإسلام واليهوديَّة على أنّ نفس اللفظ النّازل هو وحي كمضمون الرِّسالة الَّتي يحكيها القرآن أو التَّوراة بخلاف المسيحيَّة فإنّ الوحي هو نفس رسالة الخلاص وأمّا الغلاف أي نفس الّلفظ فليس وحياً وإنّما هو من صنع البشر.

النظريات المطروحة في الوحي

بعد أن اتّضح لنا مفهوم الوحي وتعريفه عند الدِّيانات الثلاث فلا بأس بالإشارة إلى بعض النّظريات المطروحة من قِبل المسلمين وغيرهم حول الوحي بشكل إجمالي ومن دون البتّ بصحتها أو فسادها وذلك تتميماً للفائدة .

نظريَّة الفلاسفة القدماء حول حقيقة الوحي

ذهب الفلاسفة القدماء[١] إلى القول بأنّ العقل الفعَّال هو مصدر كلّ التّعاليم الّتي يحملها الأنبياء وذلك لأنّ العقل الفعَّال بحسب زعم هؤلاء هو مصدر كلّ الحقائق والمعلومات إذ إنّ الرُّوح الإنسانيَّة باعتقادهم تحتاج في مقام فعليتها لأن تستلهم استعداداتها من موجود مجرّد يقال له العقل الفعَّال الذي هو مخرج للنُّفوس الإنسانيَّة من القوّة إلى الكمال ومفيض المعارف على قلوب الأولياء والصالحين بأذن الله تعالى، بمعنى أنّ الأنبياء لأجل ما يحملونه من روح قوّية ونفوس صافية نقيّة يستطيعون من خلالها إيجاد علاقة وارتباط واتصال بما يسمّى بالعقل الفعّال فيتلقّون منه مجموعة كبيرة من الحقائق ثم تعمل القوّة التخيليَّة الموجودة في كلّ نبي على وضع تلك

---

(١) هذه النظريَّة منسوبة إلى المشائين من فلاسفة الإسلام، راجع كتاب الإلهيات للشيخ السبحاني: ج٣، ص١٤٦.

الحقائق في صور وقوالب ماديّة حسيَّة حتى تترسَّخ في أذهانهم وعندها يشعر النّبيُّ بأنّه يرى شخصاً يحدثه أو يخامره شعور بأنّه يسمع صوتاً ينحدر إليه من عالم الغيب وما وراء الطبيعة والحال أنّه ما من شيء يأتيه من ذلك العالم وإنّما كلُّ ما يشعر به النّبيُّ قد أفيض عليه من باطنه ومن عقله الفعّال فليس للوحي عند هؤلاء أيُّ حقيقة سوى أنّه مجرّد انعكاسٍ لما في العقل الفعَّال من المعارف والعلوم على عقل النّبيِّ ثم تنزل منه إلى خياله الواسع ومن ثَمَّة إلى حواسه فيصيغها بتلك القوالب الماديَّة فكل ما يتراءى للنّبيِّ من مشاهدة المَلك أو سماع بعض الأصوات هو محض تخيّل وأوهام لا واقعيَّة لها في الحقيقة والخارج.

وكما هو واضح فإنّ هذه النّظريَّة تنفي ارتباط النّبيّ بعالم الغيب وما وراء الطبيعة والحال أنّ الأنبياء أنفسهم يفسرون الوحي بأنّه نحو من الارتباط الخاص بعالم الغيب وبما وراء الطبيعة يتصلون من خلاله بالملأ الأعلى.

نظرية المستشرقين حول الوحي

ذهب المستشرقون من فلاسفة وغيرهم إلى إنكار ارتباط النّبيّ بعالم الغيب وما وراء الطبيعة حيث أسندوا جميع ما يصدر عن النّبيّ ﷺ من تعاليم وشرائع إلى ذات النّبيّ وباطنه وإن اختلفوا في تفسير هذا الباطن الذي كان مصدراً لتلك التعاليم على أقوال متباينة ولكنّ جميعها مجافٍ للحقِّ بعيداً عن الصواب.

أ) الوحي النفسي والإلهام السّمعي:

ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأنّ مصدر التعاليم والشّرائع الّتي جاءت على لسان الأنبياء أو لا أقلّ على لسان نبيّنا ﷺ هو الوحي

النّفسي والإلهام السّمعي وذلك جمعاً بين تصديق الأنبياء وبين الأصول العلميَّة الحديثة الّتي تبتني على المادّة والتجربة حيث قالوا بأنَّهم لا يشكُّون في صدق نبيِّنا محمد ﷺ في إخباره عمّا رآه أو سمعه ولا يشكُّون أيضاً في كونه مصلحاً اجتماعياً وعبقرياً فذّاً ولكنَّهم يقولون إنّ منبعَ ومصدرَ تلك التعاليم لم يكن عالم الغيب وما وراء الطبيعة الذي لم يثبت عندهم وجوده كما أنه لم يثبت عندهم ما ينفيه ويُلحقه بالمحال وإنّما كان إلهاماً من نفسه وعقله الباطن.

«فمنازع نفسه العالية وسريرتها الطاهرة وقوّة إيمانه وخياله الواسع وإحساسه العميق وعقله الكبير وذكاؤه الوقّاد وذوقه السّليم مما كان لذلك التأثير بأن يتجلّى في ذهنه ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الرُّوحيَّة فيتصوُّر أنّ ما يعتقده إلهياً نازلاً عليه من السّماء بدون وساطة أو عن طريق رجل يتمثَّل له يلقنه ذلك أو يسمعه يقول له شيئاً في المنام»[1].

وعليه فكلّ ما جاء به الأنبياء أو لا أقلّ نبيُّنا ﷺ بالخصوص نابع من عقله الباطن الذي امتلأ بالكثير من تلك الحقائق والتعاليم بسبب الشّائعات والظروف البيئيَّة الّتي كان يعيش فيها ثم فاضت نفسه بذلك فصاغها بإسلوبه المؤثِّر وخياله الخصيب نتيجة صلواته الخاصّة بغار حراء وتأملاته العميقة، نافين بذلك أيّ علاقة وارتباط للنّبيّ بعالم الغيب وما رواء الطبيعة.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره : ج١، ص ٣٨٢.

ب) الوحي الإنفعالي والعاطفي

ذهب نولديكه إلى القول بأنّ مصدر الوحي والتعاليم الّتي كان يحملها محمد ﷺ هو النوبات الانفعاليّة والتأثيرات العاطفيّة الطاغية الّتي تسيطر عليه بحيث يشعر أنّه تحت تأثير قوة إلهيّة تفيض عليه تلك التعاليم حيث قال:

«كانت نبوّة محمّد نابعة من الخيالات المتهيّجة والإلهامات المباشرة للحسٍّ أكثر من أن تأتي من التفكير النّابع من العقل الناضج فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه... مع هذا كان يعتقد أنّ مشاعره الداخليّة قادمة من الله بدون مناقشة»[1].

ج) الوحي من الأسباب الطبيعيّة

ذهب بعض المستشرقين على ما نقله الدكتور حسن عنتر إلى القول بأنّ منشأ الوحي ومصدره هو الأسباب الطبيعيّة العاديّة كباعثيّة النوم أو ما يسمى بالتنويم الذاتي[2].

د) الوحي الفكري والتجريبي

ذهب أمثال «بل» و«واط»[3] من المستشرقين إلى القول بأنّ منشأ

---

(١) نولديكة في كتابه تاريخ القرآن: ج١ : ٥. نقلا عن كتاب آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره : ج١، ص ٣٨٧.

(٢) عنتر: الدكتور حسن، وحي الله: ص ١٤١.

(٣) مقدمة القرآن لواط ص ١٨، نقلا عن كتاب آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره : ج١، ص ٣٩١.

الوحي هو التجربة الذهنيَّة والفكريَّة للنّبيِّ ﷺ وأنّ كلّ ما أدركه النّبيُّ كان نتيجة قدرته على التركيز واستدامته ذلك على مستوى تجريدي لا يستطيع غيره أن يتحمَّله ولذا كان النّبيُّ يختار أوقاتاً خاصّة له كساعات اللّيل لأنّها أدعى للفكر وأصفى للرُّوح وأكثر استجابة لعواطفة.

هـ) الوحي الكهانتي

«زعم أصحاب الموسوعة البريطانيَّة أنّ أسلوب الوحي المحمّدي جاء نثراً مُقفّى أو ما يسميه العرب بالسَّجع وقد استعمل هذا الأسلوب سابقاً من قِبَلِ الكهنة ومن قِبَلِ المُنجّمين...»[(١)].

و) وحي الصّرع والهستيريا

يقول صاحب كتاب آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره نقلاً عن كثير من المستشرقين أنّهم يزعمون أنّ ما كان يعتري محمداً ﷺ من حالات مردُّها إلى الصَّرع والهستيريا حيث قال:

«زعم كثير من المُستشرقين والمُبشّرين أمثال (الويز سبرنجر) و(جوستان فايل) وغيرهم أنّ الحالة الّتي كانت تصيب رسول الله ﷺ حالة صرع يغيب فيها عن النَّاس وعمّا حوله ويظل ملقى على إثرها بين الجبال لمدة طويلة يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النّائم ويتصبّب عرقه ويثقل جسمه وبعضهم اعتبرها حالة هستيريَّة وتهيجاً عصبياً يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبيِّ القلق ونفسه كثيرة

---

(١) قضايا قرآنيَّة في الموسوعة البريطانيَّة للدكتور فضل عباس: ص ٤٢.

العواطف بشكل غامض حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرِّق بين تعاقب اللَّيل والنَّهار وقد هزل على أثرها جسمه وشحب لونه وخارت قواه»[١].

وجميع هذا الأقوال قد ذكر المسلمون أجوبة عليها ولكن روماً للاختصار أعرضنا عن ذكرها هنا فمن أراد زيادة المعرفة والتوسّع فعليه مراجعة بعض الكتب الإسلاميَّة الّتي تكفلت بالرّد على مثل هذه الأقاويل ككتاب علوم القرآن للشهيد محمد باقر الحكيم والإلهيات للشيخ جعفر السُّبحاني وآراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره وغيرها من الكتب الّتي تعرضت لهذا البحث.

وممّا لا يخفى على أحد بأنّ جميع هذه الأقوال تنفي الارتباط الرُّوحي والمعنوي للنّبيِّ بعالم الغيب وما وراء الطبيعة وتجعل مصدر تلك التعاليم هي نفس النّبيِّ وذاته وإن اختلفت في تفسير المنشأ كما بيَّنا ولعلَّ السَّبب الذي أدىّ بالمستشرقين للوصول إلى هذه النتيجة الخاطئة هي قياسهم الوحي الإسلامي على نظريّة الوحي عند النَّصارى الّتي كان ملخصها أنّ الرُّوح القدس يحلّ على الكُتَّاب ويلهمهم كتابة الوحي مع عصمته لهم أثناء الكتابة وهذا المعنى من حلول الرُّوح على كُتَّاب الأسفار المقدَّسة ثم قيامهم بالكتابة لا يتصوُّر تحليله إلاّ بالنحو الذي ذكره المستشرقون ولكنَّ هذا يختلف كثيراً عن النظريَّة الإسلاميَّة حول الوحي بشكل عام وذلك لأن النظريَّة الإسلاميَّة تثبت وجود الارتباط بالله وبعالم

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره: ج١ ص ٣٩٨.

الغيب بين النّبيّ وربّه بنحوٍ منفصلٍ كلٌّ منها عن الآخر من دون أيّ مخالطة أو امتزاج بينما النظريَّة المسيحيَّة تعتبر أنّ روح القدس تحلُّ على الكتَّاب عند التدوين وبذلك يصبح الرُّوح القدس مخالطاً لبدن الإنسان وروحه وبالتالي تحصل الإفاضة لتلك التعاليم الإلهيَّة من داخل الإنسان وباطنه لا أنّ مصدر الوحي شيء خارج عن ذات النّبيّ وروحه كما عليه أكثرُ المسلمين.

نظريَّة فلاسفة الغرب حول الوحي

ذهب فلاسفة الغربيين في فترة زمنيَّة خاصّة إلى إنكار الجانب الرُّوحي والمعنوي المرتبط بعالم الغيب في مسألة الوحي وردّوا ذلك كلّه (أي مسألة الوحي) إلى الخرافات القديمة معللين ما ورد منسوباً إلى الوحي في الكتب القديمة كالتَّوراة والإنجيل مثلاً إلى اختلاق المتنبِّئة ذلك من عند أنفسهم لأجل جذب النَّاس إليهم وتسخيرهم لمشيئتهم أو للهذيان المرضي الذي يعتري بعض العصبيين فيُخيَّل لهم أنَّهم يرون أشباحاً تكلِّمهم بينما هم في الحقيقة لا يرون في الواقع أيّ شيء وقد أسهب الأستاذ فريد وجدي في شرح هذه النظريَّة وكيفيَّة نشوئها حيث قال:

«كان الغربيون إلى القرن السّادس عشر كجميع الأُمم المتديِّنة يقولون بالوحي وكانت كتبهم مشحونة بأخبار الأنبياء فلمّا جاء العلم الجديد بشكوكه ومادِّيته ذهبت الفلسفة الغربيَّة إلى أنّ مسألة الوحي هي من بقايا الخرافات القديمة وتغالت حتى أنكرت الخالق والروح معاً وعلّلت ما ورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنّه اختلاق من المتنبأة أنفسهم لجذب النَّاس إليهم وتسخيرهم لمشيئتهم وإمّا هذيان مرضي يعتري بعض العصبيين فيُخيَّل إليهم أنَّهم يرون اشباحاً تكلِّمهم

وهم لا يرون في الواقع شيئاً راج هذا التعليل في العالم الغربي حتى صار مذهب العلم الرَّسمي فلمَّا ظهرت آية الرُّوح في أمريكا سنة ١٤٨٦م سرت منها إلى أوربا كلِّها وأثبت النَّاس بدليل محسوس وجود عالم روحاني آهلٍ بالعقول الكبيرة والأفكار الثاقبة تغيَّر وجه النظر في المسائل الرُّوحيَّة، وحُيِيتْ مسألة بعد أن كانت في عداد الأضاليل القديمة وأعاد العلماء البحث فيها على قاعدة العلم التجريبي المقرّر لا على أسلوب التقليد الديني ولا من طريق الضرب في مهام الخيالات فتأدَّوا إلى نتائج وإن كانت غير ما قرره علماء الدين الإسلامي إلا أنَّها خطوة كبيرة في سبيل إثبات أمر عظيم كان قد أحيل إلى عالم الأمور الخرافيَّة»[1].

النَّظريات الثلاث الّتي ذكرها الشَّهيد مطهري

١) النّظريّة العاميّة

عندما نذكر مسألة الوحي أمام العوام يتبادر إلى أذهانهم أنّ الله تعالى موجود ومستقر في الأعالي في السّماوات فيما يعيش النّبيّ بيننا على الأرض وبالتالي فهناك مسافة شاسعة وكبيرة جداً بين الله تعالى ونبيّه.

فإذا أراد الله أن يوصل تعاليمه إلى النّبيّ فهو بحاجة إلى مخلوق يقطع كلّ تلك المسافة كما لابدّ وأن يكون ذلك المخلوق ذا عقل وإدراك حتى يكون بمقدوره حمل تلك التعاليم والمعاني وإيصالها إلى الأنبياء

---

(١) وجدي: محمد فريد، دائرة المعارف القرن العشرين: ج١٠، ص ٧١٢- ٧١٣.

وعليه فينبغي أن يكون لهذا الموجود بُعدٌ إنسانيٌّ أيضاً حتّى يكون بمقدوره حمل تلك التعاليم وإيصالها إلى النّبيّ الذي هو أحد أفراد الإنسان كما وأنّه لابدّ وأن يكون مُمتلكاً لبعض المقدّمات الّتي تمكنّه من قطع تلك المسافة الشّاسعة كأن يكون له جناحين[١] مثلاً يستطيع أن يحلّق بهما بين السّماوات والأرض ولذا فإنّ العوام عندما يريدون أن يعبِّروا عن الملائكة في رسوماتهم فإنّ ما يرسمونه هو أقرب ما يكون إلى إنسان له رأس ويدين ورجلين وعينين ولكن بإضافة جناحين إليه على غرار أجنحة الطير يسمُّونه ملاكاً هذا هو ملخَّص نظريتهم يقول الشّهيد مطهري في هذا المجال:

«هذا هو أحد التصورات السَّائدة فلأنّ الله مستقر في الأعالي فهو ينقل ما يريد إبلاغه إلى نبيّه لذلك الملك فيحلق الملك ويهبط من السّماء إلى الأرض ثم يتحدّث مع النّبيِّ بهذه الأذن [الماديَّة] ويراه بهذه العين والنّبيّ يرى من جهته أنّ إنساناً مجنَّحاً قد هبط إليه ودخل عليه الباب وألقى إليه بكلامه ثم مضى ولكن كيف يتلقّى النّبيُّ كلام الله؟ من الطريق ذاته الذي يتلقّى به كلامنا مع فارق أنّ النّبيَّ يسمع كلامنا وينظر إلينا بلا واسطة أمّا كلام الله فيسمعه ويتلقاه عن طريق إنسان مجنّح لأنّ الله مستقر في مكان قصي هذا نمط من التصوّر يحمله عامّة النَّاس حيال الوحي»[٢].

---

(١) طبعاً بعض أجزاء هذه النظريَّة العاميَّة لها مناشئ شرعيَّة موجودة عندنا في الروايات، فمثلاً الروايات وصفت بأنّها أي الملائكة ذات أجنحة وكذا بعض الروايات الأخرى وصفت لنا جبرائيل بأنّه يدخل عليه على صورة إنسان أي على صورة دحية الكلبي ويجلس أمامه جلسة العبد ويبلّغه رسالات ربّه.

(٢) سلسلة أصول الدين: النبوّة: ص٥٥-٥٦.

٢) النظريَّة التنويريَّة

وملخّص هذه النّظريَّة هو تفسير الوحي بالانبثاق من باطن فكر النّبيً إلى ظاهر فكره لأنّه نابغة اجتماعيَّة.

حيث كتب السّيد أحمد خان الهندي ما مفاده ذلك، وتبعه آخرون عليه حاملاً جميع التعابير الّتي تتصل بمسألة الوحي من قبل الله تعالى ونزول الملائكة والتشريعات السَّماويَّة وما يرتبط بها على أنّها مجرّدُ تعابير مجازيَّة لا واقعيَّة لها في عالم الخارج والحقيقة، بمعنى أنّه لا يوجد نزول حقيقيُ للوحي من قبل الله، كما وأنّه لا نزول حقيقي للملائكة والشّرائع والتَّعاليم من جهة عُليا وراء حقيقة الإنسان وباطنه يقول الشّهيد مطهري في مقام توضيح نظريَّة هؤلاء:

«يقوم منطق هؤلاء على أنّ النّبيَّ نابغة اجتماعيَّة بيد أنّه نابغة محب للخير وهذا النابغة الذي وهبه الله هذا النبوغ ظهر في المجتمع وراح يتأمل بأوضاع مجتمعه ويرصد ما يحيط بالنَّاس من أوضاع وضروب فساد وعندما يدرك ذلك كلّه وينفعل به يفكر بتغيير أوضاع النَّاس، وبالنبوغ الذي يحظى به يرسم للناس طريقاً صحيحاً جديداً ويبيّنه لهم .

وعندما تسأل هؤلاء إذن ما هو الوحي؟ وماذا يعني الرُّوح الأمين وروح القدس؟ يردُّون: بأنّ روح القدس ليس إلا الروح الباطنة للنابغة والعمل الروحي الذي يتمتع به ويسبغ عليه الإلهام.

فالنابغة يأخذ الإلهام من باطنه وليس من موضع آخر ولما كانت الأفكار تنبثق من أعماق روحه ثم تنطلق إلى سطحها فنحن نقول إنّ الرّوح الأمين جاء بها ولمّا كان الله هو مصدر جميع الأفعال وكلّ شيء

بيده فالله إذن هو الذي بعث النابغة لأنّ أيّ فعل لن يكون إلاّ أن يشاء الله بهذا يكون معنى الوحي في هذه النظريَّة هو الانبثاق وعمق فكر النّبيّ إلى ظاهر فكره.

وعندما نسأل وما الملائكة يا تُرى؟ يردّون ما الملائكة إلاّ قوى الطبيعة ذاتها، الملائكة هم عبارة عن القوى الموجودة في الطبيعة ولمّا كان الله يستخدم هذه القوى فتكون الملائكة تحت اختياره إذن»[١].

٣) نظريَّة الإدراك الباطني الخاص

هذه النظريَّة لا تؤمن بالوحي على أساس أنّه ليس أكثر من أنّ الإنسان يسمع كلاماً بأذنه الماديَّة كما نسمع نحن ولكنّ بتوسط ملك ذا جناحين يهبط عليه من السّماء كما تصوِّر النظريَّة الأولى، كما وأنّها لا تتعامل مع الوحي وما يتَّصل به كأمور عاديَّة نابعة من ذات النّبيّ ونفسه وأنّ إطلاق الوحي من قبل الله عليها أو نزول الملائكة أو الشّرائع مجرّد تعبيرات مجازيَّة لا حقيقة لها في الخارج كما أوضحنا في النّظريَّة الثانية، ولكنّها تنطلق من قناعة فحواها أنّ لجميع البشر إدراكاً وشعوراً وحسّاً باطنياً خاصاً إضافة لما يتمتّع به الإنسان من العقل والحسّ المادي الذي يساعده على فهم وإدراك كثير من الأمور ولكن غاية الأمر أنّ هذا الإدراك والإحساس الباطني يتفاوت من شخص لآخر فهناك بعض النّاس يبلغ فيهم هذا الإحساس إلى درجة قويَّة جدّاً بحيث تؤهِّل صاحبها للارتباط الحقيقي بعالم الغيب وما

---

(١) مطهّري: مرتضى، سلسلة أصول الدين: النبوّة: ص٥٦-٥٧.

وراء الطبيعة أمَّا ما هو ذلك العالم فإنّ عقولنا وإمكانياتنا الماديَّة عاجزة عن فهم حقيقته وكنهه.

ثم نتيجة لهذا الارتباط الخاص الذي ينشأ بين بعض الأفراد وذلك العالم تنفتح لهؤلاء أبوابه على نحو الحقيقة وبالتالي فإنّهم يرون ذلك العالم ويأخذون منه التعاليم والشّرائع واقعاً لا مجازاً وعليه فغاية ما يقدّمه هؤلاء في هذه العمليَّة هو أنّ لهم استعداداً خاصّاً بهم يؤهِّلهم للإتصال بما وراء هذا العالم المـادّي مع غضٍّ النَّظر عن حيثيَّة النُّبوغ الّتي يحملها الشّخص أو لا[١]:

ولتقريب هذه الفكرة إلى الذِّهن يذكر الشّهيد مطهَّري مثالاً فيقول:

«لنفرض أنّ هناك شخصين يتساويان بالنبوغ الفردي ولكن لأحدهما ارتباط مع خارج ايران عن طريق الهاتف أو السَّفر أو البريد... ممّا يؤدي إلى أن يحصل على أخبار خاصَّة لا يعرفها صاحبه الذي يساويه في النُّبوغ الفردي إنّ ما يزيد به الأوَّل عن الثاني هو الوسيلة والحسٍّ والارتباط الذي يملكه في الخارج»[٢].

ومن المسلّم به أنّ هذا الاستعداد الذي يحمله بعض البشر بحيث يؤهلهم للارتباط بعالم ما وراء الطبيعة ليس مختصّاً بالأنبياء كما صرّح بذلك نفس القرآن الكريم معترفاً بوجود هذا الارتباط الخاص بين ذاك

---

(١) ممَّا لا شكّ فيه أن الشّخص الذي ينفتح ذلك العالم له ويطلع على ما فيه من حقائق ومعلومات فسوف يصبح نابغة عصره قطعاً وجزماً.

(٢) سلسلة أصول الدين: النبوّة : ص ٥٨- ٥٩.

العالم وبين بعض الأفراد الّذين لم يكونوا أنبياءاً فمريم عليها السلام لم تكن نبيّة ولكن كان لها ارتباط وثيق بالعالم الآخر فقد كانت الملائكة تنزل عليها باعتراف كلا الدّيانتين الإسلاميَّة والمسيحيَّة حتى أنّ الملائكة كانت تأتيها بالرِّزق والغذاء من وراء حجب الغيب كما نصّ على ذلك القرآن الكريم ممّا أثار دهشة نبي الله زكريا فتوجَّه لمريم عليها السلام سائلاً:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

وقد أُطلق على أصحاب هذا الحسّ والشُّعور من غير الأنبياء لقب المحدَّث لأنّه ليس نبياً ولا رسولاً ولكنّه يُحدّث فيسمع كما صرحت به العديد من رواياتنا:

منها:

«عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرَّسول والنّبيّ والمحدَّث؟ قال: الرسول الذي .... وأمّا المحدّث فهو الذي يُحدَّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه»(٢).

وقد تبنّى هذه النَّظريَّة العديد من الفلاسفة والمتكلمين الإسلاميين

---

(١) سورة آل عمران:٣ : ٣٧.

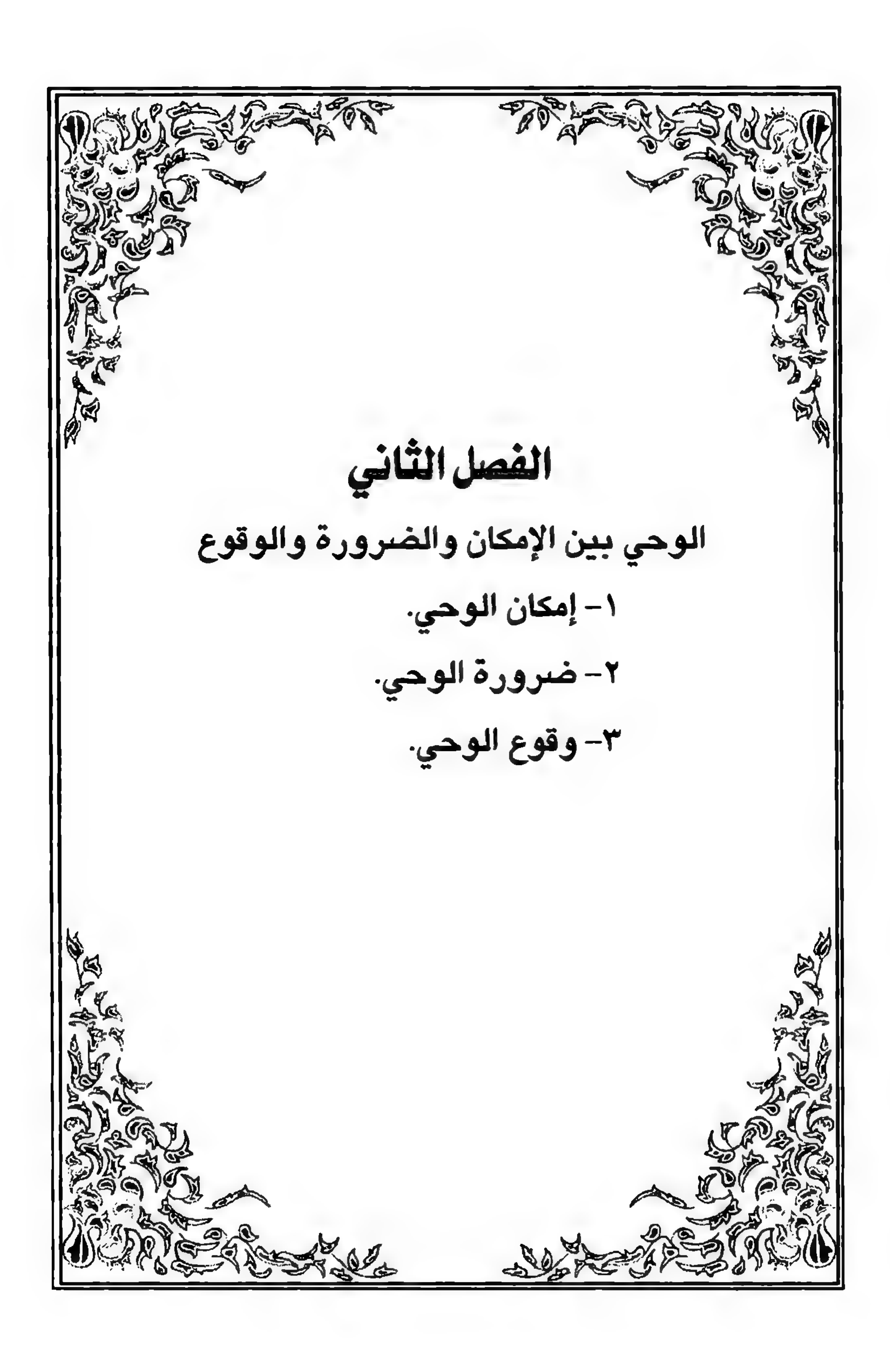
(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، أصول الكافي: كتاب الحجّة: باب الفرق بين الرّسول والنّبي والمحدّث: ج١، ص٢٣٠– ٢٣١.

منهم الشَّيخ جعفر السّبحاني في كتابه الإلهيات، حيث قال في خاتمة بحث الوحي:

«فحقّ المقال في الوحي ما ذكرناه في صدر البحث من أنّه مجهول الكنه معلوم الآثار يجب الإيمان به كالإيمان بالغيب على الإطلاق»[1].

---

(١) الإلهيات: ج٣، ص١٥١.



الفصل الثاني

الوحي بين الإمكان والضرورة والوقوع

١- إمكان الوحي.

٢- ضرورة الوحي.

٣- وقوع الوحي.

إمكان الوحي

بعد أن اتضح لنا أنَّ الوحي عبارة عن نوع علاقة وارتباط روحي غيبي خارج عن إطار المادة والطبيعة يحصل بين الله عز وجلّ وبين أنبيائه باعتراف جميع الأديان الثلاثة، بالإضافة إلى العلاقة الجَّديدة الحاصلة بين الله وابنه المسيح بناءً على ما يعتقده المسيحيون، يتّصل من خلاله ربُّ العزة والجلال، بالعالم السّفلي ويوصل إليه ما يريد تبليغه من شريعة وأحكام...

ولكّن السّؤال الجدير بالطَّرح هنا أنّه هل من الممكن والمعقول وجود مثل هكذا علاقة وارتباط بين عالمين متباعدين عن بعضهما إلى هذا الحدّ؟ أو أنَّ هناك مانع يقف في وجه نُشوء هكذا علاقة بين الله وبين بعض الأفراد من بني البشر، وذلك لأنَّ كلّ طرف يرتبط بعالم يغاير الآخر لأنَ أحدهما علوي غيبي مجرَّد عن كلّ قيد ومادَّة بينما الثاني سفلي له ارتباط وثيق بعالم الطبيعة والمادَّة إذْ من الصعب جداً تصوُّر وجود مثل هكذا علاقة وارتباط بين عالمين متباعدين عن بعضهما كلّ هذا البُعد.

ولكنَّ البعض قد حلّ هذه المشكلة عن طريق القول بأنَّ للإنسان وجودين أحدهما روحاني أصيل معَّبر عنه بأنا ـ أنتَ، لا يتبدّل ولا يتغيَّر، وجود وراء وجوده الجسماني ويُعبَّر عنه أحياناً بالذات، وآخر مادّي جسدي، وعن طريق الأول يمكنه الاتصال بالعالم الرُّوحاني والغيبيّ وبما وراء عالم الطبيعة، وعن طريق الثاني يرتبط بالمادَّة واحتياجاتها وقد أقام

العلماء العديد من الأدلّة القديمة والحديثة الدالة على وجود الروح والبُعد الرُّوحي في الإنسان قد ذكرت في محلّها.

و ممّا لا شكَّ فيه أنّه لم يقم الدّليل على وجود مانع من نُشوء مثل هكذا علاقة بين الله تعالى وبين أناسٍ خاصِّين يحملون استعداداً خاصّاً وفطرة مميزة وصفاءاً نفسيّاً متّسماً بالنقاء والطهارة من كلِّ الشّوائب إذْ لم يستطع العِلم قديمُهُ وحديثة أن يقدم دليلاً واحداً يقف في وجه إمكان الوحي نظَرِياً وبالتالي فإنّ عدم قدرة البشر للتوصّل إلى فهم هذه العلاقة المسمّاة بالوحي والوصول إلى حقيقتها وكُنهها عن طريق عقولهم وادراكاتهم القاصرة الّتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعالم المّادة وبالأُنس بالمحسوسات لا يجعل تلك العلاقة الرُّوحية الغيبيَّة المرتبطة بعالم ما وراء الطبيعة أمراً مستحيلاً إذْ إنّ عدم إدراك وفهم شيءٍ من الأشياء لا يدل على عدم وجوده واستحالته، بل إنَّ هذا الإنسان المادي في الأعم الأغلب نراه عاجزاً عن فهم كثيرٍ من الحقائق الموجودة أمام عينيه ولا يمكنه إنكارها، فالعلم الحديث مع ما توصَّل إليه من تقدم وتطور استطاع من خلاله أن يقسم الذّرة ويقتحم السّماء بقي عاجزاً عن فهم حقيقة المادّة وممّا تتكوّن بل إنّ العالم الفرنسي الكبير (فيلستي دي لامنه) سنة ١٨٥٤م قال:

«كم هو أحمق ذلك الذي ينكر مبداءً ثم يقول لأني لا أفهم حقيقة ذلك المبدأ فهو إذن غير موجود»[١].

ثم أضاف وقال:

---

(١) فلسفة الوحي والنبوّة : ص ١٧٢ الهامش.

«إن مثل هذا الإنسان إذا استطاع أن يدرك ويفهم حبّة رمل واحدة فأنا أضع الله بين يديه»[١].

فإذا كان هذا الإنسان مع كلٍّ ما يمتلكه من طاقات عقليَّة وقدرات علميَّة هائلة وتطور علميّ كبير عاجزاً عن فهم حقيقة حبّة رمل يراه أمام عينه ويدوس عليها بقدميه فكيف به الحال في فهم حقيقة علاقة روحيَّة معنويَّة غيبيَّة قلّ نظيرها لأنها خارجة عن المعتاد والأطر الماديَّة والطبيعيَّة وبالتالي لا مجال للوصول إليها عن طريق الحواس، وإن كان البعض قد جعل من هذه النقطة منطلقاً لإنكار وجود الوحي المنبثق عن عالم الغيب والنبوّة راداً كلّ ما صدر عن الأنبياء السّابقين إلى الخرافات أو ما صدر عن نبينا الأكرم ﷺ إلى حالات النبوغ الذاتي أو الصّرع والهستيريا أو التجربة الذهنيَّة الفكريَّة أو للتأثُّر والإنفعالات العاطفيَّة أو للأسباب الطبيعيَّة العاديَّة. والتي مردُّ جميعها في المَحصل والنتيجة إلى إنكار هذه العلاقة الغيبيَّة الرُّوحيَّة القائمة بين الله تعالى وبين أنبيائه كما يفهم ذلك من الشُّبهات الّتي أثارها المستشرقون حول ظاهرة الوحي[٢] إذ إنّ عجز عقولهم ومختبراتهم العلميَّة عن تفسير ظاهرة الوحي والوصول إلى حقيقتها أدىً بهم للتفوُّه بمثل هذه الأقوال السّخيفة الّتي إذا ما وضعت على بساط النّقد العلمي سرعان ما تتلاشى.

ومن هنا يتضح لنا بأنَّه لا يوجد أي دليل علمي دال على امتناع حصول هذا الارتباط بعالم الغيب حتى باعترافهم كما مرَّ ويأتي معنا عند

---

(١) نفس المصدر السّابق هامش: ١٧٣ .

(٢) قد تعرّضنا لذلك مفصّلاً في الفصل الأوّل عند تعرّضنا لذكر النظريات المطروحة في الوحي فراجع.

الحديث عن نظرة بعض الغربيين المنكرين للوحي، بل إنّ بعض علماء الإسلام وغيرهم ذكروا بعض المؤيدات الدّالة على إمكانه منها:

أ) إنَّ بعض النَّاس إذا نظروا إلى أنفسهم ووجدانهم لشعروا في بعض الأحيان أن شيئاً يُلقى في باطنهم وروعهم من دون أن يعرفوا ماهيَّة ذلك الشّيء ولا مصدره بالتحديد ولكنَّهم يدركون أنّه من جهة غيبيَّة وراء الطبيعة وهذا الشُّعور وتلك الحالة قد تحصل حتى لأولئك الماديين الّذين يجعلون المادة أساساً في كل شيء كما ينقل الشّهيد مطهري عن أحد الماديين ذلك حيث قال:

«قد تحصل لبعض النَّاس إلهامات من دون أن يعرف علَّتها وبالبداهة فإنّ هذه الإلهامات موجودة فالإنسان يحسُّ فجأة أنّ شيئاً ألقي في روعه، يحسُّ أنه أدرك شيئاً من دون أن يعرف ما هو، هذا ضرب من الإلهام، والمدهش ما حصل لرجل ربّما كان طابع أغلب كلامه مادّياً (يبدو من جهة معينة أنه إنسان مضطرب الكلام لا أريد أن أذكر اسمه) حيث يقول: كنتُ أدرس في باريس وقد تزوجتُ بامرأة أجنبيَّة، تواعدتُ مع زوجتي يوماً أن نذهب إلى السّينما معاً في السّاعة الرابعة والنصف بعد الظهر مثلاً وحدّدنا مكاناً نلتقي فيه عند محطة المترو حيث ينبغي أن نهبط بالسَّلالم نحو الأسفل.

يقول: وصلتُ قبل الموعد ببضع دقائق وفجأة وكأن عقلي استضاء بنور فتراءت أمامي طهران، رأيتُ بيت أخي وقد همّوا بإخراج جنازة أبي من البيت ثم رأيت النَّاس تشيع الجنازة، أحسستُ بالضّعف وتغير لوني، عندما جاءت زوجتي بعد ذلك سألتني عن حالي، ولماذا تغيَّر لوني؟ أجبتها بأنَّ شيئاً لم يحصل، ثم انقطعت رسائل أبي بعد ذلك.

كانت لي علاقة وطيدة بأبي وهو كذلك رأيتُ بعدها أنّ أخي راح يكتب لي الرسائل لأنه لا يرغب أن أتألَّم، إلى أن أصررتُ عليه أن يكتب لي كيف حصل الحادث فاتضح لي أنَّ الأمر كما رأيته، وقد توفِّي في السّاعة واللّحظة ذاتها (حيث كنت دونتها عندي) في بيت أخي وبالصيغة نفسها الّتي انكشفت لي، لقد سمعت ذلك من الشّخص نفسه وإذا كان كاذباً فقد سمعت ذلك منه شخصياً»[1].

ومن الواضح أنّ وجود مثل هكذا شعور وحالات عند بعض النَّاس ليس مصدرها المادّة والحواس ولا التجربة بالبداهة، وإنَّما مصدرها ما وراء ذلك وإنْ عجزوا عن تحديد هويَّته وبهذا يتَّضح لنا أنّ الاتصال بعالم الغيب وما وراء الطبيعة ممكن حتى لبعض النَّاس العاديين بل للماديين أيضاً وعليه فما المحذور من الالتزام بوجود هذا الارتباط والاتصال بعالم الغيب المجرَّد في حق الأنبياء والمرسلين ولكن بدرجة أقوى وأشدّ يدرك من خلالها المُتلّقي مصدر تلك الالقاءات والإلهامات ويحدد هويّته وماذا يريد من إلقائها في روعه وخُلده.

ب) إنَّنا إذا نظرنا إلى عالم الحيوان وما يحكمه من بعض الأنظمة الغريزيَّة الّتي تتحرّك من خلالها نحو الهدف المنشود لها في استمراريَّة الحياة والبقاء كالحَمَلِ الذي تلده أمُّه يقوم ويبحث عن ثدي أُمِّه ليلتقمه أو النّمل والنّحل عندما تخرج من بيضها وتسير كباقي أفراد خليتها وتقوم بما عليها من الواجبات والمتطلبات الّتي لم تكن خاضعة لا للتّعلم ولا للتجربة

---

(١) مطهري: مرتضى، سلسلة أصول الدين: النبوّة: ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

والوارثة، فإنَّ الحَمَلَ عندما يولد لا يرى أمه قد إلتقمت ثدي أخرى حتى يفعل مثلها ولم يجرّب هو ذلك بنفسه لأنّه لم يتذوّق طعمه من قبل.

إذن فما يصدر من هذه الحيوانات من تصرُّفات باهرة ليس مصدرها عالم الطبيعة والمادة ولا الحواس والتجربة وإنّما مصدرها تلك الغريزة الملهمَة لها من عالم ما وراء الطبيعة وعليه فإذا كان الاتصال بعالم الغيب وبما وراء الطّبيعة ممكناً وحاصلاً حتى بحق هذه الحيوانات الّتي لا وجود آخر لها غير وجودها المّادي فكيف بالإنسان الذي يتمتع بجنبة روحيَّة تأهِّله للاتصال والارتباط بالعالم الرُّوحي والغيبيّ فالقول بإمكان حصول مثل هكذا ارتباط مع عالم ما وراء الطبيعة في حقّه أولى، وإلى هذه المسألة وأهميتها أشار الشّهيد مطهري في بحثه حول مسألة النبوَّة، وملخَّص ما قاله:

إنَّ من المسائل المهمَّة والتي أُلّفت حولها كثيرٌ من الكتب ودارت حولها كثيرٌ من الأبحاث والدراسات العلميَّة الّتي ترتبط بعالم الحيوان وما فيه من الأنظمة والقوانين الّتي تحكم ذلك العالم حيث إنَّ الباحثين قديماً وحديثاً ومن خلال بحثهم وتجاربهم حول الحيوانات والحشرات اصطدموا بوجود العديد من الغرائز الّتي تحكم هذه الحيوانات وتسيِّرها نحو أهدافها ولكنَّهم بقوا عاجزين عن اكتشاف مصادرها، لأنّها ليست مرتبطة بالتَّعلم والكسب ولا بالتجربة والوراثة.

ثم يُضيف الشّهيد مطهري مُبيِّناً السّبب في ذلك حيث يقول.

«وأمَّا أنَّه لم يُكْتَسب ذلك عن طريق التعليم فلأنَّ الشّواهد تُشير إلى أنَّ هذا الكائن لم يتلقّ تعليماً من أمِّه لما ينبغي له أن يقوم به ومثال هذه الحالة بسيط جداً لا حاجة فيه إلى قول العالم الخبير وهو يسجِّل مثلاً ! إنّ وليد الغنم أو الفرس يسعى لأن ينهض من مكانه بعد

ولادته مباشرة (وقد رأيت ذلك مراراً) حتى إذا ما نهض تراه يبحث بفمه عن ثدي أمّه كمن يفتش عن ضالته مع أنّه لم يذق طعمه أبداً لتُسفر المحاولة عن العثور عمّا يريد، وفي هذه الحالة لم يُسجِّل أحد أنَّ هذا الوليد لقي أقلّ إعانة من أمِّه بينما تتجرع هي آلآم الوضع فكيف يستطيع الإنسان أن يزعم أنها أخبرته بطريقة غامضة، بل إنّ هذا الادعاء ليس معقولاً، بالإضافة إلى هذا اثبت العلماء أنَّ هناك بعض الحيوانات لا يرى فيه الجيلُ الجديد الجيلَ الذي سبقه بتاتاً ومع ذلك تراه ينهض بعمله المدهش، إذن لا وجود للتعليم في مثل هذه الحالات.

تبقى مسألة الوراثة واحتمال أن يكون العلم انتقل إلى هذه الحيوانات عن طريق الوراثة وإذا ما كان الطريق متمثِّلاً بالوراثة فينبغي لابن العالم من بين البشر أن يلد عالماً بالتمام فكل من كان عالماً بالأخص إذا انحدر من أجيال علمائيَّة متوالية ينبغي لوليده أن يأتي إلى الدُّنيا عالماً وعندئذ يرد إشكال على الأجيال الأولى من تلك الحيوانات حيث لا يمكن تعلَيل سلوكها لا على أساس التعليم ولا على أساس التجربة كما ذكر ذلك العلماء الّذين بحثوا في هذه المجالات وقد فاتني أن أشير إلى ذلك.

إنَّ هداية كهذه ممَّا توجد في الحيوانات لا يمكن أن يكون لها منشأ غير الإلهام الإلهيّ ولا بدَّ أن يذعن الإنسان بوجود مُنْبَثق لها من غير المصادر العاديّة....»[1].

(١) سلسلة أصول الدين: النبوّة: ص ٩٣ ـ ٩٤.

أضف إلى ذلك ما ذكره بعض علماء السُّنة حول مسألة الوحي وإمكانه، كالعزالي مثلاً الذي يعتبر الحلم وما يراه النّائم إنموذجاً للنبوّة لأنّ النّائم يرى الغيب ويتصل بعالم الغيب في رأيه حيث بيّن ذلك عند حديثه عن جوهر الإنسان ومراحل نشأته وتطور الإدراك عنده حيث قال:

«إعلمْ إنّ جوهر الإنسان في أصل الفطرة خُلِقَ خالياً ساذجاً لا خبر معه عن عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها إلاّ الله تعالى كما قال ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ﴾ وإنّما خبره عن العوالم بواسطة الإدراك وكل إدراك من الادراكات خُلق ليطّلع الإنسان به على عالم من الموجودات ونعني بالعوالم أجناس الموجودات.

فأوّل ما يُخلقُ في الإنسان حاسَّة اللَّمس فيدرك بها أجناساً من الموجودات كالحرارة والبرودة والرّطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرهما واللّمس قاصر عن الألوان والأصوات قطعاً بل هي كالمعدومة في حقّ اللَّمس.

ثم تُخلق لـه حاسّة البصر فيُدرك الألوان والأشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم ينفتح فيه السَّمع فيسمع الأصوات والنغمات.

ثم يُخلق له الذَّوق وكذلك إلى أن يُجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التميز وهو قريب من سبع سنين وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحسّ.

ثم يترقّى إلى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأموراً لا توجد في الأطوار الّتي قبله ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في

المستقبل وأموراً أخرى العقل معزول عنها كعزل قوّة التَّمييز عن إدراك المعقولات وكعزل قوّة الحسِّ عن مدركات التمييز وكما أنَّ المميّز لو عُرضت عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها فكذلك بعض العقلاء أبى مدركات النُّبوة واستبعدها وذلك عين الجهل إذْ لا مستند له إلا أنّه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقّه فيظن أنّه غير موجود في نفسه والأكمه ولو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال وحكي له ذلك إبتداء لم يفهمها ولم يُقرَّ بها وقد قرّب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجاً من خاصّية النُّبوة وهو النّوم إذْ النّائم يُدرك ما سيكون من الغيب إمّا صريحاً وإمّا في كسوة مثال يكشف عن التعبير وهذا لو لم يجربه الإنسان من نفسه وقيل له «إنَّ من النَّاس من يسقط مغشياً عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب» لأنكره وأقام البرهان على استحالته....

والشّك في النبوَّة إمّا أن يقع في إمكانها أو في وجودها ووقوعها أو في حصولها لشخص معيّن ودليل إمكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصوّر أن تُنال بالعقل كعلمي الطّب والنجوم فإنّ من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تُدرك إلاّ بإلهام إلهيّ وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل إليها بالتجربة...»[1] .

يقول الشّيخ محمد عَبْدُه في بحث إمكان الوحي بعد تفسيره الوحي بالعرفان ما نصّه:

---

(١) الغزالي: أبو حامد، المنقذ من الضلال: ص ٥٣ ـ ٥٤.

«أمَّا إمكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحي) وانكشاف ما غلب من مصالح البشر عن عامَّتهم لمن يختصّه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا أراه ممَّا يصعب إدراكه إلاَّ على من لا يريد أن يدرك ويحب أن يرغم نفسه الفهَّامة على أن لا تفهم...

قلتُ أيِ استحالة في الوحي وأن ينكشف لفلان ما لا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم أنّ ذلك من قِبَلِ واهب الفكر ومانح النظر حتى حفَّت الغاية مَن ميَّزته هذه النِّعمة»[١].

مستدلاً على ذلك بتفاوت درجات عقول البشر الذي تشهد به البديهة فإننا إذا نظرنا إلى أفراد المجتمع الإنساني رأينا أنهم يتفاوتون إلى حدّ كبير من حيث الإدراك ودرجات العقول فإنَّ ما هو بديهي عند البعض قد يكون نظرياً عند آخرين ومردّ ذلك ليس فقط للتعلّم والكسب أو التجربة بل للتفاوت في الفطر والاستعدادات الفطريَّة أيضاً (التي لا مدخل فيها لاختيار الإنسان أصلاً) فإن بعض النَّاس يملكُ استعدادات فطريَّة تؤهله لقبول بعض الأمور والمعارف الّتي لا يمكن لغيره أن يصل إليها وهذا ثابت بالمشاهدة والوجدان ومن المسلَّمات الّتي لا يمكن إنكارها وبما أنّ الاستعدادات الفطريَّة عند البشر متفاوتة فلابدَّ من التسليم بأنَّ من النفوس البشريَّة ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعدُّ به من محض الفيض الإلهي لأن تتصل بالأفق الأعلى وتنتهي من الإنسانيَّة إلى الذروة العليا، هذا كلُّه من وجهة نظر علماء الإسلام.

---

(١) عبده: محمّد، رسالة التوحيد: ص ٥٨ ـ ٥٩ .

إمكان الوحي من وجهة نظر يهوديَّة مسيحيَّة

أشرنا سابقاً إلى أنّ بعض العلماء من غير المسلمين كذلك ذكروا بعض المؤيّدات والأدلّة الدّالة على إمكان الوحي، وبعض هذه الأدلّة معتمد على الإيمان والاستعداد الفطري الذي يحملهُ الإنسان فقد ذكر الأب فاضل سيداروس عند تعرضه لبحث الظاهرة الدّينيَّة وإمكانها أو عدم إمكانها ذلك حيث قال:

«كما تراءى لنا أنَّ شرط إمكان الوحي/ الإيمان هو استعداد طبيعي فطري في الإنسان لمعرفة الله بعقله»[١].

والبعض الآخر من الأدلة معتمد على مناقضة إنكار إمكانيَّة الوحي لشهادة طبيعتنا الأخلاقيَّة وشهادة الوجدان والكتاب المقدَّس.

فقد ذكر بعض النصارى[٢] في صدر الجواب على بعض العقليين الّذين أنكروا إمكان الوحي لأنَّه لا يليق بساحة قدسه ـ إذْ إنّ تدخُل الله في الأمور الخارجيَّة والجارية في الطبيعة بعد ترتيبها دليل على نقص ترتيبه، وكشف عن أنَّ خالق هذا الكون ومدبّره ناقص الحكمة والقدرة ـ ما نصُّه:

«لأنَّهم زعموا أنّه لا يليق بعظمة الله أن يتدخّل مباشرة في أمور العالم الجارية لأنّه (في رأيهم) تمّم كل ما يليق أن يعمله في العالم لمَّا أوجد المخلوقات وأعطاها قواها

---

(١) بين وحي الله وإيمان الإنسان ص ١٤٥ .

(٢) أينس: جيمس: علم اللاّهوت النظامي: الفصل الثالث: ص ٣ ـ ١٤ الموقع على الانترنت:

WWW.Answeri/ng-islam.org/Ara bicbooks/the logr/chapter 3 htm 1- 57 k

وصفاتها وهو لا يعمل شيئاً جديداً بعد ذلك أما كلّ ما يحدث بعد الخليقة الأصليَّة فهو ناشئ من القوانين الطبيعيَّة بدون تدخل القدرة الإلهيَّة. وزعموا أيضاً أنّ تدخُل الله في أمور الكون بعد أن رتَّبه يُظهر نقص ترتيبه ويعني أن خالق الكونِ ومنظِّمهُ ناقص الحكمة والقدرة ولذلك أنكروا إمكان الوحيَ»[1].

فلأجل دفع هذا النَّقص عن الخالق جلّ وعلا أنكروا إمكانيَّة الوحي ولكن المُجيب ذكر وجوه أربعة بيَّن فيها ضعف مقولتهم بإنكار إمكانيَّة الوحي حيث قال:

هناك أربعة أدلّة على ذلك:

١- «إنَّه (أي إنكار إمكانيَّة الوحي) يناقض طبيعتنا الأخلاقيَّة لأنّنا نشعر دائماً أنّنا في حضرة الله الذي يرى أعمالنا ويرتّب أحوالنا ويعمل دائماً في جميع أمورنا تأديباً لنا أو ودفاعاً عنّا وهو ليس إلهاً بعيداً عنّا بل هو قريب به نحيا ونتحرك ونوجد يحصي شعور رؤوسنا وبدونه لا يسقط عصفور على الأرض ».

٢ - «إنه يناقض شهادة وجدان البشر (نفوسهم وقواها الباطنة) فكلّ الأمم يشعرون أنهم ملتزمون بالاعتراف بوجود إلهٍ قادر على كل شيء يعتني بكل الأمور»[2].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

٣- «لأنّ كلّ البشر كانوا يتوقعون في كل القرون إعلاناً أو وحياً من الله ويظهرون استعدادهم لقبول كلٍّ من يدَّعي ذلك حتّى صاروا عُرضة للغش من أنبياء كذبة كثيرين،[1] وبرهان ذلك أنّ الكُتب الدينيَّة ليست عند المسيحيينً فقط فإنَّ عند غيرهم كتب كثيرة يعتقدون أنّها منزلة فلو كان الوحي مناقضاً للعقل لما توقّعه العالم أجمع واعتقد بوجوده، وإذا كان الله قد وهب النُّطق للبشر ليقدروا أن يعبِّروا عن أفكارهم لغيرهم ويسطِّروها حتى تصل لجميع النَّاس على مرَّ الأجيال فكيف لا يخاطب واهب النطق خلائقه؟».

٤ - «إنّه يناقض الكتابَ المقدَّس الذي يقول إنّ الله حاضر على الدوام وإنّه يعمل متى شاء وكيف اختار وحيث أراد»[2].

وخير دليل ساقته جميع الأديان لإثبات إمكان الوحي هو وقوعه كما يفهم من كلام الغزالي وجيمس أينس.

الغربيون وإنكار الوحي

إنّ وجود هذا التغاير الكبير بين العالم العلوي والعالم السُّفلي وعدم القدرة على تصوُّر الارتباط بينهما أدّى ببعض الغربيين فلاسفة وغيرهم إلى إنكار ظاهرة الوحي، «أي الارتباط بعالم الغيب وما وراء الطبيعة» والسّبب في ذلك هو تغلغل الفكر المادي في أوساطهم حيث إنّه في القرن الثامن

---

(١) سوف يأتي معنا في الفصل الرابع أن أنبياء بني إسرائيل لم يكونوا كلّهم أنبياءاً بالمعنى المصطلح عليه الآن بل إنّ بعضهم كان من المتنبئين ولذا وصف بعضهم هنا بالكذبة.

(٢) نفس المصدر السابق .

والتاسع عشر للميلاد ظهرت في أروبا الحركة الماديَّة الإلحاديَّة الّتي تفسر كلّ شيء على أساس ماديّ تجريبي وهذه النّظرة هي الّتي كانت محكّمة في دراستهم لكل المسائل ومن هنا كانت نظرتهم للإنسان قاصرة لأنّها مبنيَّة على ذلك، إذْ إنَّهم أغفلوا الرُّوح والجنبة الرُّوحيَّة والمعنويَّة الّتي يتمتَّع بها الإنسان ونظروا إليه كقطعة ماديَّة لا علاقة لها بما وراء الطبيعة، أنكروا من خلالها ظاهرة الوحي الإلهي، ولكن سرعان ما تلاشت تلك الحركة الماديَّة وظهرت مكانها في أمريكا حركة روحيَّة تُقيم للرُّوح وللمعنويات وزناً ومن هنا انصبَّ البحث في كثيرٍ من الكتب الإسلاميَّة وغيرها على إثبات الرُّوح ووجود تلك الجنبة الرُوحيَّة والمعنويَّة الّتي تمكِّن الإنسان من الاتصال بعالم الغيب وبما وراء الطبيعة ولكن مع ذلك بقيت خطوتهم قصيرةً جداً لأنهم اعتبروا أن تلك الرُّوح هي مصدر تلك الإلهامات والتعاليم الّتي تصدر عن الأنبياء وعلى هذا الأساس فسّروا ظاهرة الوحي، ومن العجيب أنّ بعض هؤلاء قد أقرُّوا بعدم وجود أيٍّ دليل على وجود مثل هكذا ارتباط بعالم الغيب أو عدم وجوده، ومع ذلك اعتبروا أن الرُّوح هي مصدر تلك التعاليم فقد ذكر صاحب كتاب آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، عند تعرضه لشبهة الوحي النفسي الّتي ذهب إليها بعض المستشرقين والتي مرَّ بيانها سابقاً.

«قالوا: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عمَّا رأى وسمع ولا نشك في كونه مصلحاً اجتماعياً وعبقرياً فذّاً وإنَّما نقول أن منبع ذلك إلهام من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يُقال إنه وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع النَّاس فإن هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالمحال فمنازعُ نفسه العالية وسريرتها الطاهرة وقوة إيمانه وخياله

الواسع وإحساسه العميق وعقله الكبير وذكاؤه وذوقه السَّليم مما كان لذلك التأثير بأن يتجلى في ذهنه ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الرُّوحيَّة فيتصور أن ما يعتقده ألهياً نازلاً عليه من السَّماء بدون وساطة أو عن طريق رجل يتمثل له يلقِّنه ذلك أو سَمعه يقول له شيئاً في المنام والقرآن شيئاً من هذا الذي يراه ويتخيّلهُ وإنَّما كل ذلك نابع من نفسه ومن عقله الباطن...»[1].

فهؤلاء مع تسليمهم بعدم وجود دليل يدل على إنكار عالم الغيب وإلحاقه بالمحال جعلوا منشأ تلك الإلهامات والتعاليم عقله الباطن ومنازع نفسه العالية أضف إلى ذلك ما ذكره الملحد المشهور الفيلسوف الانكليزي ديڤيد هيوم ـ المولود سنة (١٧١١) والمتوفى سنة (١٧٧٦) ميلاديَّة:

«الدِّيانة في كل أبوابها لغز وسِرُ لا يُحلُّ، ومعظم ما نحصل عليه من أدّق البحث عن هذا الموضوع هو الشّك وعدم التأكّد والتوقّف عن الحكم»[2].

وبهذا يظهر لنا إمكان الوحي عقلاً ـ إذ لم يستطع العلم قديمه وحديثه بل حتّى الّذين أنكروا الوحي أن يقدّموا دليلاً واحداً يدل على استحالته وعدم إمكانه.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره: الشّبهة الأولى: الوحي النفسي: ج ١، ص ٣٨٢ .

(٢) اللاّهوت النُّظامي: الفصل الثالث، الأدلّة على لزوم الوحي.

خلاصة البحث

يظهر لنا وجود العديد من الأدلة المشتركة بين الأديان الثلاثة والتي سيقت لبيان إمكان الوحي منها:

١- الاستدلال على إمكان الوحي بوقوعه، حيث إنّ الأديان الثلاثة قد استدلّت على الإمكان بالوقوع كما يفهم من العبائر الّتي نقلناها سابقاً.

٢- الاستدلال بالاستعداد الفطري والشّعور الوجداني الذي يحمله الإنسان حيث إنّ الجميع قد استدلوا على إمكان الوحي بذلك ولكن كل على طريقته الخاصّة، فبعض المسلمين قالوا بأنّ الإنسان لو رجع إلى نفسه ووجدانه لشعر في بعض الأحيان أنّ شيئاً يلقى في روعه وباطنه من دون أن يعرف ما هو ومن أين أتى، مع إدراكه أنّه من جهة خارجة عن نطاق المادّة والطبيعة ـ وأنّه لا مصدر لمثل تلك الأشياء والأمور إلاّ الإلهام الإلهيٍّ، بينما النَّصارى قالوا إنّ البشر لو رجعوا إلى وجدانهم البشري وقواهم الباطنة لشعروا أنّهم ملزمون بالاعتراف بوجود إلهٍ قادر على كل شيء يعتني بكل الأمور، والظاهر من كلامهم أنّ دليل الإمكان هنا هو الاحتياج وحاجة البشر إلى المدّبر لإدارة شؤون كلٍّ شيء لأنَّهم اكتشفوا عجزهم عن إدارة كلّ الأمور.

ضرورة الوحي

إنّ من ضمن المسائل المهمّة والتي تشكِّل نقطة أساسيَّة وارتكازيَّة في بحث الوحي هي إثبات حاجة البشر إلى الوحي وإرسال الأنبياء، إذْ من دون إثبات هذه النُقطة بالخصوص يصبح بحث الوحي من أوَّله إلى آخره من دون أي ثمرة عمليَّة، ولما كان هناك أيُّ داعٍ لإتعاب أنفسنا في إثباته ما دام البشر يمكنهم الاستغناء عنه ومن هنا كان لزاماً علينا وقبل الدُخول في تفصيلات مباحث الوحي أن نتعرض أولاً لإثبات هذه النُقطة المهمَّة بالخصوص.

إثبات حاجة البشر إلى الوحي عند المسلمين

إنَّ بإمكاننا أن نثبت حاجة البشر إلى الوحي من خلال عِدَّة طرق:

١) العقل

٢) الآيات

٣) الروايات

١- الدليل العقلي

أمَّا العقل فهو طريق عام وليس مختصاً بالدِّيانة الإسلاميَّة فحسب بل شامل حتى للدِّيانات السَّماويَّة الأخرى كاليهوديَّة والنصرانيَّة المؤمنة بأصل فكرة الوحي، وتوضيح هذا الطريق يبتني على بيان مقدمتين.

المقدّمة الأولى: الهدف من خلق الإنسان.

إنّ الهدف من خلق الإنسان هو السَّير في طريق تكامله الماديّ والمعنويّ الذي لا يمكن لأيٍّ إنسان عاقل حتى ولو كان من الملحدين أن ينكر هذا التكامل المادي والمعنوي الذي يمرُّ به الإنسان من حين ولادته ونشأته إلى حين موته من أجل إيصاله إلى كماله النهائي الذي يمكنه الوصول إليه من خلال قيامه بالطاعات والعبادات المأمور بها في عالم الدُّنيا وانتهائه عمَّا نهاه الله عنه.

وبعبارة أوضح إنّ العلَّة من خلق الإنسان هي الطاعة والعبادة المؤدّية لنزول الرحمة من الله سبحانه عليه كما يستفاد من الآية الكريمة الّتي تقول:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

وذلك لأنَّ الله تعالى خلق كلَّ شيء في هذا الكون وقدَّر لكلِّ شيءٍ قدره حيث قال جلّ شأنه.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٢].

وقال في آية أخرى:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٣].

---

(١) سورة الذاريات: ٥١ :٥٦ .

(٢) سورة الأعلى: ٨٧ :٢ ـ ٣ .

(٣) سورة طه: ٢٠ : ٥٠ .

أي هداه ودلّه إلى هدفه والغاية الّتي لا بدّ وأن يصل إليها، أو يمكنه الوصول إليها.

وبما أنّ الإنسان واحد من منظومة هذا الكون والوجود الذي خلقه الله تعالى فهو كغيره من الموجودات يوجد له هدف وهو الوصول إلى كماله النّهائي، وهذا الهدف يرجع إلى ذات الإنسان لا إلى الله تعالى كما هو واضح لأنّ أيّ عمل (كالخلق) مثلاً يصدر من موجودٍ مريدٍ شاعرٍ حكيمٍ عالمٍ...! عندما يصدر منه فهو لا يخلو عن واحد من أهدافٍ وغايات ثلاث لا رابع لها على سبيل الحصر العقلي.

١ـ إمّا لجلبِ وتحقيق المنفعة لذاته. (أي لذات الفاعل والخالق)

٢ـ وإمّا لجرّ وجلب المنفعة له وللآخرين أيضاً.

٣ـ وإما لجلب منفعة الآخرين فحسب.

توضيح ذلك:

إن الهدف والغاية من وراء العمل الذي يصدر عن موجودٍ ذي شعور وإرادة هي إمّا تحقيق تكامله الذاتي وإمّا تكامله وتكامل الآخرين أو تحقيق تكامل الآخرين فحسب.

ومن البديهي أنّ الاحتمال الأوّل والثاني غير متصورين في حقّه سبحانه الذي قد ثَبُتَ في محله أنّه لا يحتاج إلى علّة لا في وجوده ولا في كماله وذلك لأنّه هو محض الوجود والكمال، والوجود والكمال ذاتيان لله تعالى، وببطلان الاحتمال الأوّل والثاني يتعيّن الثالث وأنّ المنفعة والتكامل يرجعان إلى غيره جلّ شأنه (أي إلى تكامل العَالَم نفسه) وقد أشرنا سابقاً أنّ الإنسان جزء من هذا الكون والنظام الوجودي الذي يتكامل شيئاً فشيئاً، كي يصل كلّ شيء فيه إلى كماله النّهائي حسب تقديره سبحانه.

المقدمة الثانية: قصور الإنسان عن إدراك جميع الوسائط

صحيح أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم كما يشهد به الواقع وبعض الآيات الشّريفة كقوله تعالى.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1].

من حيث الخلقة في البدن وتميُّزه بالعقل والنُّطق والتمييز والاختيار والتدبُّر فهو مُدرك للأشياء بالوسائل الحسيَّة والعقليَّة، كالحواس الظاهرة الّتي يدرك من خلالها الأشياء الماديَّة، والعقل الذي يدرك من خلاله معاني تلك الأشياء الماديَّة وغيرها كإدراكه لله سبحانه وتعالى الذي هو ليس مادياً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولكن مع ذلك يبقى قاصراً عن إدراك جميع الوسائط الّتي تقع في طريق سلوكه إلى هدفه وتكامله النهائي وكذا الّتي تكون عائقاً عن هذا الوصول كالعقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق الّتي تمنع من هذا الوصول.

ومن المعلوم أنّ الإنسان لا يصل بنفسه إلى هدفه النهائي إلاّ إذ كان عالماً بجميع الوسائط المؤدية إلى هذا الهدف وبالعراقيل المانعة من الوصول إليه بخلاف بعض الحيوانات فإنها تصلُ الى هدفها من خلال ما اودعه الله فيها من أمور غريزية وبما أنّه قاصر عن هذا الإدراك فيتعيَّن على الخالق الحكيم بمقتضى حكمته الإلهيَّة أن يوفِّر للبشر الوسائل والمستلزمات الضروريَّة الّتي يحتاجونها ويدلّهم على طريق الوصول. ولا طريق لذلك إلاّ الوحي.

---

(١) سورة التّين: ٩٧ : ٤ .

وبعبارة أوضح: إنّ المدركات البشريَّة العاديَّة والمتعارفة الّتي نشعر بها في كل إنسان منّا والتي نحصل عليها نتيجة التعاون القائم بين الحواس الظاهرة والعقل والتي لها دور كبير وفعّال في توفير كثير من المعلومات الّتي نحتاجها في حياتنا العمليَّة لا تكفي لمعرفة طريق الكمال والسّعادة الحقيقيَّة للإنسان بجميع تفصيلاتها المرتبطة بالحياة الفرديَّة والاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والماديَّة والمعنويَّة والأخرويَّة الّتي لا يمكن التوصل إليها - (أي إلى هذه المعرفة الشّاملة) - إلاّ من خلال سدّ جميع الثغرات والنواقص ولا سبيل لسّد هذا النقص إلاّ من خلال طريق ثالث يغاير الإدراك الحسي والعقلي المزوّد بهما الإنسان وهذا الطريق ليس هو إلاّ الوحي.

وقد عبَّرنا عن هذا الدَّليل بالعقلي لأنه يرتبط بالعقل العملي الذي يحكم بأنّه يتعيّن على الله تعالى الذي خلق الإنسان أن يُتمّم له تلك النواقص ويدلّه على طريق الوصول بمقتض حكمته الإلهيَّة لأنّه هو قاصر عن إدراك ذلك.

٢- الدليل القرآني

أمَّا الآيات فقد حاول بعض العلماء الباحثين كالسّيد العلامة الاستفادة من بعض الآيات القرآنيَّة الدالة على حاجة البشر إلى الوحي وبعث الأنبياء كقوله تعالى:

﴿كَانَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النبيّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الّذين أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الّذين آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ

يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

ببيان أنَّ الإنسان كما هو مفطور على الحياة المدنيَّة والاجتماعيَّة مع بقية أفراد نوعه بالطَّبع، كذلك هو مفطور على الاختلاف معهم ولا مانع من وجود أمرين فطريين متنافرين ما دام يوجد أمر ثالث حاكم عليهما معاً.

وهذا الاختلاف والتنازع على نوعين أحدهما في أمور الدُّنيا وهو المرفوع بالوحي وببعث النبيّين والثاني في أمور الدّين الذي حصل نتيجة بغي حملة الكتاب والعلماء.

إذن فالسّبب في بعث الأنبياء وإنزال الوحي هو وقوع الاختلاف، فلأجل رفع هذا الاختلاف بعث الله النبيّين وأنزل الوحي.

توضيح ذلك:

إنّ الله سبحانه وتعالى عند ما خلق هذا الإنسان زوَّده بعنايتين عظيمتين:

أ) القوّة العاقلة الّتي يستطيع من خلالها إدراك المعاني والمعارف.

ب) تسخير كلٍّ شيء من الله تعالى لخدمة هذا الإنسان.

العناية الأولى:

إنَّا إذا رجعنا إلى العناية الأولى وأردنا تحليل المُدْرك بها والمعلوم بها نرى بأنّه يكون على عدَّة أنحاء.

---

(١) سورة البقرة: ٢ : ٢١٣.

النحو الأول: العلوم والإدراكات الّتي لا تصلح إلاّ للتوسط بين الإنسان وبين أفعاله الإراديَّة كمفاهيم الأرض والسّماء والماء... وغيرها من المفاهيم المتصّورة الّتي لا تتطلب من الإنسان عملاً معيناً بل فقط دورها يكون دوراً توسيطياً وتكون حاكية عن مصاديق ثابتة في الخارج بشكل مستقّل عنّا وعن أفكارنا وأفهامنا، إذ إنّ ثبوت الشّمس في الخارج مستقل عنّا بالمطلق ولا علاقة لنا به أصلاً، وكذلك غيرها كالأرض والسّماء ...؟

النحو الثاني: المعلومات الّتي تقع وسطاً بين الإنسان وبين أفعاله الإراديَّة بحيث تتطلب من الإنسان على إثرها الفعل أو الترك، كإدراك الإنسان بأن هناك حُسناً وقبحاً وأنّ الحسنَ ينبغي أن يُفعل والقبيحَ ينبغي أن يترك، فيرى بأن العدل حَسَنٌ فيحكم بلابّديَّة فعله ويرى الظلم قبيحاً فيحكم بتركه.

وهذه الادراكات والمعلومات لا همَّ لنا سوى أن نشتغل بها ونستعملها في عمليّة التوسيط بيننا وبين الأفعال الصادرة منّا اختياراً وذلك لأنّه لا يتمُّ أيُّ فعل من الأفعال الإراديَّة والاختياريَّة للإنسان إلاّ بتوسيط واحد من هذه المفاهيم والمدركات فالإنسان يفعل العمل الفلاني لأنّه أدرك حُسنه ويترك الأمرَ الفلاني لأنّه أدرك قبحه ومع ذلك فإنّ هذه المفاهيم والمدركات لا تحكي عن أمور خارجة عن ذاتنا ثابتة في الخارج بشكل مستقل ومنفصل عنّا وعن أفكارنا وأفهامنا - بخلاف النحو الأوّل الذي قلنا بأنّه يحكي عن مصاديق ثابتة في الخارج بشكل مستقل عنّا - وإنّما هي علوم وادراكات حصلت للإنسان من قِبَل إحساسات باطنيَّة هي الّتي ألهمتنا مثل هذه المفاهيم والإدراكات، لا أنها مكتسبة من الخارج.

وهذه الإدراكات لا قيمة لها سوى العمل بها وبواسطتها ولذا سُمّيت بالعلوم العمليَّة للإنسان والله سبحانه وتعالى إنّما زوَّد الإنسان بهذه

المعلومات وألهمه إياها ليُجَّهزهُ للورود والدُّخول للمرحلة الثانية الّتي هي مرحلة التصرُّفِ بالأشياء وتطويعها لخدمته.

العناية الثانية

أما العناية الثانية الّتي خصً الله سبحانه الإنسانَ بها حيث إنّه (عزّ وجلّ) قد سخّر جميع ما في هذا العالم من أشياء للإنسان كي يستخدمها ويستفيد منها.

أمّا أنّه كيف يلتفت الإنسان لهذه العناية؟ ويتصرَّف بالأشياء لخدمته؟

عندما ينظر الإنسان إلى معلوماته ومدركاته العمليَّة يرى بأنَّ قسماً منها مرتبط بالعمل بالمادة الخارجة عن ذاته كالأشجار والنباتات وغيرها فيذعن ويصدِّق بفكرة أنّه يجب عليه أن يستخدم كلً ما يمكنه استخدامه في طريق كماله وبعبارة أخرى يذعن هذا الإنسان بأنَّه ينبغي أن ينتفع لنفسه بكلٍّ ما يمكنه الانتفاع به، وبذلك يأخذ الإنسانُ بالتصرُّف في الأشياء الموجودة حوله لأجل منافعه فتراه يستخدم ويتصرَّف بالأشجار في صناعة السُّفنِ وتعمير البُيوت وغيرها وكذلك يستخدم ما حوله من الحيوانات منتفعاً بلحمها أو جلدها أو عاجها أو رَوْثها أو لبنها...

وهذا النَّوع من الاستخدام لا يقتصر به الإنسان على غير الإنسان من الحيوانات بل يُسرِّيه حتى على باقي أفراد نوعه من الآدميين بمعنى أنّه يستخدم أفراد جنسه بكلِ نحوٍ يمكنه استخدامهم فيه ولكنً هذا الإنسان عندما جاء إلى باقي أفراد نوعه وأراد استخدامهم وجدهم يريدون منه مثلما يريد هو منهم لأنهم مثله من جميع النواحي حتى الفكريَّة، عندها صالحهم اضطراراً ورضي منهم أن يستخدموه وينتفعوا به على وِزان ما ينتفع هو منهم وبذلك وجدت المدنيَّة وحكم الإنسان بوجوب اتخاذ

المدنيَّة أساساً جوهرياً في تنظيم حياته مع الآخرين لأنَّ كل فردٍ إنسانيٍّ بحاجة إلى استخدام غيره من أفراد نوعه لأنَّه لا يمكنه القيامُ بجميع الأعمال الّتي يحتاجها من بناء البيت وصناعة السّيارة أو السّفينة وغيرها وإنَّما لابدَّ وأن يستفيد من قدرات الآخرين كلٌّ حسب حرفته واختصاصه والعكس كذلك صحيح وبالتالي لا يمكنه الاستغناء عنهم فتسالم معهم على أن ينتفع كلٌّ واحد منهم من الآخر وبذلك حكموا بوجوب اتخاذ المدنيَّة والاجتماع التعاوني فيما بينهم بنحوٍ ينال كل ذي حق حقَّه من ناحية الاستخدام والانتفاع، وهذا ما يسمَّى بالعدل الاجتماعي، ولكنَّ هذا صعب المنال (أي أن ينال كلٌّ ذي حقٍ حقَّه) صعب المنال بسبب الاختلاف الضروري الذي ينشأ بين أفراد الإنسان كما سيتضح بعد قليل.

إذن فالإنسان إنَّما يحكم بوجوب اتخاذ المدنيَّة والعدل الاجتماعي اضطراراً ولولا الاضطرار المذكور لما حكم به الإنسان أصلاً وهذا معنى ما يقال إنَّ الإنسان مدني بالطَّبع وأنه يحكم بالعدل الاجتماعي.

ومن هنا يُعلم أنَّ قريحة الاستخدام للآخرين موجودة بحسب طبعه وبانضمام هذه القريحة إلى الاختلاف الضروري بين الأفراد من ناحية الخلقة والمَنْطق والبيئة والعادات والتقاليد والأخلاق يتولّد عندنا اختلاف جديد وانحراف على خلاف ما يقتضيه الاجتماع الصالح من العدل الاجتماعي فترى المتسلِّط القوي يستفيد ويستخدم الضعيف أكثر ممَّا يُفيده وينفعه بل قد لا ينفعه أصلاً كما هو الحال عند السَّلاطين الظلمة.

وإذا ما تمكن هذا الضعيف في وقت من الأوقات من رقاب أولئك وأصبح هو الأقوى بادر وقابلهم بالمكيدة والانتقام منهم، وبظهور هذا الاختلاف المنافي للعدل الاجتماعي يحصل الهرج والمرج وتدبُّ الفوضى

المؤدّية إلى هلاك النوع الإنساني وفناء الفطرة وبطلان السّعادة الحقيقيَّة الّتي خلق الإنسان من أجلها وبالتالي لابدً من تشريع يصل بالإنسان إلى سعادته الحقيقيَّة.

يقول السّيد العلاّمة الطباطبائي:

«وهذا الاختلاف كما عرفت ضروري الوقوع بين أفراد المجتمعين من الإنسان لإختلاف الخلْقَة باختلاف المواد وإن كان الجميع إنساناً بحسب الصورة الإنسانيَّة الواحدة، والوحدة في الصورة تقتضي الوحدة من حيث الأفكار والأفعال بوجه واختلاف المواد يؤدِّي إلى اختلاف الإحساسات والإدراكات والأحوال في عين أنها متَّحدة بنحو واختلافها يؤدي إلى اختلاف الأغراض والمقاصد والآمال واختلافها يؤدي إلى اختلاف الأفعال وهو المؤدي إلى اختلال نظام الاجتماع.

ثم قال:

وظهور هذا الاختلاف هو الذي استدعى التشريع وهو جعل قوانين كليَّة يوجب العمل بها ارتفاع الاختلاف ونيل كلٍّ ذي حقٍّ حقَّه وتحميلها النَّاس»[1].

فسبب التشريع ونزول الوحي هو حلٌّ ورفع هذا الاختلاف لأجل التوصّل إلى العدل الاجتماعي.

وأمَّا الاختلاف الثاني فكان كما أشرنا في الدِّين بسبب حَمَلة الكتاب والعلماء.

---

(١) الطباطبائي: محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ١٢٠.

والآية الكريمة الّتي ذكرناها أولاً البحث تُشيرُ إلى كلا هذين الاختلافين كما يدّعي السّيد العلامة. أي: للاختلاف الذي كان سبباً لبعث الأنبياء بالشّرائع والوحي مبشرين ومنذرين وللإختلاف في الدين بسبب حملة الكتاب.

ومن هنا يظهر لنا بأنّ ما سلكه السّيد العلاّمة في بيان حاجة البشر إلى الوحي هو أخص من المسلك السّابق المسمّى بالعقلي وذلك لأنّ المسلك الأوّل كان المناط فيه هو السّير بالإنسان لإيصاله إلى تكامله الذي لابدّ وأن يصل إليه سواء كان هناك اختلاف أم لا، إذ ما دام الإنسان قاصراً عن إدراك جميع الوسائل فلا بدّ بمقتضى حكمته جلّ وعلا أن يدلّه على الطريق سواء كان هناك اختلاف أم لا، إذ النُّكتة هنا هي قصور الإنسان بحدّ ذاته عن الوصول إلى هدفه من دون مساعدة بينما على مسلك العلاّمة فالسّبب من التشريع هو حصول الاختلاف المنافي للعدل الاجتماعي فما ذكره السّيد العلّامة أخص من المسلك الأوّل لأنه أخذ قيد الاختلاف بالإضافة إلى الوصول إلى هدفه النهائي وكأنّه يرى بأنّ من أهم الأمور المعرقلة والمانعة من الوصول إلى الهدف حصول الاختلاف فبعث الله الأنبياء بالشّرائع والوحي لرفع هذا الاختلاف.

٣- دليل السُنَّة الشريفة

إنّ هناك بعض الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة توضّح لنا حاجة البشر لنزول الوحي وبعث الأنبياء.

أ) منها ما ورد عن الصادق عليه السلام في مناظرة له مع أحد الزّنادقة، يرويها الشّيخ الصّدوق في كتاب علل الشّرائع، قال:

«حدّثنا حمزة بن محمد العلوي قال أخبرني علي بن

إبراهيم عن أبيه عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله ﵇ أنّه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الرُّسل والأنبياء؟ فقال: إنَّا لمّا أثبتنا أنَّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنَّا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ويلامسوه ويباشرهم ويباشروه ويُحاجُّهم يحاجُّوه ثبت أنَّ له سفراء في خلقه يعبِّرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفي تركه فنائهم فثبت الآمرون والنَّاهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبِّرون عنه عزَّ وجل وهم الأنبياء وصفوته في خلقه حكماء مؤدَّبون بالحكمة مبعثون بها غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة[1] ثم ثبت ذلك في كلِّ دهرٍ وزمان ما أتت به الرُّسل الأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلوا أرض الله من حجَّه يكون معه علم على صدق مقالته وجواز عدالته»[2].

ب) ومنها ما رواه الصدوق أيضاً في حديث طويل.

---

(١) هذا الحديث الشريف في حقيقته دليل عقلي لأن مقدماته عقلية كما هو واضح ولكن نحن أدرجناه في الدليل النقلي لأنّه مرويٌ عن الصادق ﵇ و الا فهو جاء حاكيا ومبيناً لدليل عقلي.

(٢) الصدوق: محمّد بن علي، علل الشّرائع: ج٢، ص٢٥٢- ٢٥٣.

«حدثني عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطَّار قال حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبه النيسابوري قال: قال أبو محمد الفضل بن شاذان النيسابوري أن سأل سائلٌ فقال أخبرني هل يجوز أن يكلف الحكيم عبده فعلاً من الأفاعيل لغير علَّه ولا معنى؟ قيل له لا يجوز ذلك لأنَّه حكيم غير عابث ولا جاهل... إلى أن قال:

فإن قال قائل فلم وجب عليكم معرفة الرُسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟ قيل له لأنَّه لم يكتف في خلقهم وقواهم ما يثبتون به لمباشرة الصانع تعالى حتَّى يكلِّمهم ويشافههم لضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بُدٌّ لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدِّي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويُقفهم على ما يكون به اجتلاب منافعهم ودفع مضارهم إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سَدُّ حاجة ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء»[1].

وكل ما ذكرناه حول هذه النقطة هو المستفاد ممَّا ذهب إليه علماء الشيعة ومفسروهم.

---

(١) نفس المصدر السابق.

الشيخ محمّد عبده وضرورة الوحي

ذكر الشّيخ محمَّد عبده في كتابه رسالة التوحيد مسلكين لبيان حاجة البشر إلى الوحي.

المسلك الأوَّل:

وهو يبتني على الاعتقاد ببقاء النَّفس الإنسانيَّة بعد الموت وأنَّ لها حياة أخرى تتمتع فيها بنعيم أو تهلك فيها بشقاء، وأنَّ السّعادة والشّقاء مترتبان على أعماله في هذه الحياة الدُّنيويَّة وذلك لأنَّ النَّفس الإنسانيَّة لا تموت موت فناء، وإنَّما الموت الذي نراه هو ضربٌ من البُّطون والخفاء وإن اختلفوا في تصوير هذا البقاء فبعض قال إنَّها تحلُّ في جسد إنسان آخر أو حيوان آخر وبعض قال إنَّها ترجع إلى تجرُّدها الذي فيه كمالها وثالث ذهب إلى القول بأنها تتعلَّق بأجساد لطيفة غير هذه الأجساد، وأنَّ هذا الشّعور الذي يحمله الإنسان بأنَّ هناك حياة بعد هذه الحياة ليس ضرباً من الخيال والوهم وإنَّما هو من الإلهامات الّتي اختصَّ بها هذا النوع على غرار إلهام الإنسان بأنَّ عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الدُّنيا وأنَّ عمره قصير وليس هو مُنتهى ما للإنسان من وجود بل الإنسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن بدنه ثم يكون حيَّاً بثوب آخر وإن كان هذا الثوب كما قلنا لم تدرك حقيقته.

وهناك شعور بديهي في النفس يشعرها، وكذلك الواقع يدل عليه، بأنَّها خلقت مستعِّدة لقبول معلومات غير متناهيَّة من طُرقٍ غير محصورة، شقيَّةً إلى اللذائذ غير المحدودة ولا الواقفة عند غاية أو نهاية، نفس مُهيأة لنيل درجات الكمال لا يحدها أطراف المراتب والغايات معرَّضة للآلام من الشّهوات ونزعات الأهواء والأمراض والحاجات وأنَّ مُلهم هذا الاستعداد قدَّر لكل شيء قَدَرَهُ بقَدْرِ الحاجة في البقاء وأنَّه لم يعهد في تصرُّفه العبث والكيل

الجزاف، وأنَّ الإنسان قاصر عن إدراك السّبيل وكيفية الإهداء في عالم الشّهادة فإنَّ عقله وفكره والأدلَّة الّتي ساقها كلُّها قاصرة عن تفسير العالم الذي يعيش فيه وهو جزء منه وإدراك كل ما يحتاجه في سبيل الاستقامة والسّعادة الدنيويَّة وخير شاهد على ذلك أنَّ الإنسان لا يزال بحاجة إلى التَّعلُم والإرشاد وتقويم الأنظار وتنظيم الأفكار وإصلاح الوجدان وتثقيف الأذهان فإذا كان حال الإنسان في عالم الشّهادة الذي يعيش فيه ويدرك الكثير من حقائقه بحواسه وعقله هكذا، فما بالُكَ بعالم الغيب الذي هو على يقين بأنَّهُ سوف يُقدم عليه بعد مفارقته للعالم الذي يعيش فيه الآن وتكون حياته فيه أطول وأصعب مع جهله المُطبِق بعالم الغيب وما فيه، وأنَّه لا مجال فيه للمعرفة الحسيَّة بل قد يكون الارتباط والصِّلة بين عالم الشّهادة وعالم الغيب منقطعة بنظر العقل والفكر ومن باب أولى بنظر الحسِّ وذلك لأن الإنسان لو نظر إلى جميع ما يمتلكه من معلومات حاضرة في ذهنه لمَا توصَّل للمعرفة اليقينيّة بحقائق تلك العوالم المستقبليَّة والغيبيَّة فإذا كان عقل الإنسان وفكره قاصراً عن الإدراك لحقيقة عالم الشّهادة فمن باب أولى أنّه قاصرةٌ عن إدراك حقيقة عالم الغيب الذي لابدَّ وأن يرد عليه.

وعليه فليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الإنسان على قاعدة الإرشاد والتَّعلم والذي خلق الإنسان وعلَّمهُ البيان والكلام للتفاهم والكتابة للتراسل أن يترك هذا الإنسان الذي خلقه يدخل ذاك العالم الآخر من دون أن يكون لديه أيُّ إطلاع ومعرفة به ومن غير أن يوضح له ميزان سعادته في ذلك العالم بشكل تستوعبه عقولهم ولا يكون بعيداً عن متناول أفهامهم وذلك لا يكون إلاّ عن طريق تشريع قوانين تحدِّد لهم مسيرتهم وتكبح شهواتهم وتعلمهم الأعمال الماديَّة والمعنويَّة ـ أي الاعتقاديَّة وغيرها ـ الموصلة إلى الهدف الذي هو سعادته وإبعاده عن الشّقاء والهلكة

وأفضل طريقة يستطيع الله سبحانه وتعالى من خلالها تفهيم هذه القوانين والتشريعات هي إيحاؤها إلى رجل من بني البشر مثلهم يخاطبهم على طريقتهم وبذلك يثبت المطلوب.

المسلك الثاني:

وهو ينسجم إلى حدٍّ كبير مع ما نقلناه عن السّيد العلاّمة في بيان حاجة البشر إلى الوحي، وذلك لأنَّه يبتني على جملة من المقدمات الّتي ذكرها السّيد العلامة في بحثه حول الآية السّابقة.

أ) إنَّ الإنسان اجتماعي بالطبع فهو بحاجة إلى غيره وغيرُهُ كذلك بالنسبة إليه فكلٌّ واحد له دوره في بناء الحياة الاجتماعيَّة لأنَّه لا يستطيع كلُّ فرد أن يقوم بجميع الأعمال والأفعال الّتي يحتاجها لوحده ومن المعلوم أنَّه كلَّما ازدادت الطلبات ازدادت الحاجة إلى الغير وأهمُّ شيء يطلبه الإنسان في حياته الدُّنيويَّة والأخرويَّة، هو دفع المكاره عن نفسه وجلب السّعادة لها.

ب) إنَّ الإنسان ليس مزوَّداً ببعض الإلهامات الغريزيَّة الّتي من خلالها يستطيع تحديد ما يحتاجه في مسيرته بشكل تلقائي وتكويني كغيره من الحيوانات مثل النحلِ والنَّمل وغيرهما إذ لو كان مزوَّداً بمثل هذه الغرائز والإلهامات لكانت هذه الحاجة إلى الغير هي أفضل عوامل المحبَّة والوئام والتعاون بين أفراده لأنَّ كلَّ نفس حينئذ تشعر أن بقاءها مرهون ببقاء الكلِّ والجميع، والمحبّة والتعاون هما أساس السّلم ورسول السّكينة إلى القلوب وهي الّتي تُحبِّذ الشّخصَ للعمل لأجل الآخرين والدفاع عنهم عند الخطر لأنَّ الدفاع عنهم دفاع عن نفسه وبقائها فالمحبَّة والتعاون من شأنهما أن يكونا حافظين لنظام الأمم وبقائها واستمرارها.

ولكن من قوانين المحبَّة أن تنشأ وتدوم بين متحابَّين إذا كانت الحاجة إلى نفس المحبوب وذاته لا إلى بعض الأمور العارضة عليه بحيث لو زالت تلك الأمور العارضة زالت معها المحبّة والتعاون، ولا يكون هذا النَّوع منها في الإنسان إلاّ إذا كان منشأه أمراً من روح المحبوب وشمائله الّتي لا تفارق ذاته حتّى إذا عرض التبادل والتعاوض ولوحظت العلاقة بينهما، لا تتحوّل المحبّة والتعاون إلى رغبة في الانتفاع الشّخصيٍّ والتبادل بالعوض والبيع والشّراء والاستغلال وبالتالي سوف يقوم مقام المحبّة بين شخصين إمّا سلطان أو قوّة أو ذِلَّةُ المخافة أو التكاذب والخديعة من الجانبين.

والإنسان بعد أن أدرك حقيقة نفسه وأنّه ليس من الّذين يلهمون غريزياً كباقي الحيوانات الّتي مثلنا بها وإنّما هو يتعلّم ويشعر ويفكّرٍ، بل إنّ كماله النَّوعي كان في إطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النّهايات، فإنّه مع صغر حجمه في هذا العالم الذي يعيش فيه لم يُسلِّم له وإنّما بقي يصارعه بعوامله الكثيرة ومصائبه وآلامه الّتي لا حدّ لها، فالإنسان يحمل معه قوَّة إدراك وتفكير وعمل يستطيع من خلالها مصارعة ذلك العالم والاستفادة من كلٍّ ما حوله للوصول إلى احتياجاته ورغباته الّتي لا تنتهي عند غاية وتبديد مخاوفه الّتي لا تصل إلى نهاية وإنّما دائماً يضع الاحتمالات ويعمل على أساسها ويبني مستقبله عليها قال الله سبحانه وتعال في محكم كتابه.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً﴾[1].

---

(١) سورة المعارج: ٧٠: ١٩-٢١..

ج) ممَّا لا شكٌ فيه أنّ مواهب النَّاس تتفاوت من ناحية الفهم والإدراك وقوّة العمل والبدن والصبر وتحملّ المشقّات فمنهم المقصرٍ ضعفاً وكسلاً ولكنّه الطامح شهوة ومالاً وطمعاً فيرى من أخيه أنّه العون له على ما يريد من شؤون وجوده ولكنّه يذهب من ذلك إلى تخيُّل اللّذة والاستئثار بجميع ما لديه، يريد أن يأخذ ولا يعطي فقد يجد اللذة في أن يتمتع ولا يفعل شيئاً، في أن يتسلَّط ويغصب حقوق الغير من دون مقابل، عندها يُقيم مقام العمل الصالح والفكر الصالح، التسلّط والهيمنة والاعتداء ويجهد نفسه في استنباط ضروب الإحتيال والكذب كي يتمتَّع على حساب غيره حينها يختّل نظام المجتمع والتعاون فيحلُّ التناهب مكان التواهب والحِيل مقام العمل والشّقاق مكان الوفاء فيحصل الاختلاف.

ولم يقف هوس الإنسان في التنافس عند حدود اللّذة الماديَّة والجسديَّة بل تطاول إلى التنافس حتى في اللّذائذ الرُّوحيَّة والمعنويَّة فحاول بعض أهل البصيرة وضع قوانين لحلّ تلك النِّزاعات والتنافسات الماديَّة والمعنويَّة والرُّوحيَّة ولكن كلُّ هذه المحاولات الّتي قام بها بعضُ رجالات التاريخ (كبوذا وغيره)[1] باءت بالفشل وذلك لأنّها واجهت مشكلتين أساسيتين.

١) إنّ الواضع لتلك القوانين حتى ولو كان من رجال الصّلاح يبقى قاصراً عن إدراك جميع القوانين الّتي تكون في صالح العباد والتي تؤدّي إلى سعادتهم.

٢) إنّه لا يمكن لأيّ مخلوق بشريٍّ مهما علا شأنه أن يُلزمِ جميع

---

(١) هنا نتكلم مع غض النظر عن صحّة اعتقادهم أو عدم صحة ما جاء به هؤلاء الرِّجال وإن كان اتباعهم قد جعلوهم في مرتبة الألهة وأنّهم يستحقون العبادة.

أفراد البشر بما توصَّل إليه من أفكار وقوانين وتشريعات وإن كانت تلك التشريعات على حقٍّ وهذا ما عليه سيرة المجتمعات عَبر التاريخ.

أضف إلى ذلك أنَّ الواضع لهذه القوانين هو كغيره من بني البَشر يشعر بأنَّ هناك قوَّة فوقه قادرة عليه تُميته متى ما أرادت وأنّه ينساق إليها وهو مغلوب مقهور ومحكوم بإرادة وتصرُّف تلك القوَّة المسيطرة على العالم الذي يعيش فيه ويُشكِّل جُزءاً منه بحيث تشعر كلُّ نفس أنّها منساقة لمعرفة تلك القوَّة، وذلك إمّا بداعي حبّ الاطلاع أو وجوب معرفة ذلك المعطي القادر، وهنا انقسمت مشارب النّاس فبعض صوَّرها بالحيوانات كما عليه بعض الهندوس وبعض صورها بالقمر وآخرون بالشّمس وهكذا ... وبعض نتيجة إعمال فِكره الصحيح وفطرته السّليمة توصل لإدراك تلك الحقيقة وأنّها واجب الوجود سبحانه وتعالى يقول الشّيخ محمد عبده في رسالته:

«إن كان الإنسان قد فُطِرَ على أن يعيش في جملة ولم يُمنح مع تلك الفطرة ما منحه النَّحل وبعضَ أفراد النَّمل مثلاً من الإلهام الهادي إلى ما يلزم لذلك وإنّما ترك إلى فكره يتصرَّف به على نحو ما سبق كما فطر على الشُّعور بقاهر تنساق نفسه بالرَّغم عنها إلى معرفته ولم يفض عليه من ذلك الشُّعور عرفانَه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وإنّما أُلقي به في مطارح النَّظر تحمله الأفكار في مجاريها وترمي به إلى حيث يدري ولا يدري وفي كلٍّ ذلك الويل على جامعته والخطر على وجوده أفهل مُني هذا النَّوع بالنَّقص ورزئ بالقُصور عن مثل ما بلغه أضعف الحيواناتَ وأحطُها في منازل الوجود، نعم هو كذلك لولا ما أتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه»[1].

---

(١) رسالة التوحيد: ص ٥٦.

والإنسان مخلوق عجيب في شأنه يصعد بما منحه الله تعالى من قوّة عاقلة وإدراك عميق إلى أعلى مراتب الملكوت ويكتشف آلاف المعادلات ثم يصغر ويتضاءل وينحط إلى أدنى دَرَكٍ من الاستكانة والخضوع إذا عرض له سبب أو مرض أو ألم لا يعرف سببه ولم يدرك منشأه، وذلك لسرٍّ عرفه المستبصرون الّذين يعرفون حقيقة الإنسان وأنّ العثرة تُدميه والشّوكة تؤلمه كما جاء على حدٍّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام والله سبحانه أخذ بيد الإنسان من جهة ضعفه وجعلها منطلقاً لهدايته فمن تلك الصِّفة (أي الضّعف) أخذ بيده إلى شرف سعادته، وأكمل الواهب الجواد ما اقتضت حكمته من تخصيص هذا النَّوع الذي خلقه في أحسن تقويم بما يتميَّز به عن غيره.

فالذي جاد على الشّخص بالعقل المصرِّف للحواس ينظر في طلب اللُّقمة وستر العورة وتَوَقِّي البرد والحر جاد عليه بما هو أحوج إليه، فما يحتاجه الإنسان في بقاء نوعه والوصول إلى سعادته ونجاته من الهلكة هو أهمُّ عنده بكثير من غيره (أي: من الأمور العارضة الّتي تزول بزوال الإنسان) ولكنّه سبحانه قد أتاه من جهة ضعفه وخضوعه فأقام من بني أفراده مرشدين وهادين وميّزهم عن غيرهم من بني البشر بخصائص في أنفسهم لا يشاركهم فيها أحد وأيّد ذلك زيادة للإقناع بالمعاجز والآيات السّاطعات الباهرات حتى يتملَّك من نفوسهم ويُسيطر على عقولهم بحيث يذعن الجميع للمرشدين، سلطانهم ومملوكُهم قويُّهم وضعيفُهم... وهذا الإذعان هو أشبه بالإذعان الاضطراري وليس اختيارياً محضا لهم، وذلك لأنّه لا مجال للإنكار بعد أن كان مدعوماً بالمعاجز والآيات الباهرات والبراهين القاطعات[1].

---

(١) هذا خلاصة ما فهمته من كلامه ومن أراد المزيد فليراجع كتابه رسالة التوحيد لعلّه يقف على غير هذا.

ضرورة الوحي عند اليهود والنَّصارى:

قد بيّنا سابقاً الأدلَّة الّتي اعتمدها المسلمون سنّة[١] وشيعة لإثبات ضرورة الوحي وأهميَّته وحاجة البشر إليه وقد وصل بنا الكلام لبيان الأدلّة الّتي ساقها اليهود والنّصارى لإثبات ذلك، ولعلَّه يمكن لنا القول بأنّ الأدلّة الّتي سيقت لإثبات ذلك مشتركة عند جميع الأديان الثلاثة ولكن قبل الدخول في بيان ذلك من وجهة نظر اليهود والمسيحيين لابدّ من ذكر تمهيد.

أ) إنّ وجود الموحِي وهو الله تعالى خالق الأكوان وفالق الحبِّ ومزيّن السَّماء وباسط الأرض من الحقائق الّتي أيقنتها تلك الأديان ولا يمكن لأيّ شخص ينتمي إلى واحدٍ من هذه الدِّيانات إنكار ذلك.

ومن الواضح أيضاً لكلّ مفكّر أنّ المعرفة العقليَّة الّتي زوّد الله بها الإنسان مهما سمت وتعالت لا تصل إلاّ إلى معرفة الملازمات العقليَّة كالفرق بين الأزليّ والحادث والواجب والممكن، وأنّ هناك خالقاً موجداً لهذا الكون وأنّه واحدٌ، خلق كلَّ ذلك بلا شريك له في عمله ولا مُنازع له في ملكه، وأمّا صفات هذا الخالق وغايته ولماذا خلق الخلق وما هي المهمَّات العباديَّة والسُّلوكيَّة وغيرها الّتي ألقاها على عاتق هذا الإنسان فلا يمكن لأيّ شخص أن يصلَ إليها مهما سمت مداركه وعلت قدراته العقليَّة والفكريَّة وامتدت آراؤه، ولذا فنحن بأشدّ الحاجة إلى وحي من الإله الأزلي ليُعلمنا ويوّضح لنا ما فيه صلاحنا وفائدتنا ولا يمكن لعقولنا أن

(١) مرادنا هنا ما نقلناه عن الشيخ محمّد عبده باعتباره من أهل السنّة.

تصل إليه وهذا عين ما ذكرناه سابقاً في وجهة النظر الإسلاميَّة، وأنّ الإنسان بحاجة إلى الوحي للوصول إلى تكامله الذي لا يمكن للإنسان أن يصل إليه عن طريق العقل ومن دون أي واسطة.

ب) قد انطلقت بعض أقلام مفكريهم وكتّابهم لبيان حاجة البشر إلى الوحي مستدلِّين على ذلك ببعض العبائر الموجودة في الكتاب المقدَّس والتي يمكن أن يستفاد منها ذلك اقتناصاً والتي قد راجعت بعضها بحسب النُسخة الموجودة بين يديَّ ولم أجد فيها أي دلالة على ذلك لا صراحة ولا غيرها.

فقد ذكر صاحب كتاب ربٍّ المجدّ العديد من الأمور الدّالّة على حاجة البشر إلى الوحي فقال:

١- إننا محتاجون إلى وحي سمائي ليُعْلِمنا عن سموٍّ ذات الله الذي أوصلتنا عقولنا إلى الاعتراف به والإيمان بوجوده وليعلمنا عن مخالفة ذاته تعالى للحوادث وأنّه إله متفرّد بالبقاء وليس كمثله شيء في الأرض ولا في السّماء وهو السّميع البصير وأنّه باقٍ حَيٌّ خفيٌّ لا يفني ولا يُرى وليظهر لنا جلاله وبهاءه[1].

٢- إنّنا محتاجون إلى وحي سمائي ليُعْلمنا عن المعلنات السّمائيَّة الّتي بواسطتها نفهم مبادئ وقوانين معاملة الله للإنسان ومعاملة الإنسان لأخيه الإنسان وليُعْلِمنا كيف يتصرّف الإنسان في ما حوله من النباتات

---

(١) موقع بيت الله كوم. الانترنت. جميع الحقوق محفوظة ١٩٩٨ - ٢٠٠٥ لموقع بيت الله. كوم راجع اتفاقيَّة استخدام الموقع.

والجمادات والسّوائل والطيور والحيوانات بما يعود على الهيئة الإنسانيَّة والاجتماعيَّة من المنافع العامّة وبتمجيد الخالق المانح لهذه العطايا كلّها[١] (مز ١٩: أو مزمر ١١٥).

ولعلّ هذا هو عين ما نقلناه عند تعرُّضنا لبيان العناية الثانية الّتي خصّ بها الله سبحانه وتعالى الإنسان عند حديثنا عن حاجة البشر إلى الوحي من وجهة نظر اسلامية[٢].

٣- إنّنا محتاجون إلى وحي سمائي ليعلمنا عن كمال الطبيعة البشريَّة مبدئياً حين خلق الله أبوينا الأوَّلين آدم وحواء ووضعهما في جنّة عدن، وليعلمنا عن نقص الطبيعة البشريَّة ذاتها من حين سقوط آدم وحواء ورفضهم لطاعة القدُّوس صاحب الجنان إلى عبوديَّة الشّيطان، وطردهما من جنّة عدن وليعلمنا عن استمرار هذا النقص والفساد من يوم السُّقوط إلى الآن بل إلى نهاية العالم ما دام مولود المرأة يدرَّج على ظهر البسيطة بدمه ولحمه وعظمه وجلده[٣] (تك ٦: ٥ و١٨: ٢١).

٤- إنّنا محتاجون إلى وحي سمائي ليعلمنا نقص الطبيعة البشريَّة، وفسادها قد أدىّ بجميع البشر إلى الهلاك الأبدي المحتّم وأنّ الناموس أُغلق على الجنس البشري أجمعين تحت الخطية الّتي حبلت ثم ولدت موتاً أبدياً[٤] (يعقوب ١: ١٥).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع صفحة: ٧٩.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

٥- إنّنا محتاجون إلى وحي سمائي ليظهر لنا قيمة محبّة الله للبشر باعلانه طريق الخلاص في نبوات أنبياء بني إسرائيل في العهد القديم»[١].

ولعلَّ هذا أيضاً هو نفس ما ذكرناه من أنّ الهدف من إنزال الوحي والأنبياء هو إيصال الإنسان إلى هدفه النهائي وهو الفوز بسعادة الدارين الدُّنيا والآخرة عند توضيحنا للنظريّة الإسلامية عند بياننا لمسلك الدليل العقلي ولذا قلنا سابقاً بأنّ مسلك العقل ليس مختصّاً بالدّيانة الإسلامية بل هو شامل حتّى لليهوديّة والنصرانيّة[٢].

وقد ذكر أيضا صاحب كتاب وحي الكتاب المقدَّس تحت عنوان ضرورة وأهميَّة الوحي ما نصّه:

«بعد دخول الخطية إلى العالم بسقوط آدم أصبح الإنسان في حاجة شديدة لإعلان يقدّمه الله للإنسان يقوده الله به لمعرفة ذاته ومعرفة طريق الخلاص وهو ما عمله الله مع البشر فعلاً منذ البداية .... لكن لما تسرَّبت الوثنيَّة للبشر من جهة ولما قصرت أيام الإنسان من الجهة الأخرى أصبحت الحاجة ماسة إلى ما هو أكثر من الشّهادة الشّفهيَّة أصبحت الحاجة ماسة إلى فكر الله مكتوباً في كتاب»[٣].

ثم قال في موضع آخر:

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع ما ذكرناه سابقاً في بيان المسلك الأوّل، المعبّر عنه بالدليل العقلي.

(٣) كتاب وحي الكتاب المقدَّس: http://www.baytallah/net/ballah/Godword.html.

«والواقع نحن لا يمكننا أن نتصور أن يترك الله البشريَّة تتخبط في دياجير الظلام والجهل قروناً وعصوراً دون أن يعطيهم إعلاناً عن نفسه يمكنهم بواسطته أن يتحكموا للخلاص»[١].

وقد ذكر أيضاً الأب القديس أغسطنيوس في كتابه: «مدينة الله» العديد من الأدلَّة الدَّالة على حاجة البشر إلى الوحي نأتي على ذكرها بشكل مختصر:

١) إن البشر في حالتهم السّاقطة والقاصرة بأمسّ الحاجة إلى إعلان من الله سبحانه يكفي لسدّ حاجاتهم.

٢) إنّ الوجدان الإنساني والدِّيني الذي يحمله كلّ إنسان مؤمن في داخله وباطنه يطلب المعونة الروحيَّة والإرشاد للحقّ وهذه المعونة تتمُّ عبر الوحي.

٣) إنّ البشر مستعدون دوماً ليستقبلوا الإعلانات الإلهيَّة لأنَّهم يتوقعونها ويحتاجون إليها.

٤) إنّ الديانة الكاملة لا تقوم بمجرَّد نظر البشر لله وتقديم العبادة والطُّقوس الدِّينيَّة له من طرف واحد بل تقوم بنظر الله أيضاً للبشر وإعلان نفسه لهم وذلك لأنّ العلاقة بين الله والإنسان لابدّ وأن تكن متبادلة خصوصاً وأنّ حاجة الإنسان لله وللاقتراب منه وللنّهل من تعاليمه وتوجيهاته أكبر بكثير من حاجة الله للاقتراب من البشر بحسب زعمه وعليه فينبغي أن يخاطب الله البشر قبل أن يخاطبوه.

---

(١) راجع: رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس: ٣: ١٥ حيث نقل ذلك مضموناً.

٥) إنَّه إذا رجعنا إلى أراء الفلاسفة واعتقاداتهم الدِّينيَّة والوثنيَّة لا نجد فيها ما يغنينا عن الوحي مطلقاً بل العكس صحيح فإنّ الدين الذي وصل إلينا عن طريق الوحي أغنانا عن كلّ ما ذكره البشر من آراء في شأن الدين إذ إنّه يحتوي على كلّ ما نحتاج إليه من التعليم والإرشاد[١].

---

(١) هذه الأدلّة مستفادة ممّا ذكره صاحب كتاب اللاّهوت النّظامي، جيمس أينس في الفصل الثالث فراجع.

وقوع الوحي.

بعد أن اتضح إمكان الوحي وأنّه لا يوجد أيٌّ دليل مانع يدلُّ على استحالته عقلاً، وبعد أن أثبنا حاجة البشر إلى الوحي، وأنَّهم محتاجون إلى وحي سمائي للأسباب الّتي تقدَّم ذكرها، نأتي إلى بحث وقوعه خارجاً وذلك لأنَّه قد يُقال إنّه ليس من الضروري أن يكون كلُّ شيء ممكناً وثبت احتياج البشر إليه واقعاً خارجاً، إذ من الممكن أن يكون هناك شيء غير مستحيل الوقوع عقلاً والبشر محتاجون إليه ومع ذلك لا يقع خارجاً ولا يتحقَّق.

ومن هنا فإنَّنا نعقد البحث لإثبات وقوع الوحي خارجاً استناداً للأدلَّة الّتي ساقتها الأديان الثلاثة لإثبات ذلك.

ولكن قبل الدخول في استعراض الأدلَّة لابدَّ من الإشارة إلى نقطة في غاية الأهميَّة وهي أنَّ الأديان الثلاثة تدَّعي أنَّ كتبها موحاة من قبل الله سبحانه ففي الإسلام واليهوديَّة إذا رجعنا إلى النَّقل التاريخي، لسيرة محمّد وموسى عليهما السلام نرى أنهما قد ادعيا النبوُّة الإلهيَّة الّتي هي عبارة عن تلقي النبأ من الله تعالى، ونَسَبا كلَّ ما يحملانه من قرآن وتوراة وتعاليم إلى الوحي الإلهي، وكذا النّصارى (ينسبون الإنجيل وغيره إلى الوحي الإلهي) ولكن من دون توسيط نبوَّة أو ملك كما أوضحنا سابقاً لأنَّ الوحي عندهم قد إكتمل بابن الله المسيح وأصبح متجسّداً بين النَّاس مباشرة، ومن هنا فإنَّ جميع الأدلة الّتي تُثبت النبوَّة العامَّة تُثبت وقوع الوحي، لأنّ معنى النبّوة هو هكذا، (أي تلّقي جانب النبأ من قِبل الله) وعلى هذا الأساس فإنّ جميع

الأدلّة الّتي ساقها الفلاسفة والمتكلمون من المسلمين وغيرهم لإثبات النبوّة العامّة تُثبت لنا وقوع الوحي وتحققه في عالم الخارج.

المسلمون وإثبات وقوع الوحي:

ذكر المسلمون العديد من الأدلّة الدالّة على وقوع الوحي خارجاً وهذه الأدلّة نقسّمها إلى قسمين عقليّة ونقليّة والنقليّة على نحوين من خارج القرآن الكريم ومن داخله.

الأدلّة العقلية على وقوع الوحي.

أ) منهج المتكلمين:

ذهب بعض المتكلِّمين انطلاقاً من قاعدة التّحسين والتّقبيح العقليين وأنّ ما كان حسناً ينبغي على الله أن يفعله وما كان قبيحاً ينبغي تركه إلى القول بضرورة وقوع النبوّة والوحي خارجاً وذلك بتقريب.

أنّه بعد أن ثبت إمكان الوحي عقلاً وأنّه لا دليل على امتناعه وثبت أيضاً أنّ البشر محتاجون إليه وذلك لما فيه من مصالح جمّا تعود على العباد والمجتمع كحلّ مسائل الخلاف الّتي تتولّد فيما بينهم ووصولهم إلى كمالهم النّهائي والهدف المنشود لهم بمساعدته فينبغي على الله فعله.

وبعبارة أخرى: إذا ثبت أنّ البشر محتاجون إليه (أي للوحي) وفيه مصلحتهم فهو حَسَنٌ.

وإذا كان حسناً فينبغي على الله تعالى أن يُوقعه ويحققه خارجاً.

وبذلك يثبت المطلوب وهو وقوع الوحي خارجاً بفعل الله تعالى.

إلاّ أنّ هذا المسلك لم يلقَ قبولاً من قِبل الفلاسفة وذلك للأسباب التالية:

١- إنَّ هذا المسلك فيه تحديد لما يجب على المولى أن يفعل وما يجب عليه تركه.

٢- إنَّ الحُسنَ والقُبحَ مجرَّدُ أمور اعتباريَّة تصدق فقط وفقط في نِطاق الحياة البشريَّة ولا تصدق على غيرها.

٣- إنَّ هذا الاستدلال يبدأ من نقطة مفترضة من عند أنفسنا وهي أنَّه إذا كان الأنبياء موجودين فإنَّ وجودهم نافع ومفيد، إذا إنَّ هذه المقدَّمة القائلة إنَّ وجودهم مفيد نحن قد افترضناها ثم انتقلنا للقول وكلُّ شيءٍ مفيدٍ حَسَنٌ، فإذن يجب على الله فعله.

يقول الشّهيد مطهري في هذا المجال:

«وبالنسبة لنا لم نرغب أن نبدأ الاستدلال من النُّقطة الّتي تقول إذا كان الأنبياء موجودين فإنَّ وجودهم نافع.

فنحن الّذين افترضنا أنَّ وجودهم مفيد ثم انتقلنا للقول، كلُّ شيءٍ مفيدٍ فهو حَسَنٌ فإذن يجب على الله أن يفعله»[١].

ولكن هذه المقدَّمة المفترضة في منتهى الوضوح والبداهة فإنَّ من يرجع إلى السّيرة التاريخيَّة للأنبياء السَّابقين ويرى ما قدَّمه هؤلاء من نهوض فكري واجتماعي وثقافي واقتصادي وغيره يستكشف بوضوح أنَّ الأنبياء كانوا مفيدين لأممهم واقعاً.

---

(١) سلسلة أصول الدين: النبوّة: ص ٨٧.

ب) منهج الفلاسفة.

وهذا المنهج مبتني على ما يسمَّى بمقولة الاحتياج وخلاصته أنَّه إذا كان عندنا موجود من الموجودات وكان محتاجاً إلى شيء آخر في حياته الوجوديَّة فحتَّى يوجد ذلك الشّيء ويثبت للأوّل المُحتاج لابدَّ وأن يكون ممكناً في حقّه وبالنسبة إليه وإلاَّ فمجرَّد الاحتياج للشيء لا يُصيِّره ممكن الوقوع خارجاً بمعنى أنَّه قد تثبت حاجة الوجود الأوّل للشيء ولكنّه لا يوجد له (أي للوجود الأوّل) قابليَّة لتلقِّيه فيحنئذٍ يصير ذلك الشّيء غير ممكن على الرَّغم من وجود الحاجة إليه.

وعليه فلو كان موجود كالإنسان مثلاً بحاجة إلى شيء معيَّن في مَساره الطبيعي وفي حياته الوجوديَّة وكان له القابليَّة لتلقي ذلك الشّيء ومع ذلك لم يُعطَ ذلك الشّيء، كان معناه أنَّ القابليَّة موجودة ولكنّ الفاعليَّة غير موجودة، ومن ثمَّ ذهب الفلاسفة إلى القول بأنَّ كلَّ شيء غير موجود في هذا العالم فعلّة عدم وجوده تعود إلى عدم إمكانه وعدم قابليَّته وأمَّا ما كان ممكناً وله قابليّة الثُبوت للأوّل المحتاج والأوّلُ كان لـه قابليَّة الاستيعاب لذلك الشّيء فلا بدَّ وأن يوجد وذلك لأنَّ الله فاعل تامّ لا يمكن أن يمتنع الفيضُ من ناحيته إذ لا مجال للبُخل في ذاته حتى يمتنع الفيض، وعليه فكل ما لـه قابليَّة الوجود والإدامة في هذا العالم فسيفاض عليه الوجود من قِبَلِ الله تعالى جزماً.

ومن هذه الزاوية أطلَّ الفلاسفة والحكماء على مسألة الوحي والنّبوُّة معتمدين في استدلالهم على مقدمتين أساسيّتين.

الأولى: إنَّ أصل الوحي والنّبوّة ممكن بمعنى أنّه من الممكن اتصال الإنسان بعالم الغيب وما وراء الطبيعة إذ لا مانع عقلي من ذلك.

الثانية: إنَّ البشر محتاجون إلى الوحي والنبوّة إذ إنّ عدم وجود الوحي والنبوَّة خارجاً سوف يؤدِّي إلى ظهور فراغ لدى البشر ولاضطراب المجتمع البشري الذي يكثر فيه الاختلافات والنزاعات بين أفراده والتي لابدَّ من وجود حلٍّ لها.

وبضمِّ إحدى هاتين المقدِّمتين إلى الأخرى استنتج الفلاسفة وقوع الوحي والنبوّة خارجاً وذلك لأنَّ كلَّ ما كان ممكن الوجود وكان الطرف الآخر محتاجاً إليه في مساره الطبيعي فسيفاض من الله، والنَّاس محتاجون للوحي وهو ممكن الوجود ولا مانع منه فسيفاض من قَبلِ الله تعالى لأنَّ الله هو الفاعل التّام ولا مجال للبُخل في ذاته حتى يمتنع الفيض من قِبَلِه وبذلك يثبت المطلوب، وهو وقوع الوحي خارجاً وهذا المسلك يفترق عن الأوّل[1] من ناحية عدم فرض وجوب فعل شيء على المولى لأنَّ الأوّل كان يوجب فِعل الحَسَن على الله، بينما هنا فليس الأمر كذلك، وإنَّما من باب الامتنان يفاض على العباد والخلق ما يحتاجونه في مسيرة حياتهم واستمرارها، لا أنّ تلك الإفاضة كانت من باب أنّه ينبغي على الله فعل وتحقيق الوحي والنبوّة.

مسلك الشّهيد مطهري:

هناك طريق في إثبات الوحي والنبوّة قد أشرنا إليه سابقاً واستفدنا منه في إثبات إمكان الوحي، وهذا الطريق يبتني قوامه على أمرين.

الأوّل: الدُّخول إلى بحث النبوَّة والوحي والتسليم بها باعتبارها أمراً واقعاً.

---

(١) أي: عن المسلك الكلامي.

الثاني: يقوم على دراسته لبعض الأفعال الصادرة من بعض الموجودات والتي لا يمكن تفسيرها إلاّ بكونها ملهمة إليها من جهة خارجيَّة وراء عالم الطبيعة (أي من جهة إلهيَّة) كما هو الحال في بعض الحيوانات والحشرات الّتي إذا قمنا بدراستها وتحليلها نصطدم بصدور بعض التصرفات والأفعال الغريزيَّة منها والتي ليس مصدرها الاكتساب والتعليم ولا التجربة والوراثة كما يشهد بذلك العيان والوجدان فإنَّ وليدَ الفرس أو الغنم عندما يُولد تراه ينهض من مكانه وهو يبحث عن ثدي أُمِّه ليلتقمه مع أنه لم يشاهد أمَّهُ قد فعلت ذلك حتَّى يتعلَّم منها أو لم يجرِّب هو ذلك بنفسه لأنَّه لم يتذوَّق طَعْمَهُ بعدُ، فيبقى عندنا احتمال أن يكون هذا العلم قد انتقل إلى وَليد الغنم بالوراثة ولكنّه منقوض بابن العالم إذ لو كان العلم ينتقل بالوراثة للزم أن يكون ابنُ العالم عالماً مع أنَّ الواقع يكذِّبه لأنَّ كثيراً من أبناء العلماء جُهَّال بعلوم آبائهم، وببطلان هذه المناشئ الثلاثة للعلم في حقِّ هذه الحيوانات يتحتَّم علينا الالتزام بأنَّ منشأ هذا العلم أو الهداية الغريزيَّة هو الإلهام الإلهيُّ إذْ إنَّ مثل هكذا هداية موجودة في الحيوانات لا يمكن أن يكون لها منشأ غير الإلهام الإلهيّ، ومن هنا لابدَّ وأن يؤمن الإنسان بوجود مصدر غيبيٍّ خارج نطاق المادَّة والطبيعة هو الذي ألهمها ذلك، كما يصرّح نفس القرآن الكريم:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النّحل: ١٦: ٦٨.

ونحن إذا طرقنا باب النبوّة والوحي من هذا الطريق ورجعنا لما صدر من الأنبياء من اخبارات عن الغيب، ثمّ بيان صدقها ووقوعها في المستقبل أو ما صدر منهم عليهم السلام من أفعال خارقة للعادة كتحول عصا موسى إلى ثعبان أو إحياء الموتى وشفاء الأعمى والأبرص اللّذَين قد عجز الطبّ الحديث حتى الآن عن التوصّل لعلاجهما ـ وبعبارة أشمل وأدق، نقول ما صدر منهم من معجزات ـ فإنّا سنصل إلى النّتيجة ذاتها وهي أنّ هذه الاخبارات والمعاجز كانت خارج نطاق العقل والتعلم والتجربة والوارثة وبالتالي فلا منشأ لها سوى الإلهام من مصدر آخر وراء عالم الطبيعة والمادة.

وكذا نفس الكلام نقوله بالنسبة لتعاليم الأنبياء وشرائعهم فإنّ هذا التطابق بين ما جاء به الأنبياء من تعاليم، ومصالح العباد الاجتماعيّة والأخلاقيّة والعباديّة والمعاملاتيّة إلى حدّ قد لا نجد فيه أيّ تخلّف ولو في مورد ـ وإن كان البعض قد شكّك في ذلك ولكنّه لم يستطع إثبات ذلك وبقي ما قاله مجرّد دعوة من دون برهان ودليل ـ لأنّ تعاليم الأنبياء تتّسم بدرجة من الكمال لا يُعقل معها أن تكون نتاجاً لنبوغ فردٍ عادي.

كلُّ ذلك يدلُّنا بشكل واضح على أنّ تلك التعاليم كان مصدرها ما وراء الطبيعة وإلاّ فقد شهد التاريخ كثيراً من علماء الإصلاح والفلاسفة الكبار الّذين حاولوا إصلاح المجتمع بوضع التعاليم وتشيِّد القيم له من عند أنفسهم إلاّ أنّ تلك التعاليم ظلّت ناقصة ثم بَادَتْ لأنّها لم تستطع إدارة شؤون البشريّة كافّة وفي جميع المجالات بخلاف ما جاء به الأنبياء والرُّسل من تعاليم وشرائع وبالخصوص شريعة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله الّتي استطاعت أن تدير شؤون المجتمع ككُل والأفراد كأفراد في جميع المجالات العباديّة والاجتماعيّة... وتحلُّ جميع المشاكل بما يتناسب

ومصلحة العباد الخاصّة والعامَّة[١].

كلٌ ذلك يدلُ على أنَّ مصدر تلك التعاليم هو الإلهام من وراء عالم الطبيعة وإلاً لو لم يكن كذلك لتخلًف هذا التطابق ولو في بعض الموارد ولانكشف لنا ذلك كما انكشف في حق بعض رجالات الإصلاح والفلاسفة الكبار الّذين حاولوا إصلاح المجتمع بتعاليم من عند أنفسهم خصوصاً بعد مرور هذا الزّمن الذي لا يستهان به حيث إنَّه قد مرَّ على نزول خاتمة الشّرائع بحسب اعتقادنا أكثر من ألف وأربعمائة سنة ومع ذلك بقيت شامخة بتعاليمها مع كلٍّ ما تعرَّضت أو تتعرَّض له من هجمات قاسية مُلحدة.

وهذا المنهج هو الذي سلكه القرآن الكريم كما أشرنا، وكذا الكتاب المقدَّس حيث استدلّ أتباعهما (أي أتباع القرآن والكتاب المقدَّس) على صدقهما وأنَّهما موحيان من قبل الله تعالى، بصدق النبوأت والإخبارات عن الغيب والمعجزات وشموخهما في وجه الهجمات القاسية كما إتضح[٢] ويتضح لنا فيما بعد عند التعرّض لأدلة اليهود والنَّصارى على وقوع الوحي وحدوثه.

وكما هو واضح فإنَّ الحاكم بوقوع الوحي في جميع هذه المسالك هو العقل أمَّا الأوَّل وهو مسلك المتكلمين القائلين بالحُسن والقبح العقليين فالعقل العملي هو الذي حكم بوجوب فعل الحسن على الله تعالى.

---

(١) لا يخفى على أحد ما في هذا الوجه لأنَّه قد افترض النَّتيجة مسبقة وواقعة واعتبر أنّ النبوّة أمر واقع ونطلق منها.

(٢) إتضح لنا بالنسبة للقرآن الكريم.

وأما الثاني فالعقل هو الذي يحكم أيضاً بإفاضة الله الوحي لأنَّ البشر بحاجة إليه وهو ممكن الوجود ولا مجال للبُخل في ذاته عزَّ وجلَّ.

وأما الثالث فالعقل كذلك هو الحاكم بلزوم أن يكون ما جاء به الأنبياء من تعاليم وإرشادات ناتجاً عن مصدر وراء الطبيعة هو الله تعالى[١].

الأدلة النقليَّة على وقوع الوحي

قسمَّنا سابقاً الأدلَّة النقليَّة إلى ما هو خارج عن القرآن وما هو داخل فيه.

أ) الأدلَّة النقليَّة الخارجة:

استدلَّ بعض المسلمين على وقوع الوحي والرِّسالة بالتواتر مع تفصيل بين الحاضر في زمن الرِّسالة والغائب عن زمنها (أي عن البعثة) حيث قال:

«الدليل على رسالة نبيٍّ وصدقه فيما يحكي عن ربِّه ظاهر للشاهد الذي يرى حالهُ ويبصر ما آتاه الله من الآيات البيِّنات ويحقِّق بالعيان ما يغنيه عن البيان كما سلف في الوجه الأوَّل من الكلام على الرِّسالة[٢] أمَّا للغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر وهو كما تبيَّن في علم آخر

---

(١) هذا المسلك وإن كان مسلكاً قرآنياً إلا أنَّ الحاكم به هو العقل وفرق بين الحاكم وبين أصل الطريقة والمسلك.

(٢) هذا مختصّ بأولئك النَّاس الَّذين عايشوا زمن البعثة.

رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وآيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالأخبار بوجود مكَّة...»[١].

ب) الأدلّة النقليّة الدّاخلة

أمّا الأدلّة الدّالة على وقوع الوحي من القرآن فكثيرة جداً نكتفي بذكر بعضها.

كقوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٢].

وقال جلّ شأنه في آية أخرى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ الله شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ...﴾[٣].

وكقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٤].

ولكن لا يخفى ما في هذا الاستدلال من نقص، لأنّه استدلال على وقوع الوحي بالوحي الواقع وهو مصادره.

---

(١) رسالة التوحيد: ص ٦١.

(٢) سورة يوسف: ١٢: ٣.

(٣) سورة الأنعام: ٦: ١٩.

(٤) سورة النجم: ٥٣: ٣-٤.

أدلّة اليهود والنَّصارى على وقوع الوحي

ذكر أصحاب هاتين الدِّيانتين العديد من الأدلّة الدالّة على وقوع الوحي وحدوثه وهذه الأدلّة يمكن تقسيمها كما فعلنا سابقاً بالنِّسبة لأدلَّة المسلمين إلى أدلّة من خارج الكتاب المقدَّس وأدلّه نقليَّه من داخله، والأدلَّة المسوقة من خارج الكتاب المقدَّس بعضها مبتنى على حاجة البشر إلى الوحي والبعض الآخر ليس كذلك، وإنَّما هو مبتني على سموٍّ تعاليم الكتاب المقدَّس ومعاجزه وصدق نبوأته وإخباراته عن الغيبيَّات ووقوفه شامخاً في وجه كلِّ العواصف الّتي تُهدِّدهُ والحملات الّتي كان يُراد منها النَّيل من مقامه السّامي على مرِّ العصور، في مدَّة تجاوزت آلاف السِّنين.

١) الأدلّة الخارجة

الأدلّة المبتنية على حاجة البشر إلى الوحي.

أ) ضعف الإنسان وعجزه عن التوصّل إلى معرفة الله.

إنّ ضعف الإنسان وعجزه عن التوصّل إلى معرفة الله عزّ وجل من تلقاء نفسه مع أنّه بأمسّ الحاجة لتلك المعرفة كي يقوِّم هفواته ولا يقع في الخطأ كما وقع مَن قبله، لهو خير دليل على ذلك، وقد شهد لنا التاريخ أنَّ البشر لم يستطيعوا أن يعرفوا الله بما لديهم من إمكانيات عقليَّة وحسيّة كما اعترف بذلك أشهر فلاسفتهم كسقراط وأفلاطون على ما نقله جيمس إينس عنهما حيث نقل عن سقراط أنه قال:

«إنَّ كلَّ معرفة صحيحة بالآلهة هي من الآلهة»[1].

---

(١) اللاّهوت النِّظامي: الفصل الثالث: إمكان حدوث الوحي، ٣.

وقال أفلاطون أيضاً:

«ليس لنا أن نعرف الحقائق إلاّ من الآلهة أو من أنبياء الآلهة وعقل الإنسان يحتاج إلى الإنارة الإلهيَّة ليفهم ما يتعلَّق بالله كما تحتاج العين إلى نور الشّمس لترى الموجودات»(١).

فهؤلاء وأمثالهم لم يهتدوا إلى الحّق بما لديهم من الحكمة والبراهين بل تاقت نفوسهم لمجيء معلِّم من الله ليرشدهم إلى الحقٍّ لأنَّ المعرفة الحقيقيَّة بالله تكون من الله تعالى. يقول جيمس إينس في هذا المضمار:

«الإنسان ضعيف وعاجز عن معرفة الله من نفسه ولكنَّه يحتاج لهذه المعرفة ويتضح ذلك منذ سقوط الإنسان إلى تجسُّد المسيح إلى الآن فإنّ البشر في كلٍّ مكان وزمان لم يعرفوا الله بالحكمة ولا بنور الطبيعة حتى أنَّ أشهر الفلاسفة وأغزرهم علماً لم يهتدوا إلى الحقٍّ بل ضلوا عنه كما يضلُّ الأعمى وهو يبحث عن النُّور وتاقت نفوسهم لمجيء معلم من الله ليرشدهم»(٢).

ب) هداية الإنسان وإرشاده.

إنَّ الله تعالى قد أعطى الإنسان الوحي لأجل هدايته وإرشاده وذلك رأفة ورحمة منه ليخلصَّه من براثم الجهل والخطايا بعد أن رأى توغُّله في

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق: القيس جميس أينس اللاّهوت النِّظامي: الفصل الثالث، من ص ٣- ١٤، راجعه ونقَّحه وأضاف إليه ألقيس فَنيس عبد النُّور.

ظلمات الجهل والخطيئة وصار تحت طائلة الهلاك كما جاء على حدٍّ تعبير بعضهم حيث يقول:

«صلاح الله وحنوُّه على البشر ومحبَّته لهم فإنَّه خلق الإنسان على صورته لأجل مجده وكلَّله بقُوى عقليَّة سامية ومواهب مساويَّة، وجعله أهلاً لنوال الحياة الخالدة، ولمّا سقط الإنسان وتوغَّل في الجهل والخطيَّة وصار تحت طائلة الهلاك، أراد الخالق المحب الرَّؤوف الجواد أن يخلِّصه فمدَّ له يد المعونة، وأعطاه الوحي لهدايته وإرشاده»[١].

٢) الأدلَّة المبتنية على غير حاجة البشر للوحي

أ) صدق النبوأت.

استدل كلٌ من اليهود والنَّصارى على كون الرِّسالة موحاة من قبل الله تعالى بصدق نبوأتها وإخباراتها عن الغيب:

«إنَّ نبوات الكتاب المقدَّس هي واحد من أقوى الأدلة على وحية لأنَّ مَن يستطيع أن يخبرنا عمّا سيحدث بعد مئات وآلاف السّنين سوى الله؟ انظر إشيعاء ٤١: ٣ فإذا كان هذا الكتاب يحتوي على نبوات قيلت قبل حدوثها بأجيال وقرون وتمَّت بكلٍّ دقّة فهذا دليل لا يُنقض على أنّه فعلاً كلمة الله»[٢].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) أدلة وحي الكتاب المقدَّس: على الإنترنت http://www.The Arabic Christcan Mcnistey

ب) قوة التَّأثر في المجتمع

لقد استدل البعض على كون الكتاب المقدَّس موحى به من قبل الله تعالى بقوَّة تأثيره حيث قال بعد أن عقد البحث تحت عنوان «**أدلّة وحي الكتاب المقدَّس**».

«الدليل الأول» قوة تأثيره.

«لا يوجد كتاب أثَّر في تاريخ البشريَّة بعمق مثل ما فعل الكتاب المقدَّس ولا يوجد شيء في الوجود كُتبت عنه المؤلفات الّتي يستحيل حصرها مثل ما حدث مع الكتاب المقدَّس.

ولا عجب فهو بخلاف الكُتب البشريَّة يناسب كلَّ شعوب العالم متخطياً حدود القوميَّة مما يبرهن أنَّ مصدره سماوي وهو كتاب كلِّ العصور إذ لا يوجد كتاب قديم مثله لازال البشر يقرأونه بشغف ولذّة وخشوع ممَّا يدل على أنَّ صاحبه هو الله الأزليُّ إلهيّ وهو كتاب الأجيال كلها»[1].

ج) تضمّن تعاليم الأنبياء لحقائق ينحصر صدورها بالوحي الإلهي.

تتضمن تعاليم الأنبياء السّابقين حقائق سامية لا يمكن أن تكون صادرة إلاً من جهة الوحي الإلهي، يقول جيمس إينس في هذا المجال:

«تتضمن تعاليم الأنبياء والرُّسل حقائق سامية لم يكونوا ليعرفوها إلاّ بوحي إلهي وهي تكفي حاجات طبيعتنا وتحلُّ كلَّ ما عجزت

---

(١) نفس المصدر السابق.

عقولنا عن حلِّه من المشكلات والمعضلات، كما تُصادق على كلٍّ ما تشعر به ضمائرنا وطبيعتنا الأخلاقيَّة وتوافق نفوسنا كما يوافق الهواء الرئتين وبدون معرفة هذه التعاليم تكون نفس الإنسان كالرئتين بدون هواء»[١].

د) المعاجز النبويَّة

استدل اليهود والنَّصارى على وحي الكتاب المقدَّس بالمعاجز الَّتي قام بها الأنبياء الموجودة في طيّات الكتب وغيرها. قال جيمس إينس:

«ما في الكتاب من نبوات ومعجزات تشهد أنّ الله أوحى به، فمعظم ما في العهد الجديد جاء كنبوأت في العهد القديم ممّا يدل على أنَّ الّذين كتبوه كانوا مسوقين من الرُّوح القدس أمَّا المعجزات فثابتة لأنّها حوادث تاريخيَّة روتها كتب التاريخ العالمي»[٢].

وقال بعضهم:

«ومن الأدلة على وحي الكتاب المقدَّس المعجزات الّتي أتى بها المسيح ورسله...»[٣]

---

(١) إينس: جميس، علم اللاّهوت النِّظامي الفصل الثالث من ص ٣-١٤.

(٢) لا يتوهم أنَّ هذا الوجه هو نفس الأوَّل (أي صدق النبوات) بل هو أعمق استدلالاً وذلك لأنّه ذكر النبوأت والمعاجز وهدفنا من ذكره هنا هو تعرضه للاستدلال بالمعاجز على كون الرِّسالة صادقة وموحاة وإلاّ فالاستدلال بصدق النبوات والإخبارات الغيبيَّة قد مرَّ في الوجه الأوَّل كما لا يخفى على أحد.

(٣) موقع نور: الدليل الثامن: www.alnour.com/sa/vaton/2 truth/2 truth7. htm-37 k.

ونحن إذا دقّقنا النّظر في مجموع هذين الاستدلالين الأخيرين لجيمس إينس نرى أنّهما بمجموعها يشكلان نفس النّظريّة والمسلك الثالث الذي يؤمن به الشّهيد مطهري.

هـ) صمود الرِّسالة وبقاؤها شامخة.

«فالرِّسالة الّتي تقف شامخة رغم كل محاولات الهدم رسالة صادقه. الرِّسالة الّتي لا تخشى الانتقاد والتقييم المُستمر في العهود المختلفة هي رسالة مؤسَّسة على الصخر فالرِّسالة الحقيقيَّة لا تحتاج إلى حماية بشر في مواجهة النّقد والتقييم ولرسالة المسيح ٢٠٠٠ عام تعرَّضت فيها وما زالت لكل معاول الهدم والانتقاد حتَّى في البلاد المسيحيَّة نجد الإذاعة والتلفزيون والصحافة تترك المجال بكل حُرَّية لمن يريد أن ينتقد المسيحيَّة والكتاب المقدَّس ولكن يبقى في النهاية التعليم الصحيح فلا يصُّح إلاّ الصحيح كما يقولون... إن كنت تريد أن تكشف صدق رسالة أو نبوَّة اتركها للناس ينقدونها ويفسِّرونها ويحللونها فإن صمدت للنقد واستطاعت أن تقاوم تكون رسالة صادقة من الله لا تحاول أن تحميها برجال أو مال أو سلاح فالرِّسالة الصَّادقة قوتها في الحقّ الذي تحويه»[1].

---

(١) عبد النّور: الدكتور القيس فَنيس، شبهات وهميّة حول الكتاب المقدَّس المقدمة – المطلب ٤، مقدمة عامّة: ٤.

الموقع على الانترنت: WW.Uhs wering-jslun-Org/Arabic/books/claims/chtro4. html 2 Gk.

٢) الأدلّة الدَّاخلة

هناك العديد من العبائر الموجودة في الكتاب المقدَّس والدَّالة على أنَّه موحى به من قبل الله سبحانه ونحن سوف نقتصر في المقام على ذكر أوضحها وأدلّها على المطلوب لأجل الاختصار.

١) ما ورد مراراً وتكراراً في أسفار الكتاب المقدَّس في حق بني الله موسىعليه السلام من الإيحاء إليه إلى حد كبير قد تجاوز بضع مئات وذلك كقوله:

«ثم كلّم الرَّب موسى قائلاً»[(١)].

«وقال الرَّب لموسى...»[(٢)].

وغيرها من العبائر الواردة في حقّه والدّالة على أنّ ما جاء به موسىعليه السلام كان كلاماً إلهيّاً موحى به من قبل الله تعالى.

٢) ما ورد أيضاً في أسفار الأنبياء الّذين جاؤوا من بعد موسى كقوله:

«هكذا يقول ربٌّ الجنود»

«وكانت كلمة الرَّب إلى النبيّ...»

«وهكذا تكلم الرَّب إلى إسرائيل قائلاً أكتب كلَّ الكلام الذي تكلمتُ به إليك في سِفر»[(٣)].

---

(١) سفر الخروج: ٦: ١٠.

(٢) سفر الخروج: ٢٤: ١٢.

(٣) سفر إرميا: ٣٠: ٢ و٣٠.

٣- ما ورد في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس:

«كلُّ كتاب هو موحى به من الله ونافع للتَّعليم والتَّوبيخ للتَّقويم والتأديب الذي في البرّ لكي يكون إنسانُ اللهِ كاملاً متأهِّباً بكلِّ عملٍ صالحٍ»[١].

وهذه العبارة من أدلّ العبائر على المطلوب ولذا نرى في كثيرٍ من كتبهم أنَّهم قد استدلُّوا بها.

٤- ما ورد في رسالة بطرس الرَّسول الثانية:

«لأنه لم تأتِ نبوّة فقط بمشيئة إنسان بل تكلّم أُناس الله القدِّيسون مسوقين من الرُّوح القدس»[٢].

النتائج المُستخلصة

ومن خلال هذا البيان يتضح لنا أنّ معظم الأدلَّة الّتي سيقت لإثبات وقوع الوحي مشتركة بين الدِّيانات الثلاث.

١) المسلمون مثلاً استدلّوا بحاجة البشر إلى الوحي واليهود والنّصارى كذلك.

٢) المسلمون استدلّوا بصدق الإخبارات الغيبيَّة واليهود والنّصارى استدلوا كذلك بصدق النبوأت.

٣) المسلمون استدلوا بالمعاجز الإلهي الدّالة على أنّ مصدرها لابدّ

---

(١) الإنجيل المقدّس العهد الجديد: رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس: ٣: ١٦- ١٧.

(٢) الإنجيل المقدَّس: رسالة بطرس الثّانية تحت عنوان الوحي المقدَّس: فقرة: ٢١.

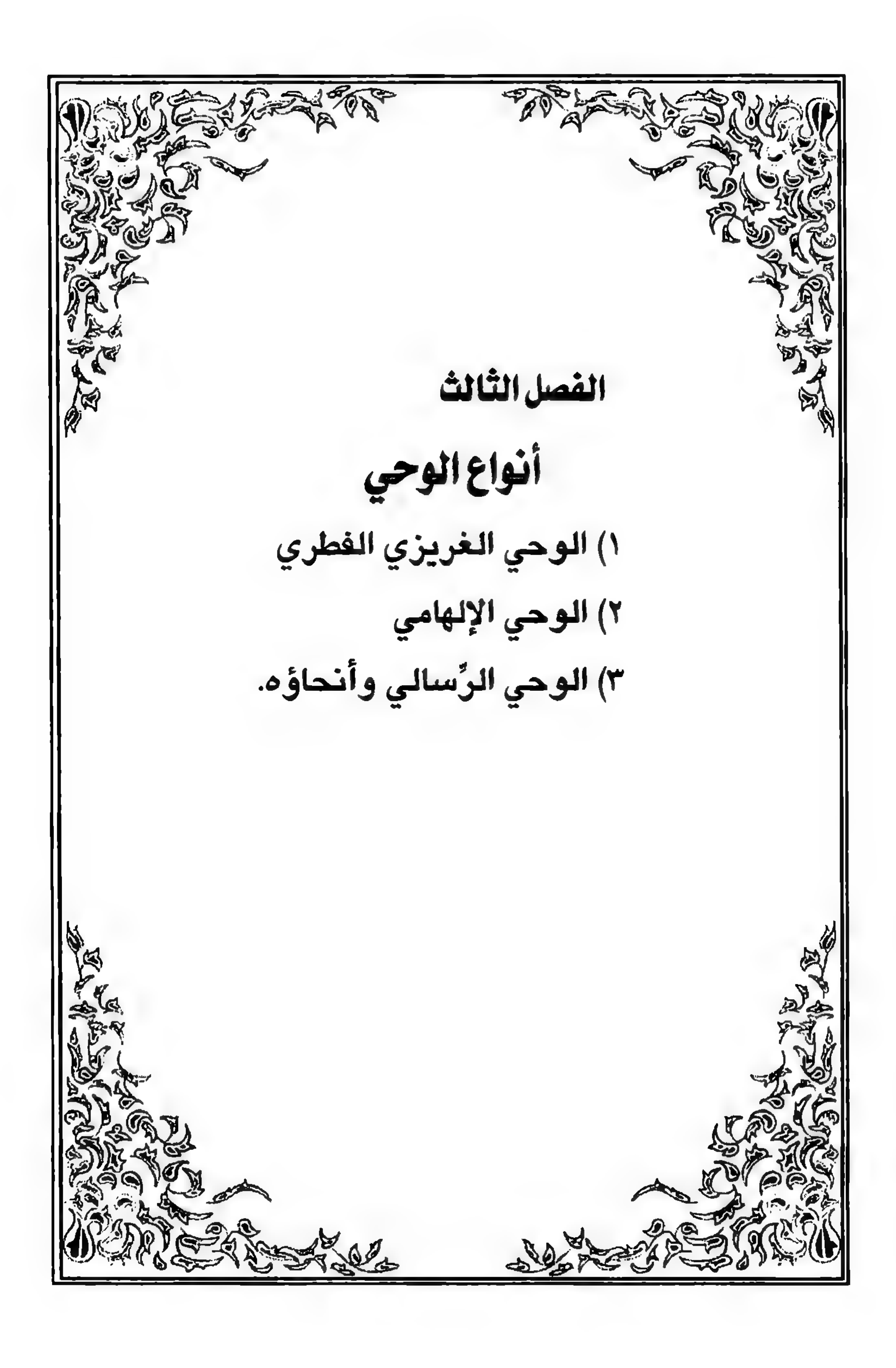
وأن يكون من الله تعالى وهم كذلك.

٤) المسلمون استدلوا بشموخ القرآن وقدرته على إدارة شؤون المجتمع ككلٍّ بما يتناسب ومصلحة العِباد وهم كذلك[١].

٥) المسلمون قد استدلوا ببعض الآيات القرآنيَّة الدالة على أنّ القرآن كتاب موحى من قبل الله تعالى وهم كذلك استدلوا ببعض الآيات الموجودة في الأسفار والأنجيل والدّالة على أنّ الكتاب المقدَّس موحى به من قبل الله تعالى.

---

(١) ينبغي الالتفات إلى وجود بعض الفوارق البسيطة في طريقة الاستدلال ولكن بنحوٍ لا تخرجه عن النقطة الأساسيَّة والجوهريَّة الّتي يبتني عليها الدّليل .



الفصل الثالث

أنواع الوحي

١) الوحي الغريزي الفطري

٢) الوحي الإلهامي

٣) الوحي الرِّسالي وأنحاؤه.

الوحي في القرآن:

ممًّا لا شكّ فيه أنّ الوحي يمكن تقسيمه باعتبارات متعدِّدة إلى وحي بلحاظ الموحَى إليه وآخر بلحاظ الموحِي وثالث بلحاظ نفس طبيعة الوحي.

وهذا التقّسيم بهذه الاعتبارات الثلاث يمكن استفادته من القرآن الكريم بشكل واضح وذلك لأنَّ القرآن الكريم عندما أطلق لفظ الوحي لم يطلقه على خصوص الوحي النّازل على الأنبياء والرُّسل وإنّما أطلقه على الأعم من ذلك بما يشمل النَّازل على الأنبياء والرُّسل وغيرهم من بني البشر وغير البشر بمعنى أنَّ غير البشر كذلك يوحى إليهم وإن كانت الطريقة الموحى بها بالنسبة لكل نحوٍ تختلفُ عن غيرها كما سيتضح معنا فيما بعد.

الوحي بلحاظ الموحَى إليه

١- الإيحاء إلى الأنبياء والرّسل

وذلك كقوله تعالى:

أ) ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنبيّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[1].

---

(١) سورة النساء:٤: ١٦٣.

ب) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١].

٢- الإيحاء إلى بشر غير الأنبياء والرُّسل

أ)ـ الإيحاء إلى الحواريين:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[٢].

ب)ـ الإيحاء إلى أم موسى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾[٣].

ج)ـ الإيحاء إلى مريم عليها السلام :

هذا إذا حملنا إرسال جبرائيل إليها على الإرسال الوحيي لأنّه قد ينزل جبرائيل ولكن ليس بعنوان الوحي وذلك كقوله تعالى:

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[٤].

وكقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١:٧.

(٢) سورة المائدة:٥:١١١.

(٣) سورة القصص: ٢٨:٧.

(٤) سورة مريم: ١٩:١٧.

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾[١].

٣- الإيحاء إلى غير البشر.

أ)- الإيحاء إلى الملائكة:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِين آمَنُواْ...﴾[٢].

ب)- الإيحاء إلى النّحل:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٣].

ج)- الإيحاء إلى السّماوات:

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنيا بِمَصَابِيحَ...﴾[٤].

د)- الإيحاء إلى الأرض:

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٥].

هـ)- الإيحاء إلى الجن:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ

---

(١) سورة مريم: ٢٤:١٩.

(٢) سورة الأنفال: ٨:١٢.

(٣) سورة النحل: ٦٨:١٦.

(٤) سورة فصلت: ٤١ : ١٢.

(٥) سورة الزلزلة:٥:٩٩

آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا...﴾[1].

فإنّ هذه الآية تدل على أنّه كان هناك رسل من الجِّن ينذرون قومهم وأنّ الله سبحانه وتعالى يوحي إليهم، أمّا كيفيَّة هذا الإيحاء فليس واضحاً عندنا.

الوحي بلحاظ الموحِي.

أ) الإيحاء الرّباني

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾[2].

ب) الإيحاء الشيطاني

وهو الوارد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿...وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[3]

وهذا النَّحوُ الأخير ـ أي الإيحاء الشيطاني ـ وإن كان كسابقه يندرج تحت واحدٍ من الأنحاء المذكورة في التقسيم باللحاظ الأوّل لأنّه يندرج تحت الإيحاء إلى بشر غير الأنبياء والرُّسل وذلك لأنّ الأولياء هم بشر يوحى إليهم إلاّ أنّه يختلف عن الانحاء السّابقة في مصدر الوحي فإنّ مصدر الإيحاء في جميع الأنحاء السّابقة بما فيها الايحاء الرّباني كان هو الله

---

(١) سورة الأنعام:٦:١٣٠

(٢) سورة الإسراء: ١٧: ٣٩.

(٣) سورة الأنعام:٦:١٢

سبحانه وتعالى، بينما هنا فإنّ مصدر الوحي هم الشّياطين[١]. أي غير الله تعالى وبذلك يتميَّز هذا النحو عن الأنحاء السّابقة.

ولأجل هذه النكتة جعلنا له تقسيماً مستقلاً في قبال التقسيم السّابق ثم أدرجناه تحته، وإن كانت جميع الأنحاء الّتي مرّت معنا لكلا التقسيمين والتي سيأتي معنا في التقسيم الثالث تشترك في مفهوم الوحي الذي هو الأعلام الخفي كما مرَّ معنا سابقاً.

الوحي بلحاظ طبيعته.

إنّ بعض الباحثين في علوم القرآن قسّم الوحي إلى أربعة أنواع وخالفه آخرون بتقسيمات آخرى إلى خمسة أو ستّة:

أ)ـ الوحي الإشاري

كقوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[٢].

أي: أشار إليهم.

---

(١) طبعاً ليس المراد من الوحي الشّيطاني خصوص الوحي الذي يكون إلى الأولياء من الشّياطين الّذين هم من غير جنس البشر بل المراد ما يعم كل فكره شيطانيه سواء كانت من الشّياطين أم من البشر ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام :١١٢.

(٢) سورة مريم : ١١:١٩

ب)ـ الوحي الغريزي الفطري الجبلّي

كقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[(١)].

فإنّ أكثر علماء التفسير سنّة وشيعة حملوا الوحي هنا على الإدراك الفطري الغريزي الموجد في النّحل فإنّ ما يحكم عالم النّحل من تنظيم للأعمال والوظائف في داخل الخليَّة الواحدة شيء يدهش العقول فنرى بأنّ جماعة العاملات تذهب إلى البساتين لجني رحيق الأزهار وغيرها حتى تصنعها عسلاً لذيذ المذاق والذُكور دورها فقط وفقط تلقيح الملكة إلى آخره هذا كلّه يصدر منها بسبب الغرائز الّتي زوّدها الله بها والتي تكون كفيلة بذلك، وإن كان يحتمل في الآية وجوهاً أخرى ذكرها المفسِّرون منها أنّ المراد من الإيحاء إلى النّحل أي أمرها[(٢)] أو تسخيرها[(٣)] وقال بعضهم إنّ الله تعالى أرسل إليها رسولاً[(٤)]، ولكنّ الأكثر على ما ذكرناه من أنّ المراد هو إلهامها.

ومن هذا النحو قوله تعالى :

---

(١) سورة النحل: ١٦: ٦٨.

(٢) السيوطي: جلال الدين،الدُّر المنثور :ج ٤، ص٢٣٠.أخرجه من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم،تفسير غريب القرآن: ص٢٤٥.نقله مضّعفاً.

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ج٤،ص٤٦٥ قال: وأوحى ربك إلى النّحل في هذا الوحي قول أن أحدهما إلهام والثاني أنه أمر وبعضهم قال أرسل إليها رسولاً، ولكن لم أعثر على هذه النِّسبة.

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...﴾[1].

وقوله تعالى في سورة الزلزلة:

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[2].

فإنَّ السّماوات والأرض، مفطورات بحكم خلقتها وجبِلّتها على أنظمة كونيّة خاصّة بها بحيث تصدر منها الأعمال والأفعال المنسجمة مع تلك الأنظمة المودعة فيها فطرياً.

وأمّا تعبيرنا عن الإيحاء إلى السّماوات والأرض بالوحي الفطري فلأنّ هذا التعبير له جذور إسلاميَّة واضحة.

كقوله تعالى:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]

فالسّماوات والأرض مفطورات بالفطرة الإلهيَّة وإن كان يوجد في هاتين الآيتين وجوهٌ أخرى ذكرها المفسِّرون.

منها: أن المراد من الإيحاء في كلٍّ سماء أمرها ـ أي أمرها أو أمر أهلها بالطاعات والعبادات أو ما هو أصلح لها.

ومنها أنّ المراد من الإيحاء إلى الأرض ـ أي ألهمها أو أمرها أو أشار

---

(١) سورة فصلَت: ٤١: ١٢.

(٢) سورة الزلزلة: ٩٩:٥.

(٣) سورة الأنعام: ٦:٧٩.

إليها أو أوجد الأسباب المؤدية لخراب الأرض أو بتوسيط ملك ولكنْ الأكثر على التعبير بألهمها.

وأمّا التعبير عن الإيحاء إلى السّماوات والأرض بالإلهام فإنّه وإنْ كان الإلهام مختصّاً بالعاقل لكن سوف تأتي النُكتة في توجيهه عندما نتعرّض لنقل كلام الإمام القسطلاني.

ج)ـ الوحي الإلهامي

والإلهام هو شعور باطنيٌ يحسٌ به الإنسان في داخله وقد يجهل مصدر هذا الشّعور وقد يعرف مصدره وأنّه من الله تعالى أو من غيره.

وهذا الشّعور والإلهام قام بعض الأعلام بتقسيمه إلى نحوين.

النحو الأوّل:

الإلهام الرَّحماني: وهو ما إذا كانت الجهة والمصدر الذي أتى منه هذا الإلهام هو الله سبحانه وتعالى مباشرة أو بواسطة ملائكته.

ومنه قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾[1].

النحو الثاني:

الإلهام الشّيطاني: وهو ما إذا كانت الجهة والمصدر الذي أتى منه هذا الوحي والإلهام والوسواس شيطانيَّة سواءاً كانت إنسيّة أم غيرها.

(١) سورة القصص: ٢٨:٧.

ومنه قوله تعالى:

﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١].

ومنه قوله تعالى:

﴿....وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ... ﴾[٢].

د)ـ الوحي الرِّسالي:

وهو النَّازل على الأنبياء والرّسل.

كقوله تعالى:

﴿.. وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنبيّينَ﴾[٣].

وهذا النّوع هو الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم حتّى إنّ بعض الباحثين ذكر أنّه قد استعمل في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً[٤].

وعلى هذا الأساس فإن جميع ما ورد ذكره في القرآن من مادّة الإيحاء لابدّ وأن ينطوي ويندرج تحت واحد من هذه الأنواع الأربعة الموجودة هنا بحيث لا يخرج أيُّ قسم من الأقسام السّابقة الّتي ذكرناها تحت عنوان الوحي في القرآن عن هذه الأنواع الأربعة.

---

(١) سورة الأنعام :٦: ١١٢.

(٢) سورة الأنعام:٦: ١٢١.

(٣) سورة الأنبياء: ٢١: ٧.

(٤) معرفة: محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن: ج١، ص ٢٩.

وهذا التقسيم الذي ذكرناه هنا هو المستفاد من بعض كتب الشّيعة.

وأما عند أهل السنّة: فقد راجعت أشهر كتبهم كالإتقان والبرهان والمناهل في علوم القرآن فلم أعثر على كلام لهم حول هذا التقسيم وإنّما يفصلّون مباشرة بالوحي الرّسالي النّازل على النّبيّ ﷺ أي أنّهم يتحدّثون عن كيفيّة نزول الوحي على النّبيّ ﷺ ولكنّا قد نجد مثل هذا التقسيم في بعض الكتب الشّارحة للحديث عندهم وبعض كتبهم التفسيريّة.

فقد ذكر الإمام القسطلاني بعد تعريفه للوحي لغة واصطلاحاً وأنّه بحسب اللغة إعلام خفي، وبحسب الشّرع ما ذكرناه سابقاً في تعريف الوحي، ما حاصله:

«وقد يجئ بمعنى الأمر وإذ أوحيت إلى الحواريين أي أمرتهم وبمعنى التسخير نحو وأوحى ربُّك إلى النّحل أي سخّرها لهذا الفعل وهو اتخاذها من الجبل بيوتاً وقد يُعبَّر عن ذلك بالإلهام ولكن المراد هدايتها لذلك وإلاّ فالإلهام حقيقة إنّما يكون للعاقل، والإشارة نحو فأوحى إليهم أن سبحوا بكره وعشيا...».

«إنّا أوحينا إليك وحى إرسال فقط...»[١].

ومن خلال كلامه يتضح لنا أمران:

أولهما: أنّ هذا التقسم موجود حتى عند أهل السُّنّة.

وثانيهما: أنه من خلال ما نقلنا عنه يتضح لنا النُكتة الّتي دعت

---

(١) القسطلاني: شهاب الدّين، ارشاد السّاري لشرح صحيح البحاري: ج ١، ص٨٣.

البعض لتقسيم هذه الأنواع إلى ستّة حيث إنّ هذا البعض فصل الوحي إلى السّماوات والأرض عن الوحي إلى النّحل واعتبره نوعاً مستقلاً بحدٍّ نفسه عبرّ عنه.بقوله: (تقدير الخلقة بالسُّنن والقوانين)[١] في قبال الوحي، بالغريزة الذي منه الإيحاء إلى النحل كما وأنّه اعتبر الإيحاءات الشّيطانيَّة نوعاً مستقلاً في قبال الأنواع الباقية فصارت الأنواع ستة، ولكن لا يخفى على أيٍّ متأمّل ما فيه من خلل، ولذا نحن ذكرنا تقسيماً آخر بلحاظ نفس الموحِي.

هذا بالإضافة إلى إنّه يمكن اقتناص هذا التقسيم لأنواع الوحي من طيّات بعض كتبهم التفسيريّة الّتي تعرضوا فيها لشرح هذه الآيات الّتي مثلنا بها فقد ذكر صاحب كتاب البحر المديد ما حاصله.

إنّ الوحي على ثلاثة أقسام وهي وحي إلهام ووحي منام ووحي أحكام وأصل الوحي الإشارة السّريعة[٢].

كما وأنّ ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ذكر هذه العبارة:

«وقد بينا في شرح الحديث وكتب الأصول أنّ الوحي ينقسم إلى ثمانية أقسام منها الإلهام»[٣].

كما وأنّه ذكر في تفسيره لسورة الزلزلة أن المراد من الإيحاء إلى الأرض أي الإشارة إليها، وكذلك بالنِّسبة لقوله تعالى ﴿ **وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ**

---

(١) السبحاني: جعفر، مفاهيم القرآن: ج٧، ص٩٠-٩١-٩٢.

(٢) ابن عجيبة: أحمد بن محمّد بن المهدي، تفسير البحر المديد: ج٤، ص٣٨-٣٩.

(٣) ابن العربي: محمّد بن عبد الله، أحكام القرآن: ج٣، ص١٠٥.

أَمْرَها﴾ كما وأنّ صاحب تفسير الوسيط[1] ذكر في تفسيره لآية **﴿ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها﴾** أنّ المراد أنّه جلّ شأنه جعل فيها النِّظام الذي تجري عليه الأمور فيها، يعني هذا يكون تكوينياً جبلّياً بتقدير الخلقة وبهذا يتضح لنا أنّ هذا التقسيم موجود في بعض كتبهم الشّارحة للحديث ويمكن اقتناصه من بعض الكتب التفسيريَّة.

وكما هو واضح فإنّ هذا التقسيم لأنواع الوحي هو من وجهة نظر إسلاميَّة، ولذا فلا بأس بأن نأخذ كلّ واحد من هذه الأنواع على حِده ونقوم بدراسته لكي نرى بأنَّه هل يوجد مثل هكذا تقسيم في الدِّيانتين اليهوديَّة والمسيحيَّة أولا؟ وإن كان يوجد في الدِّيانة يهوديَّة تقسيم آخر لأنواع الوحي على ما ذكره شُرَّاح العهد القديم وهو على النَّحو التالي:

١) المخاطبة المباشرة

٢) الرؤيا في اليقظة

٣) الحلم أثناء الليل

٤) الوحي عن طريق الملاك

٥) حلول الرُّوح القدس على الأنبياء والرُسل[2]

ولكنّ هذا التقسيم الذي ذكروه يندرج إلى حدّ كبير في النَّوع الثالث الموجود عندنا والمسمّى بالوحي الرِّسالي كما سيتضح لنا فيما بعد.

---

(١) النيسابوري: علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ج٤، ص٢٧.

(٢) الإسلام واليهوديَّة: ص٤٥.

إثبات أنواع الوحي في الدِّيانات الثلاث

النوع الأوّل والثاني (الإشاري والغريزي)

فلعلّ ذكرهما من مختصّات الدِّيانة الإسلاميَّة إذ أنني لم أعثر في كتبهم الّتي اطّلعت عليها والتي تتحدّث عن موضوع الوحي في كلا العهدين القديم والجديد ما يشير إلى ذلك صراحة وإن كان يوجد في الكتاب المقدَّس بعض العبائر الّتي لا يمكن حملها إلاّ على الوحي الإلهيّ الفطري للأرض والسّماوات.

كقوله:

«اسمعي أيّتها السّموات وإصغي أيّتها الأرض لأنّ الرَّب يتكلّم»[١].

وذلك لأنّ السّماوات والأرض لا تسمعان فيتعيّن حمل الأمر المتوجّه إليهما على إلهامهما كما ألهم الله تعالى السّماء الّتي ورد ذكرها في القرآن والله العالم.

النوع الثالث (الوحي الإلهامي)

ذكرنا سابقاً العديد من الآيات القرآنيَّة الّتي استخدمت فيها مادة الإيحاء.

وكان المراد منها الإلهام. كقوله تعالى:

---

(١) سِفر إشعياء: ١: ٢.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾[(١)].

أي ألهمناها وألقينا في روعها، على ما عليه مشهور المفسِّرين.

وكقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء...﴾[(٢)]

فالمستفاد من قوله تعالى: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً﴾ أي إلهاماً وقذفاً في القلب والرّوح يحسّ به فقط خصوص الموحَى إليه فهذه الآية بحسب ما فهم منها الأعلام ترسم الطريقة الّتي يمكن لرّب العزّة والجلال أن يخاطب فيها البشر وهي إمّا الإلهام أو التكليم أو إرسال الملاك وعلى طبق هذه الطُرق الثلاثة نزلت الشّريعة أو القرآن كما يفهم ذلك من الآية التالية حيث قال جل شأنه:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً﴾ وهي الشّريعة أو القرآن.

فالقرآن يتحدّث في العديد من الآيات عن الوحي الإلهامي وأنّه من إحدى الطُرق الّتي يخاطب فيها الله البشر بل إنّه خاطب فيها بعض أنبيائه كما يحدثنا القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام عندما ألقاه إخوته في غيابات الجُبّ حيث قال جلّ شأنه.

---

(١) سورة القصص: ٢٨:٧.

(٢) سورة الشّورى: ٤٢: ٥١ ـ ٥٢

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[١]

أي ألهمناه وألقينا في روعه كما عليه أكثر المفسرين.

وكذا سيِّدنا ونبيُّنا محمّد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فإنّه كان يوحي إليه عن طريق الإلهام كذلك، كما يشير إليه الحديث الشّريف القائل:

«إنّ روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها...»[٢]

ولكن لم يكن شيء من ذلك قرآناً كما يستفاد من الآيات القرآنيَّة الّتي وردت فيها مادّة الإيحاء والأحاديث الشّريفة الّتي تحدّثت عن نزول القرآن وكيفيته ولذا نرى بأن أهل السُّنة يحصرون نزول القرآن فقط عن طريق الملاك جبرائيل مستدلِّين على ذلك ببعض الآيات القرآنيَّة.

كقوله تعالى:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[٣]

وكقوله تعالى:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ الله مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة يوسف: ١٢: ١٥

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ج٤، ص١٢٥.

(٣) سورة الشّعراء :٢٦: ١٩٣-١٩٤.

(٤) سورة البقرة: ٢: ٩٧.

أمَّا نحن الشّيعة فنقول بأنّ القرآن نزل بالمباشرة وعن طريق جبرائيل بل لعلّ أكثريَّة القرآن نزل بالمباشرة لاعن طريق الملاك كما يدعي صاحب التمهيد في علوم القرآن.[١]

ومن هنا يتضح لنا مدى أهميَّة الوحي الإلهامي والمكانة الّتي يشغلها في الفكر الإسلامي حيث إنه يشكل إحدى الطرق الّتي يخاطب الله تعالى بها عبادة وأنبياءه، كما وأنّ بعض الأحاديث الشّريفة الّتي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الشّريعة الإسلاميَّة نزلت على النّبيّ عن طريق الإلهام.

ونفس الكلام نقوله من وجهة نظر يهوديَّة مسيحيَّة.

فإن هناك كثيراً من العبائر الموجودة في الأسفار المقدَّسة والتي يستفاد منها الإيحاء إلى أنبياء بني إسرائيل عن طريق الإلهام وحلول روح القدس فيهم.

منها: ما ورد في سِفر صموئيل الثاني عن نبي الله داود عليه السلام:

«فهذه هي كلمات داود الأخيرة، وحي داود بن يَسَّى ووحي الرّجل القائم في العلا مسيح اله يعقوب ومرنِّم اسرائيل الحلو، روح الرَّب تكلّم بي وكلمته على لساني»[٢].

ومنها: ما ورد في سِفر صموئيل الأوّل.

«فأخذ صموئيل قرن الدّهن ومسحه في وسط إخوته وحلّ روح الرَّب على داود من ذلك اليوم فصاعداً ثم قام

---

(١) التمهيد في علوم القرآن: ج ١، ص ٦٤.

(٢) سِفر صموئيل الثاني: ٢٣: ١-٢.

صموئيل وذهب)[١].

ومنها: ما ورد أيضاً في سِفر صموئيل الأوّل.

«فيحل عليك روح الرَّب فتتنبأ معهم وتتحوّل إلى رجل آخر»[٢].

«ولّما جاءُوا إلى هنا إلى جَبعه إذا بزمرة من الأنبياء لقينه فحلّ عليه روح الله فتنبّأ في وسطهم»[٣].

أي على داود عليه السلام إلى غير ذلك من العبائر بل جميع الأمثلة الّتي سنذكرها في النّوع الخامس من أنواع الوحي عند اليهود بحسب الترتيب السّابق[٤] تندرج تحت هذا النحو من الإيحاء. وكذا عند النًصارى فقد ذكر بعض مؤلفيهم[٥]. بعض العبائر الموجودة في أكثر من موضع في الكتاب المقدَّس والتي تعتبر بحسب إعتقادهم إشارات على الإلهام الإلهي.

منها: ما جاء في سِفر الخروج من أنّ موسى عليه السلام كتب كلام الرَّب بناءاً على أمرٍ من الرَّب نفسه:

«وقال الرَّب لموسى إكتب لنفسك هذه الكلمات لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل»[٦]

---

(١) سِفر صموئيل الأوّل: ١٦: ١٣.

(٢) نفس المصدر: ١٠: ٦.

(٣) نفس المصدر: ١٠: ١٠.

(٤) راجع صفحة: ١٢٩.

(٥) الأب صلاح أبو جودة اليسوعي: في كتاب مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٩٥.

(٦) سفر الخروج:٣٤:٢٧

ومنها: ما ورد أيضاً في سِفر أرميا:

«وهكذا تكلّم الرَّب إله إسرائيل قائلاً أكتب كلّ الكلام الذي تكلمتُ به إليك في سِفر»[١].

«خذ لنفسك دَرْج سِفر وأكتب فيه كلّ الكلام الذي كلمتك به على إسرائيل وعلى يهوذا وعلى كلّ الشُّعوب من اليوم الذي كلّمتك فيه من أيام يوشيا إلى هذا اليوم»[٢].

وغيرها من العبائر الدَّالة على الإلهام الإلهيّ عندهم إذ إنّ الاعتقاد بوجود الوحي الإلهاميّ والتسليم به يشكّل اللّبنة الأساس في الإيمان المسيحي إذ مع إنكاره لا يمكن لهم إثبات أيّ أمرٍ أو نهيٍ أو أيّ كلمةٍ أو حرفٍ موجود في الكتاب المقدَّس بكلا عهديَّة القديم والجديد وذلك لأنّ الكتابَ المقدَّس من وجهة نظرٍ عقديّة مسيحيَّة كلَّه موحى به من قبل الله تعالى.

فقد جاء في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوسُ ما نصُّه:

«كلُّ الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتّعليم والتَّوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البِرِّ»[٣].

وجاء أيضاً في رسالة بطرس الرّسول الثانية ما نصُّه.

---

(١) سفر إرميا: ٣٠:٢

(٢) نفس المصدر: ٣٦:٢.

(٣) الإنجيل المقدَّس: رسالة بُولس الثانية لتيموثاوس: ١٦.

«لأنّه لم تأتِ نبوّة فقط بمشيئة إنسان بل تكلّم أناس الله القديسون مسوقين من الرُّوح القدس»[١].

ومن خلال ما ذكرنا يتلخَّص لنا الفكر المسيحي حول الكتاب المقدّس بأمرين:

١) إنَّ الكتاب المقدَّس كلَّه وحيٌ إلهيٌّ بحسب اعتقادهم.

٢) إنَّهم يعتقدون كما أشرنا سابقاً أنَّ الكتاب المقدَّس كتب عن طرق الإلهام وقد ظهر هذا الاعتقاد أولاً في كتابات آباء[٢] الكنيسة منذ القديم على ما ذكره بعضهم حيث قال:

«ظهر إيمان الكنيسة بالهام الأسفار المقدَّسة في كتابات آباء الكنيسة منذ القدّيم فآباء القرن الثاني على سبيل المثال سمُّوا الأسفار.(أقوال الله) واعتبروا أنّ الرُّوح القدس أملاها على كتّاب إنّ هم إلاّ أداة بيد الله ونجد أنّ آباء القرن الثالث والرابع يتكلمون عن الرُّوح القدس بصفته (مؤلف) الأسفار المقدَّسة جميعاً أي العهد القديم والعهد الجديد على السّواء»[٣].

وقد اتبعت الكنيسة تعاليم الآباء حول الكتاب المقدَّس مشدِّده على أقوالهم كما أنّه إعتمد على شهادة آباء الكنيسة عدّة من مجاميعهم منها

---

(١) نفس المصدر: رسالة بطرس الرسول الثانية: ٢١.

(٢) آباء الكنيسة: هم كُتّاب مسيحيون قدماء امتازوا بجوده تعليمهم وقداسة حياتهم وموافقة الكنيسة، ليسوا جميعاً أساقفة يُعَدُّ ايزيدورس الإشبيلي المتوفي سنة ٦٣٦ آخرهم في الغرب ويوحّنا الدمشقي المتوفي سنة: ٧٤٩ آخرهم في الشّرق على ما ذكره معجم الإيمان المسيحي ص٢.

(٣) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص ٩٦.

مجمع فلورنسا الذي أكدّ بدورة أنّ الله هو مؤلِّف العهدين القديم والجديد لأنّ الكُتّاب تكلموا بإلهام الرُّوح القدس وكذا المجمع التريدنتيني للكنيسة الكاثوليكية الذي عُقد في مدينة تُرانتو في إيطاليا سنة (١٥٤٥) وإستمر حتى عام (١٥٦٣) وبعدَه المجمع الڤاتيكاني الأوّل ثم المجمع الڤاتيكاني الثاني والذي أوضح بدورة العقيدة بالشّكل المطلوب مشدّداً على أنّ الحقائق الإلهيّة الّتي تتضمّنها أسفار الكتاب المقدَّس وتعلنها قد سّطرت بإلهام الرُّوح القدس[١] وأنّ الله هو من ألفّها، وقد سلمت كما هي عليه إلى الكنيسة نفسها ويضيف المجمع على هذه العقيدة.

«غير أنّ الله اختار لصياغة هذه الكتب المقدَّسة أناساً في كمال إمكاناتهم وقواهم واستخدمهم بدفع منه ومنهم وبواسطتهم لكي يدّونوا كمؤلفين حقيقيّين كل ما يريده فقط»[٢].

ومن خلال ضمٍّ كلا هذين الأمرين إلى بعضهما البعض يتضح لنا الوحيُ الإلهاميُّ ودوره الفعّال والأساسي في الدِّيانة المسيحيَّة والفكر المسيحي إذ من دونه تصبح الدِّيانة المسيحيّة بأسفارها وأناجيلها كلّها هباءاً منثوراً لا يمكن الأخذ بها ولا الاعتماد عليها.

---

(١) الرُّوح القدس: هو عبارة عن قدرة الله الخلّاقة وعلاقة المحبّة الّتي عندما تدخل إلى قلوب المؤمنين تجعلهم مرتبطين ببعضهم البعض وبالله سبحانه فالرُّوح القدس هو علاقة الله بالبشر والقدرة الّتي تربط الله بالبشر، بحيث يتّحد الله مع البشر ويصبح الله والإنسان واحداً، على ما ذكرته مؤلّفة موسوعة الأديان السّماويّة والوضعيّة: ج٦، ص١٠٣.

(٢) المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني: الوثائق المجمعيَّة ترجمة عبدو خليفة الطبعة الثانية ـ بيروت ــ الفصل الثالث الرقم الحادي عشر.

وأمّا النّوع الرّابع فسنذكره بشكل منفصل مستقل لأهمّيته البالغة وطول الكلام فيه.

خلاصة البحث

وبهذا يتضح بأنّه يوجد العديد من نقاط الإشتراك والإختلاف بين الدِّيانات الثلاثة حول مسألة الوحي الإلهامي.

١)ـ اتفقت جميع الأديان الثلاثة على التسليم بفكرة الوحي الإلهامي ووجوده.

٢)ـ اتفقت الدِّيانة الإسلاميَّة والمسيحيَّة على أنّ هذا النحو من الإيحاء ليس مختصاً بالأنبياء فحسب.بل هو شامل حتى لغيرهم. وكذا اليهوديَّة كما يستفاد من بعض الأمثلة الّتي ذكرناها.

٣)ـ اتفقت الدِّيانة الإسلاميَّة واليهوديَّة على أنّ الكتاب المقدَّس عند كلا الدِّيانتين (أي القرآن والتَّوراة) النازل على موسى عليه السلام لم يكن شيئاً منها عن هذا النحو من الإيحاء؛ لأنّ التوراة نزلت مكتوبةً على الألواح كما يعتقد اليهود وغيرهم.

٥)ـ اختصت الدِّيانة المسيحيّة بإثبات أنّ الكتاب المقدَّس بكلا عهديه القديم والجديد قد دُوّن عن هذا الطريق (اي الإلهام).

٦)ـ اتفقت الديانة الإسلاميَّة واليهوديَّة على أنّ الوحي الإلهامي ليس هو اللّبنة الأساس الّتي يتمحور حولها كامل الشّريعة بل يشكل جزء منها بخلاف المسيحيّة فإنّ الوحي الإلهامي يشكل النقطة الأساسيّة الّتي لابدّ من الاعتقاد بها مسبقاً، حتى يتمّ الانطلاق في أغوار الكتاب المقدَّس والاعتماد عليه والأخذ بتوجيهاته وأوامره ونواهيه.

الوحي الرساليّ في الدِّيانات الثلاث

قبل الدُّخول في بيان أقسام الوحي الرِّسالي لابّد من الإشارة إلى مسألة مهمّة وهي أنّ النّاظر لهذا النّوع من الإيحاء الرِّسالي يرى بأنّه يوجد تداخل بينه وبين النّوع السّابق المعبّر عنه بالوحي الإلهامي، وذلك لأنّ بعض أفراد الوحي الإلهامي لم تكن رساليّة كالإلهام إلى أمّ موسى عليه السلام كما وأنّ بعض أفراد الوحي الرِّسالي ليس إلهاماً كالوحي عن طريق جبرائيل عندما يتمثَّل على صورة الآدميين وقد يشتركان في بعض الأفراد كالوحي عن طريق جبرائيل أو غيره للأنبياء عن طريق الإلهام والإلقاء في القلب، وعليه فتكون النسبة بينهما، لا أقلّ من وجهة نظر إسلاميَّة هي نسبة العموم والخصوص من وجه، ولأجل أنّ هناك بعض الأقسام والأنحاء مختصة بالوحي الرسالي دون غيره قمنا بفصل كلّ نوع على حدِه والكلام عنه بشكل مستقل عن قسيمه، مع أننا قد نكون بحاجة للقيام بمثل هكذا فصل أيضاً حتّى بناءاً على الدِّيانة اليهوديَّة والنصرانيَّة وذلك لأنّ مفهوم الوحي عندهم أعمّ من مفهوم الإلهام وله (أي للوحي) بُعدٌ تاريخيٌّ لأنّ الله تعالى كان يظهر نفسه للبشريَّة عن طريق أحداث تاريخيَّة معيّنة وإرساله الأنبياء حتى وصل الأمر إلى إبنه الوحيد المسيح بن مريم عليه السلام الذي تجسّد فيه الوحي بينما هذا البُعد التاريخي لا وجود له في الإلهام فمن خلال الفصل بينهما نستطيع الكلام إلى حدّ ما حول هذا البعد التاريخي للوحي عند اليهود والنصارى وهذا ما سنفعله في ختام هذا الفصل إنّ شاء الله تعالى.

بعد أنّ اتضحت لنا هذه المسألة المهمَّة والتي سوف نشير إليها في طيات الكلام أيضاً عند حديثنا عن إلقاء الملاك الوحي في قلب النًبيّ وروعه ندخل في صلب الموضوع فنقول:

بعد أنّ اتضح لنا معنى الوحي الرِّسالي وأنّه ارتباط روحيٌّ خاص بين الله سبحانه وتعالى وبين أنبيائه ورسله أنزل من خلاله ما أراد تبليغه للعباد من كتاب أو شريعة.

أمّا أنّه كيف يحصل هذا الارتباط الرُّوحي وما هي مقوّماته وحقيقته فهذا يبقى خفيّاً علينا نحن الماديون الّذين لا نملك سوى أحاسيس ومعايير مادّية لا تمكّننا من فهم حقائق ما وراء المادّة والطبيعة بشكل مستقل من دون مساعدة الغير.

ولكنّ هذا الارتباط الروحي والغيبي القائم بين الله وأنبيائه لا يخرج عن الأنحاء الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة الّتي مرّت معنا سابقاً.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً...﴾[١]

أقسام الوحي الرِّسالي

وعلى هذا الأساس قام علماء الإسلام شيعة وسنّة بتقسيم الوحي الرِّسالي إلى عدّة أقسام.

---

(١) سورة الشّورى: ٤٢: ٥١.

القسم الأوّل: الرؤيا الصادقة[1].

وهو أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺحيث كان لا يرى رؤيا إلاّ وجاءت مثل فلق الصُبح كما إتفقت عليه كلمات المسلمين مدعومة ببعض الرِّوايات والأحاديث الشّريفة المؤيّدة لذلك فقد جاء في الخبر الشّريف:

«ذكر علي بن إبراهيم وهو من أجَلّ رواة أصحابنا أنّ النّبيّ ﷺ لّما أتى له سبع وثلاثون سنّه كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول يا رسول الله وكان بين الجبال يرعى غنماً فنظر إلى شخص يقول له يا رسول الله، فقال له: مَن أنت؟ قال أنا جبرائيل أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً وكان رسول الله يكتم ذلك فأنزل جبرائيل بماء من السّماء فقال: يا محمّد فتوضّأ...»[2].

وعن علي عليه السلام قال:

«....رؤيا الأنبياء وحي....»[3].

وهذا معناه أنّ الأنبياء كان يوحى إليهم عن طريق الرُّؤيا الصادقة.

وكذا ما ورد عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت:

---

(١) إنّ إمكان هذا النّحو من الإيحاء ممّا لا يشك به مسلم عملاً بالآية الشّريفة:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات: ٣٧: ١٠٢.

(٢) المجلسي: محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٨، ص١٨٤ ح١٤ راجع السِّيرة النبويّة لابن هشام: ج١، ص٢٧٨.

(٣) صحيح البخاري: باب التخفيف في الوضوء ج ١، ص ٧٨ ح٤ / بحار الأنوار: ج١١، ص٦٤.

«كان أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصُبح»[١].

ومّما اتفقت عليه كلماتهم أيضاً أنّه لم يكن شيئ من ذلك قرآناً إلاّ ما شذّ حول بعض الآيات والسّور كسورة الكوثر فقد ذكر صاحب الاتقان في النّوع الخامس المعبّر عنه بالنّوع النّومي والفراشي ما نصّه.

«وأمّا النومي فمن أمثلته سورة الكوثر لما روى مسلم عن أنس قال: بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال أنزل عليّ آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾»[٢].

ولكنّ علماء كلا الفرقين قد ذكروا بعض التوجيهات لذلك منها ما ذكره الرَّافعي في أماليه حيث قال:

«فَهِمَ فاهمون من الحديث أنّ السُّورة نزلت في تلك الإغفاءة وقالوا من الوحي ما كان يأتيه في النّوم لأنّ رؤيا الأنبياء وحي قال: هذا صحيح.

ولكنّ الأشبه أن يقال إنّ القرآن كلُّه نزل في اليقظة وكأنّه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة أو عرض عليه الكوثر الذي وردت في السّورة فقرأها عليهم وفسَّرها لهم».

---

(١) صحيح مسلم: ج١، ص ١٨٨ ح١٦٠.

(٢) السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن: ج ١، ص:٧٣.

ثم قال:

«وورد في بعض الرِّوايات أنّه أغمي عليه وقد يُحمل ذلك على الحالة الّتي كانت تعترية عند نزول الوحي فيقال لها بُرَحاء الوحي انتهى»[(١)].

وقد استنسب ذلك صاحب الاتقان معقّباً على ذلك بقوله.

«الذي قاله الرّافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه والتأويل الأخير أصّحُ من الأول لأنّ قوله نزل عليّ آنفاً يدفع كونها نزلت قبل ذلك بل نقول نزلت في تلك الحالة وليس الاغفاء نوماً بل الحالة الّتي كانت تعتريه عند الوحي فقد ذكر العلماء أنّه كان يؤخذ من الدُّنيا»[(٢)].

فيكون الّذين شاهدوا رسول الله في تلك الحالة قد توّهموا أنّه نام ولكنّ الحقيقة أنّ تلك الحالة الّتي شاهدوها هي الحالة الّتي كانت تعتريه عند نزول الوحي وهي المسمّاة ببُرحاء الوحي.

ومنها ما ذكره صاحب التمّهيد.

وخلاصته: إنّ هذه الرِّواية الّتي ذكرها أنس لا تنسجم مع بعض المعطيات التاريخيَّة الّتي حدّدت مكان نزول هذه السّورة وذلك لأنّه من المسلّم به أنّ سورة الكوثر نزلت في مكّة المكّرمة وهذا هو المشهور بين المفسرين شهرة تكاد تصل إلى حدّ التواتر حيث قالوا إنها نزلت بمكّة

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

عندما عابه مشركوا قريش بأنّه أبتر لا عقب له وأنّه سوف يكون مبتوراً لا نسل له في قومه حيث وافى الأجل إبنه عبد الله كما يرى صاحب التمهيد أو ابنه القاسم كما ذكر تفسير الجلالين[١] في ذيل هذه السُّورة معتمدين في ذلك على رواية ابن عباس الّتي أخرجها الطستي عنه.

قال:

«عن ابن عباس أنّ نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ قال نهر في بطنان الجنّة حافتاه كباب الدُّر والياقوت فيه أزواجه وخدمه قال وبأيٍّ شيء ذكر ذلك قال إنّ رسول الله ﷺ دخل من باب الصّفا وخرج من باب المروة فاستقبله العاص بن وائل السّهمي فرجع العاص إلى قريش فقالت له قريش من استقبلك يا أبا عمرو آنفاً؟ قال ذلك الأبتر أراد به النبيّ ﷺ حتى أنزل الله هذه السّورة:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني عدّوك العاص بن وائل هو الأبتر من الخير لا أُذْكَر في مكانٍ إلاّ ذُكِرَت معي يا محمّد فمن ذكرني ولم يذكرك ليس له في الجنّة نصيب قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

وحبــاه الإلــه بالكـوثـر   الأكبر فيه النعيم والخيراتِ»[٢]

---

(١) جلالي الدِّين: محمّد بن أحمد المحلّى وعبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، تفسير الجلالين: ص٥٤٢.

(٢) الدّر المنثور: ج٢، ص ٦٨٦.

ومن ثمّ عقّب صاحب التّمهيد على هذا الحديث بما نصُّه:

«هذا وأنس بن مالك عند وفاة النّبيّ ﷺ لم يبلغ العشرين إذ كان عند مقدمه ﷺ المدينة طفلاً لم يتجاوز التسع وقيل: ثماني سنوات فكيف نثق بحديث منه يخالف إطباق الأمّة على خلافه وأنها نزلت بمكّة في قصّة جازت حدّ التواتر»(١).

وعلى هذا الأساس فإمّا أن نأخذ بما وجّهه الرّافعي وإمّا أن نعرض عنها لمخالفتها إطباق الأمّة هذا مضافاً إلى مخالفتها لبعض الرِّوايات الصريحة الدّالة على عدم نزول شيء من القرآن عن هذا الطريق فقد ورد في الخبر عن:

«محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسن بن محبوب عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرّسول والنَّبيِّ والمحدَّث قال: الرَّسول الذي يأتيه جبرئيل عليه السلام قبلاً فيراه ويكلّمه فهذا الرسول وأمّا النبيّ فهو الذي يرى في نومه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبّوة قبل الوحي حتّى أتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرِّسالة....»(٢).

---

(١) معرفة: محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن: ج ١، ص ٥٩.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، أصول الكافي: كتاب الحُجّة: باب الفرق بين الرّسول والنّبيّ والمحدّث ج ١، ص٢٣٠.

والذي يفهم من هذه الرواية أنّه بعد مجيء جبرائيل للنّبي ﷺ لم يأته وحي منامٍ أصلاً ومن المعلوم أنّ القرآن الكريم نزل بعد مجيء جبرئيل وظهوره للنّبي ﷺ.

وخلاصة القول: إنّ ثبوت هذا النحو من الإيحاء الرِّسالي من مسلّمات الدّيانة الإسلاميَّة ولكن لم ينزل شيء من القرآن عن هذا الطريق أصلاً.

وكذا نفس الكلام نقوله بالنّسبة للدِّيانة اليهوديَّة والمسيحيَّة فإن ثبوت هذا القسم من الإيحاء ممّا لا يمكن إنكاره وإليك الشّواهد على ذلك.

١)- «فقال له الله في الحلم أنا أيضاً علمت أنّك بسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضاً امسكتك عن أن تخطئ إليّ لذلك لم أُدَعْك تمسُّها»[١].

٢)- «وأتى الله إلى لأبان الأراميّ في حلم اللَّيل وقال له إحترز من أن تكلّم يعقوب بخير أو شرٍّ»[٢].

٣)- «في جبعون تراءى الرَّب لسليمان في حلمٍ ليلاً وقال الله: اسأل ماذا أعطيك»[٣].

٤)- «فجاء الله إلى ابيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميّت من أجل المرأة الّتي أخذتها فإنها متزوّجة ببعلٍ»[٤].

---

(١) سِفر التكوين: ٢٠: ٦.

(٢) نفس المصدر: ٣١: ٢٤.

(٣) سِفر الملوك الأول: ٣: ٥.

(٤) سِفر التكوين: ٢٠: ٣.

إلى غير ذلك من الشّواهد والعبائر الدّالة على الإيحاء عن طريق الحلم والرُّؤيا في المنام، في الإسفار المقدَّسة عند اليهود.

ومن الشّواهد الدّالة على هذا القسم من الإيحاء في الإنجيل المقدَّس ما يلي:

١)- «ولكن فيما هو متفكّر في هذه الأمور إذا ملاك الرَّب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك لأنّ الذي حُبِلَ به فيها هو من الرُّوح القدس»[1].

٢)- «ثم إذ أوحي إليهم في حلمٍ أن لا يرجعوا إلى هيرودُس انصرفوا في طريقٍ أخرى إلى كورَتِهِمْ»[2].

٣)- «فلمَّا مات هيرودُسُ إذا ملاكُ الرَّبِّ قد ظهر في حلمٍ ليوسُف في مصر قائلاً قمْ وخذ الصَّبيَّ وأمَّه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنّه قد مات الّذين كانوا يطلبون نفس الصَّبيّ»[3].

٤)- «ولكن لمّا سمع أنَّ أرخيلاوُسَ يملك على اليهوديّة عوَضاً عن هيرودُسَ أبيه خاف أن يذهب إلى هناك. وإذ أُوحِيَ في حلمٍ إنصرف إلى نواحي الجليل»[4].

---

(١) إنجيل متى:١: ٢٠: ميلاد يسوع المسيح.

(٢) نفس المصدر: ٢: ١٢: زيادة المجوس.

(٣) نفس المصدر: العودة إلى الناصرة: ١٩.

(٤) المصدر السابق: ٢٢.

إلى غير ذلك من العبائر الكثيرة الموجودة في أناجيلهم والدَّالة على ثبوت هذا القسم من الإيحاء عندهم.

وبهذا يتضح لنا ثبوت هذا القسم من الإيحاء الرِّسالي عند الأديان الثلاثة المبحوث عنها.

القسم الثاني: الوحي عن طريق الملك

وهذا أيضاً من الطُرق الّتي يوحي بها الله تعالى لعبادة ولا يمكن لأحد أن ينكرها وهو الإيحاء إلى الأنبياء والمُرسلين ومنهم سيدّنا محمّدﷺ عن طريق الملك الذي تارة كان يراه النبيّ ﷺ إمّا بنفسه وعلى الصُّورة الحقيقيَّة الّتي خلقه الله عليها وهي صورة جبرائيل الحقيقيَّة لأن الملك الذي كان ينزل عليه ﷺهو جبرائيل وإمّا متجسِّداً في صورة غيره من بني البشر، وأخرى لايراه أصلاً بل يلقي على مسامعه أو في روعه وقلبه الشّريف وعليه فيكون عندنا نحوان والصور المبحوث عنها أربعة وهي:

النحو الأوّل: الإيحاء مع رؤية الملَك.

١- رؤية الملَك على صورته الحقيقية

وهذا حصل للنّبيّ ﷺ مرّتين:

أ)ـ الأوّلى: كانت في بدء الوحي بحراء حيث ظهر له جبرائيل على صورته الحقيقيَّة الّتي خلقه الله عليها فسدّ الأفاق.

ب)ـ والثانية: كانت في السّماء ليلة عروجه ﷺ ولعلّه إلى كلتا هاتين المرّتين أشار ربّ العزة والجلال في سورة النّجم بقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[١]

أي جبرائيل عليه السلام وهذه هي المرّة الأولى، وبعضهم ذهب إلى القول بأنّ المراد هو إستواء جبرائيل ومحمّد صلى الله عليه وآله بالأفق الأعلى يعني بالسّماء الدُّنيا ليلة المعراج لكنّه ضعيف[٢].

ثمّ عقّب ذلك جلّ شأنه بعد عدّة آيات بقوله:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[٣].

أي رأى النّبيّ جبرائيل نازلاً من السّماء على صورته الّتي خلقه الله عليها وتلك كانت المرّة الثانية، هذا ما عليه أكثر المفسرين شيعة وسُنّة وذلك لأنّهم يتفقون على أن المرّتين إحداهما حصلت في الأرض والثانية في السّماء.

فعن الطبرسي أعلى الله مقامه.

«قالوا: إن جبرائيل كان يأتي النّبيّ صلى الله عليه وآله في صورة الآدميين فسأله النّبيُّ أن يُرِيَهُ نفسه مرّتين : مرّة في الأرض ومرّة في السّماء أمّا في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك أنّ محمّداً كان بحراء فطلع له جبرائيل عليه السلام من المشرق فسّد الأفق إلى المغرب فخرَّ النّبيُّ صلى الله عليه وآله مغشياً عليه فنزل جبرائيل في صورة الآدميين»[٤].

---

(١) سورة النجّم: ٥٣: ٣-٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٩، ص٢٨٩.

(٣) سورة النجّم: ٥٣: ١٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٩، ص٢٨٩.

وعن الميرزا محمد المشهدي في تفسيره للآية أنه قال:

«فاستوى: قيل: فاستقام على صورته الحقيقيّة الّتي خلقه الله عليها وماراَه أحدٌ من الأنبياء في صورته غير محمّد ﷺ مرتين مرّة في السّماء ومرّة في الأرض»[١].

وعن السّيد العلامة في الميزان أنّه قال من غير تحديدٍ لمكان المرتين:

«قوله (فاستوى) بمعنى استقام أو استولى وضمير الفاعل راجع إلى جبرائيل والمعنى: فاستقام جبريل على صورته الأصليَّة الّتي خُلقَ عليها على ما روي أنّ جبريل كان ينزل على النّبيّ ﷺ في صور مختلفة وإنَّما ظهر له في صورته الأصليَّة مرَّتين...»[٢].

وعن المراغي في تفسيره أنّه قال حول الآيات السّابقة:

«وقصارى ما سلف ـ أنَّ النّبيّ ﷺرأى جبريل في صورته الحقيقيَّة مرَّتين: مرّة وهو في غار حراء في بدء النبوّة والثانية في ليلة المعراج ولم يكن ذلك في الأرض بل كان عند شجرة نَبق عن يمين العرش وهي في منتهى الجّنة أي آخرها وعلم الملائكة ينتهي إليها»[٣].

وعن السّيوطي في الدّر المنثور أنّه قال:

«وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشّيخ

---

(١) المشهدي: الميرزا محمّد، كنز الدقائق: ج١٠، ص٧٠.

(٢) الطباطبائي: محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص٢٨.

(٣) المراغي: أحمد مصطفى،تفسير المراغي:ج٢٧،ص٤٩.

في العظمة عن ابن مسعود: أنّ رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلاّ مرّتين أمّا واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسدّ الأُفق وأمّا الثانية فإنّه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الْكُبْرَى﴾ قال خلق جبريل»[١].

ونفس هذا الحديث أخرجه أيضاً ابن كثير في تفسيره ولكن من طريق آخر لإبن مسعود.

ولكنّ الذي يظهر من صاحب التمّهيد أنّ كلتا المرّتين كانتا في الأرض حيث قال بعد ذكره لهذا الحديث عن عبد الله بن مسعود.

«والصَّحيح أنّ المرّتين كانت أحداهما في بدء الوحي بحراء ظهر له جبرائيل في صورته الّتي خلقه عليها مالئاً أفق السّماء من المشّرق والمغرب فتهيَّبه النّبيّ ﷺ تهيُّباً بالغاً...

والثانية كانت باستدعائه ﷺ الذي جاءت به الرِّوايات كان لا يزال يأتيه جبرائيل في صورة الآدميين فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه مرّة أخرى على صورته الّتي خلقه الله فأراه فسدّ الأفق فقوله تعالى «وَهُوَ (بالأُفُق الأَعْلَى) كانت المرّة الأولى وقوله (نَزْلَةً أُخْرَى) كانت المرّة الثانية»[٢].

وقد فهمت هذا الاستظهار من قوله في كلا المرّتين فسدّ الأفق ولعلّه أشار العلاّمة الطبرسي إلى هذا المعنى أيضاً بقوله في شرح الآية:

---

(١) الدُّر المنثور: ٦، ص١٥٦.

(٢) معرفه: محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن:ج١،ص٦١.

«﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي رأى جبرائيل في صورته الّتي خُلقَ عليها نازلاً من السّماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه مرَّتين في صورته على ما مَّر ذكره»[١]

فاستخدم الطبرسي في شرحه عبارة (نازلاً من السَّماء) والنزول لا يكون إلاّ للأرض هنا.[٢]

وممّا يؤيِّد هذا المعنى والفهم المستظهر من كلامه، أنّ المفسِّرين السّابقين وكذلك الرِّوايات عندما عبّرت عن المرّة الثانية استخدمت تعبير (فإنّه كان معه حيث صعد) أو عبارة عند عروجه إلى السَّماء بينما صاحب التمهيد لم يعبِّر مثلهم كما مرَّ. والله أعلم.

والظاهر أنّ هذه الصورة من الإيحاء عن طريق الملك ليست موجودة عند اليهود والنَّصارى حيث إنّني لم أجد في كتبهم الّتي تحدّثت عن الوحي مثل هكذا تفصيل وإنّ كانوا يسلِّمون بأصل الإيحاء عن طريق الملك كما مرَّ ويتضح لنا فيما بعد هذا مضافاً إلى ما يّفهم من العبارة الّتي نقلناها سابقاً عن كنز الدَّقائق حيث قال:

«وما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وآله»[٣].

---

(١) مجمع البيان: ج٩، ص٢٩٢.

(٢) ولكن هذا الاحتمال الذي ذكرناه عن الطبرسي مدفوع بقوله هنا (على ما مَّر ذكره) لأن الذي مرَّ ذكره عند الطبرسي في تفسيره هو ما نقلناه في صفحه ١٣٧ فراجع وهناك ذكر الطبرسي انّ النّبي صلى الله عليه وآله رأى جبرائيل على صورته الحقيقة مرتين مرة في الارض وكانت الاولى فسد الافق والثانيه كانت في السماء وهذا ينفي ان تكون كلتا المرتين قد حصلتا في الارض.

(٣) كنز الدقائق: ج١٠، ص٧٠.

٢)ـ رؤية جبرائيل[١] والملائكة على صورة الآدميين

إنّ رؤية جبرائيل على صورة الآدميين من الأمور المسلّم بها عند المسلمين حيث إنّ جبرائيل كان يتمثل له على صورة دحية بن خليفة الكلبي الذي كان أجمل أهل المدينة آنذاك وكان الصحابة يزعمونه دحية الكلبي ومن ثَمّة نهاهم رسول الله ﷺ أن يدخلوا عليه إذا شاهدوا دحية عنده وفي هذه الحالة كان جبرائيل لا يدخل على النّبيّ ﷺ حتى يستأذنه وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد على ما هو ثابت في رواياتنا كما سيتضح لنا فيما بعد ولكنّ أهل السُّنّة بعد ذكرهم لهذه الصورة قالوا بأنّه لم ينزل شيء من القرآن عن هذا الطريق بل كان جبرائيل يعلّمه ﷺ بعض أمور دينه ويبلّغه بعض أوامر ربّه الّتي ليست قرآناً معلّلين ذلك حتى لا يلتبس على النّاس أنّ الذي يعلمه بشر فقد ذكر صاحب كتاب آراء المتشرقين حول القرآن وتفسيره ما نصّه.

«قال العلماء لم يثبت تلقي رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن من جبريل وهو على هذه الصورة [أي صورة دحية] وإنّما كان يعلّمه بعض أمور دينه ويبلّغه بعض أوامر ربّه كلّ ذلك حتّى لا يلتبس على النّاس أنّ الذي يعلّمه بشر»[٢].

وإن كانوا يؤكّدون بأنّ القرآن كلّه نزل عن طريق جبرائيل عليه السلام

---

(١) هنا ذكرنا جبرائيل والملائكة لأنّ جبرائيل هو الملك الذي ينزل على سيّدنا محمّد بالوحي الرّسالي وأمّا الأنبياء السّابقين. فكان النازل عليهم جبرائيل وغيره. فلأجل الإشارة إلى هذا المعنى قلنا جبرائيل والملائكة.

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره :ج١:ص٣٧٨.

ولكنَّ هذا النزول كان عند مخاطبة جبرائيل له ﷺ مثل صَلْصَة الجرس الّتي كانت أشدُّها وطئاً على رسول الله مستدلِّين على ذلك بحديث عائشة أمِّ المؤمنين وببعض الآيات القرآنيَّة كما سيتضح لنا ذلك عند تعرُّضنا للقسم الثالث من أقسام الوحي الرِّسالي.

وممّا لا شكَّ فيه أنّ هذه الصورة من الإيحاء عن طريق الملاك بعد تجسّده في صورة الآدميين موجودة حتّى عند اليهود والنّصارى وإليك الشّواهد على ذلك.

١)ـ ظهور جبرائيل عليه السلام على صورة إنسان ليعلِّم نبيَّ الله دانيال تفسير رؤياه فقد جاء في سفر دانيال.

«١٥ وكان لمّا رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذا بشبه إنسان واقف قبالتي * ١٦ وسمعتُ صوت إنسان بين أُولاي فنادى وقال: يا جبرائيل فهّم هذا الرَّجل الرؤيا * ١٧ فجاء إلى حيث وقفت ولمّا جاء خفتُ وخررتُ على وجهي فقال لي إفهم يا ابن آدم أنَّ الرؤيا لوقت المنتهى»[١].

وقال في موضع آخر أيضاً:

«٢٠ وبينما أنا أتكلّم وأصلي وأعترف بخطيتي وخطيّة شعبي إسرائيل وأطرح تضُّرعي أمام الرَّب إلهيٍّ عند جبل قدس إلهي٢١، وأنا متكلّم بعدُ بالصلوة إذا بالرَّجل جبرائيل الذي رأيته في الرُّؤيا في الابتداء مطاراً واغفاً

---

(١) سِفر دانيال: ٨:١٥-١٧.

لمسني عند وقتِ تقدمة المساءِ»[(١)].

٢)ـ ظهور الملكين لنبي الله لوط على صورة رجلين فقد جاء في سِفر التّكوين.

«١ فجاء الملاكان إلى سَدُوم مساءً وكان لوط جالساً في باب سَدُوم فلمّا رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض ٢ وقال يا سيِّديَّ ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما ثم تُبكِّران وتذهبان في طريقكما. فقالا لا بل في السّاحة ٣ نبيت فألحَّ عليهما جداً ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخَبَزَ فطيراً فأكلا ٤ وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سَدُوم من الحَدَث إلى الشّيخ كل الشّعب من أقصاها ٥ فنادوا لوطاً وقالوا له أين الرَّجلان اللّذان دخلا إليك اللَّيلة أخرجهما إلينا لنعرفهما»[(٢)].

فهذا النّصُ يدل بشكل واضح على أنّ الملائكة كانت تظهر للأنبياء على صورة الآدميين وأنّ رؤيتها لم تكن مختصّةً بهم بل كان يراها النَّاس أيضاً ولكنّهم لا يعرفون أنّهم ملائكة، بينما النّصان السّابقان يصرّحان باسم الملاك وأنّه جبرائيل عليه السلام إلى غير ذلك من النُّصوص الكثيرة الموجودة في أسفار اليهود الدّالة على ذلك.

---

(١) نفس المصدر: ٩:٢٠-٢١.

(٢) سِفر التكوين: ١٩:١-٥.

وكذا نفس الكلام نقوله بالنسبة للنَّصارى فإنَّ هناك العديد من النُّصوص الدّاله على ظهور جبرائيل والملائكة على صورة الآدميين للأنبياء وغيرهم.

١)ـ منها ظهور الملاك جبرائيل عليه السلام على نبي الله زكريا كي يبشِّره بولادة يوحّنا بعد أن كان شيخاً كبيراً وامرأته متقدِّمة في السّن:

«١١ فظهر ملاك الرَّب واقفاً عن يمين مذبح البَخُور ١٢ فلمَّا رآه زكريا اضطرب وَوَقَعَ عليه خوفٌ ١٣ فقال له الملاكُ «لا تخفْ يا زكرياً لانّ طِلْبَتَك قد سُمعَت وامرأتُك اليصاباتُ سَتَلدُ لك ابناً وتُسمِّية يوحّنا...١٨ فقال زكريا للملاك (كَيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي مُتَقَدِّمَةٌ في أيّامها)١٩ فأجابَ الملاكُ وقال له أنا جبرائيل الواقف قدّامَ الله وأرسِلتُ لأُكلِّمَك وأبشِّرَك بهذا»[1].

٢)ـ ومنها أيضاً ظهور الملاك جبرائيل للسَّيدة مريم عليها السلام على صورة البشر في مدينة الناصرة، ولكن مريم لم تكن نبّية ولا مرسلة بالمعنى المبحوث عنه وبالتالي يكون هذا المورد خارجاً عن محلّ البحث، ولكنّنا أتينا به من باب إثبات أنّ جبرائيل كان يأتي على صورة الآدميين حتّى لغير الأنبياء.

(٢٦ وفي الشّهر السّادس أُرسِل جبرائيلُ الملاكُ من الله

---

(١) أنجيل لوقا:١ : البشارة بميلاد يوحنّا المعمدان:١١ -١٩.

إلى مدينةٍ من الجليل اسمها ناصرةُ ٢٧ إلى عذراء مخطوبةٍ لرجل من بيت داودَ اسمه يُوسُفُ واسم العذراء مريم ٢٨ فدخل إليها الملاكُ وقال «سلام لك أيّتها المُنْعَمُ عليها الرَّبُّ معك مباركةٌ أنت في النساء» فلمّا رأته اضطربت من كلامه وفكرّت «ما عسى أنّ تكون هذه التّحيَّة...»)[1].

النحو الثاني: الإيحاء من دون رؤية الملَك.

١ - إلقاء الملَك في سمع النبي من غير أن يراه

مّما لاشكَّ فيه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عند وصول البشائر الأولى بنبوّته كان يسمع النداء والصًوت ولا يرى شخص جبرائيل عليه السلام كما يستفاد من عبائر بعض المحقّقين وبعض الأحاديث الدّالة على ذلك.

فقد ذهب السّيد جعفر مرتضى العاملي في بحثه حول تحديد عمر النّبيّ صلى الله عليه وآله حين البعثة إلى القول:

«لقد بعث الله تعالى محمّداً صلى الله عليه وآله. رسولاً للنّاس أجمعين بعد عام الفيل بأربعين عاماً...... وكان قبل ذلك يسمع الصوت ولا يرى الشّخص حتى تراءى له جبرائيل وهو في سنّ الأربعين»[2].

وهذا هو المستفاد من بعض الأحاديث والرّوايات المؤيدة لذلك.

١)ـ منها ما رواه الواحدي عن طريق أبي ميسرة بن شرحبيل قال:

---

(١) نفس المصدر:١ : البشارة بميلاد يوحنّا المعمدان: ٢٦ -٢٩.

(٢) مرتضى: جعفر، الصّحيح من سيرة النّبيّ الأعظم: ج٢، ص٢٨٩.

«أنّ رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع منادياً يناديه: يا محمّد فإذا سمع الصوت انطلق هارباً فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعتَ النّداء فإثبت حتى تسمع ما يقول لك. قال فلمّا برز سمع النّداء يا محمَّد فقال لبّيك قال: قل:أشهد أن لا إله إلاّ الله أشهد وأنّ محمداً رسول الله، ثم قال: قل الحمد لله ربِّ العالمين الرَّحمان الرَّحيم مالك يوم الدِّين حتى فرغ من فاتحة الكتاب»[١].

٢)ـ ومنها ما رواه صاحب مجمع البيان عن الحاكم حيث قال:

«رواه الحاكم أبو عبد لله الحافظ بإسناده عن أبي ميسرة بن شرحبيل أنّ رسول الله قال لخديجة إنّي إذا خلوتُ وحدي سمعت نداء فقالت: ما يفعل الله بك إلا خيراً...الحديث»[٢].

وكما هو واضح فإنّ هذين الحديثين اللّذين نقلناهما هنا لم يصرّحا بأنّ صاحب النِّداء كان هو جبرائيل ولكن من خلال ضمٍّ هذه الرِّوايات وأمثالها إلى الرِّوايات الدّالة على أنّ الذي بشّر النّبيّ ﷺ بالنبوّة هو جبرائيل والّتي كان مضمونها أنّ النّبيّ كان يرى في نومه، حتّى أتاه جبرائيل بالرِّسالة[٣] نستفيد بأنّ صاحب النّداء كان هو جبرائيل عليه السلام. بالتّالي يثبت المطلوب وهو الإلقاء على سمع النّبيّ ﷺ من غير أن يراه.

وهذا الّذي ذكرناه لاينافي ما ورد في بعض الأحاديث الدّالة على مشاهدة النّبيّ ﷺ لجبرائيل عليه السلام في غار حراء عند بدء الوحي حاملاً له

---

(١) الو احدي: علي بن أحمد،أسباب نزول القرآن: ص٢٢.

(٢) مجمع البيان: ج١٠، ص٣٩٨.

(٣) راجع، ص : ١٣٤.

أولى آيات القرآن الكريم وذلك لأنّ هذه الرِّوايات محمولة على البشائر الأولى للنبوّة ولا مانع من أنّ يكون جبرائيل قد نزل بعد تلك البشائر بالقرآن الكريم وخير شاهد على هذا الجمع الحديث الذي ذكره الطبري في تاريخه قال(١):

«قال أبو جعفر...فحدَّثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء قال: حدَّثنا وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي: قال سمعت النُّعمان بن راشد يحدِّث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان أوَّل ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجئ مثل فلق الصبح ثم حبِّب إليه الخلاء فكان بغار بحراء يتحنّث فيه اللَّيالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ثم يرجع إلى أهله فيتزوَّد لمثلها حتّى فجأه الحقّ فأتاه فقال يا محمّد أنت رسول الله! قال رسول الله فجَثوت لركبتي وأنا قائم ثمّ زحفتُ ترتجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زمِّلوني زمِّلوني حتّى ذهب عني الرَّوع ثم أتاني فقال يا محمّد أنت رسول الله. قال فلقد همَمتُ أن أطرح نفسي من خالق فتبدَّي لي حين هممتُ بذلك فقال يا محمّد أنا جبرئيل وأنت رسول الله ثم قال: قلتُ ما أقرأ... فأتيت خديجة فأخبرتها... فانطلقت بي إلى ورقة بن نوفل... الحديث».

فإنّ هذا الحديث يدلُّ بشكل صريح لا يقبل الشّكّ أنّ جبرائيل كان يخاطب النَّبيّ من دون أن يراه ثم ظهر له، وهذا هو المفهوم في عبارة

---

(١) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري :ج٢،ص٢١٨.

فتبدّي لي ولا يخفى عليك ما في هذا الحديث من العبائر الّتي لا تناسب مقام النبوّة كقوله:

«**فلقد هَممتُ أن أطرح نفسي من خالقٍ من جبلٍ فتبدَّي لي حين هممت ذلك**» ولكن يمكن لنا توجيه هذه العبارة بأنّ النبيّ ﷺ كان يريد أن يّوصف لهم الحالة الصعبة الّتي اعترته عند نزول الوحي عليه وسُماعه بطريقة سهلة تستوعبها عقولهم وأفهامهم لأنّ هذا الأمر كان جديداً عليهم يصعب فهمه من قبلهم.

وأمّا عبارة ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: (أي خديجة) اسمع من ابن أخيك فسألني فأخبرته خبري فقال هذا النَّاموس الذي نزل على موسى بن عمران.... فهذا يمكن توجيهه أيضاً بأنّ الذي يفهم من الحديث أنّ خديجة عليها السلام قد انطلقت به إلى ورقة بن نوفل بعد ظهور جبرائيل له ﷺ وإخباره بأنّه رسول الله وهذا معناه أنّ أمر الرِّسالة كان في منتهى الوضوح بالنِّسبة للنّبيّ ﷺ وما ذكره ورقة من توضيح بعد أن أخبره النّبيّ بخبره بقوله أي قول ورقة: (هذا الناموس الذي نزل على موسى بن عمران...) قد يكون في حقّ خديجة حتّى تتثبَّت أكثر لا في حق النّبيّ ﷺ حتى يأتي إشكال عدم معقوليَّة أنّ يكون ورقة هو من أعلم النّبيَّ بأنّه مرسل.

ولكنّ علمائنا الأبرار قد ردّوا هذا الحديث وذكروا أنّ ورقة مات على كفره ولم يؤمن بالنّبيّ ﷺ وعليه فنحن نلتزم بما التزم به علماؤنا هذا كلّه من وجهة نظر إسلاميّة.

وأمّا من وجهة نظر يهوديّة مسيحيّة فإنّ وجود هذه الصورة من الإيحاء عن طريق الملاك والإلقاء في السَّمع من دون أن يراه النَّبيّ ثابت

عندهم أيضاً بل إنّه ليس منحصراً عندهم بالأنبياء بل هو شامل حتّى لغيرهم وإليك الشّواهد على ذلك.

١)ـ ما أورده الكتاب المقدّس عند حديثه عن قصّة ذبح إبراهيم عليه السلام لإبنه الوحيد اسحق كما يعتقدون حيث جاء ما نصّه:

«٩ فلّما اتيا إلى الموضع الذي قال له الله. بنى هناك إبراهيم المذبح ورتّب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ١٠. ثم مدَّ إبراهيم يده وأخذ السِّكين ليذبح ابنه ١١ فناداه[١] ملاك الرَّب من السّماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال: هانذا ١٢ فقال لا تمدَّ يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً...»[٢].

وقد ذكر في موضع آخر من القصّة

«١٥ ونادى ملاك الرَّب إبراهيم ثانية من السَّماء ١٦ وقال بذاتي أقسمت يقول الرَّب. إني من أجل أنّك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك»[٣]

٢)ـ ما أورده الكتاب المقدّس أيضاً عند حديثه عن هاجر وسماع الله لصوت الغلام. عندما وضعت هاجر الولد تحت احدى الشّجرات في بريّة بئر سبع.

---

(١) والنداء ظاهر في الصوت دون الصورة كما لايخفي.

(٢) سِفر التكوين: ٢٢: ٩-١٢.

(٣) نفس المصدر: ٢٢: ١٥-١٦.

«١٧ فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السَّماء وقال لها مَالكِ يا هاجر لا تخافي لأنّ الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو»[1].

٣)ـ ومن الشّواهد على ذلك أيضاً ما ورد في انجيل برنابا الذي لم تعترف به الكنيسة مع أنّه كان من أحد تلامذة السَّيد المسيح عليه السلام.

«إنّ إبراهيم سمع صوتاً يناديه.. تلَّفت حوله فلم يجد أحداً فسأل من يناديني؟ حينئذٍ سمع قائلاً يقول: إنّه أنا ملاك الله جبرئيل...»[2].

وبهذا يظهر لنا أنّ هذه الصورة من الإيحاء عن طريق الملاك موجودة في الأديان الثلاثة.

٢)ـ إلقاء الملاك في روع النَّبيّ وقلبه صلى الله عليه وآله من غير أن يراه.

إنّ مسألة الإلقاء في الرّوع والقلب بالإلهام لعلّها من المسائل الّتي تسالمت عليها جميع الأديان المبحوث عنها ولذا عندما تعرّضنا لبيان الوحي الإلهامي أشرنا وقلنا بأنّ هذه الصورة تدخل بالوحي الإلهامي أيضاً وإن كانت عن طريق الملاك، لأنّها في حقيقتها هي الهام، والإلهام هو النُّقطة الأساس الّتي يبتني عليها الإيمان المسيحي وعقيدته كما مرّ معنا.

ومن هنا أيضاً أدرجنا جميع الأمثلة الّتي أدخلها شراح العهد القديم تحت النّوع الخامس بحسب تقسيمهم الذي أشرت إليه بشكل مختصر

---

(١) نفس المصدر: ٢١: ١٧.

(٢) انجيل بر نابا: ٢٩: ١٢-١٣

تحت الوحي الإلهامي لأنّه من جهة كونه إلهاماً وإلقاءاً في الرَّوع والقلب يدخل تحت الوحي الإلهامي ومن جهة كونه عن طريق الملك يدخل في الرّسالي أيضاً فتكون النسبة بينهما العموم والخصوص من وجه لأنّهما إلتقيا في هذا الفرد.

ولكنّ النَّقطة الجوهريَّة والأساسيَّة الّتي وقعت مورد اختلاف هذه الأديان هي في تحديد المراد من المُلهمة هنا وإن إتفق الجميع على أنّ الرّوح القدس جهة ملهمة.

ومن هنا ذكر كلّ واحد من هذه الأديان تفسيراً للروح القدس يُغاير تفسيرَ الآخر إمّا في شكله وجوهره أو في شكله فقط وعلى هذا الأساس فلا بّد من عقد البحث حول هذه النُّقطة بالخصوص وتحديد المراد منها.

الرُّوح القدس في الإسلام

إنّ أكثر علماء المسلمين شيعة وسنّة ذهبوا إلى القول بأنّ المراد من الرُّوح القدس هو جبرائيل عليه السلام فقد ذكر العلامّة الطبرسي في شرح قوله تعالى:

﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[١]

أنّ المراد من الرُّوح القدس هو جبرائيل عليه السلام حيث قال:

«وأيدناه بروح القدس أي قوّيناه وأعنّاه بجبريل عليه السلام عن قتاده والسِّدي والضَّحاك وربيع»[٢].

---

(١) سورة البقرة: ١: ٨٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٢٩٥.

وذكر الأندلسي أيضاً بأنّ جبرائيل عليه السلام قد يكون هو المراد من الرُّوح القدس حيث قال:

«والرُّوح هنا الاسم الأعظم الذي كان به عيسى عليه السلام يُحي الموتى... أو جبريل عليه السلام قال قتادة والسِّدي والضَّحاك والربيع»(١).

هذا ما عليه مشهور المسلمين في تفسير الرُّوح القدس وإن كان يوجد في بعض الرِّوايات أنّ الرُّوح القدس هو خلق أعظم من جبرائيل عليه السلام وهو الذي مال إليه السّيد العلاّمة في تفسيره:

«... روح القدس هي الّتي قال الصادق عليه السلام في قوله: «ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي» قال: هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو مع الأئمة»(٢).

قال السّيد العلاّمة أقول وفي معناه عدّة روايات وفي بعضها أنّه (أي الرُّوح القدس) من الملكوت(٣)

وبعد أن اتضح لنا أنّ المراد من الرُّوح القدس هو جبرائيل عليه السلام يتعيّن علينا أن نفسّر كلمة الرُّوح القدس الّتي مرّت معنا في الحديث.

«إنّ الرُّوح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تخرج من الدُّنيا حتّى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها...»(٤) بهذا المعنى أي أنّ المراد

---

(١) الأندلسي: محمّد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج١، ص ٤٦٧.

(٢) القمي: علي بن إبراهيم، تفسير القمي:ج ٢، ص: ٢٧٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ج ١٨، ص٨١.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٤ ص١٢٥.

منها جبرائيل وبالتالي يثبت المطلوب عندنا وهو تحقّق الإلقاء في روع النَّبيّ وقلبه من قِبَلِ المَلَك من دون أن يراه.

الرُّوح القدس عند اليهود والنَّصاري

ذكر اليهود والنَّصارى للروح القدس عدّة معاني وتفسيرات.

١)ـ منها ما ورد في العهد القديم حيث فُسِّر الرُّوح القدس بنسمة الله الّتي تدبُّ الحياة في الأشياء فقد ذكر الكتاب المقدَّس عند حديثة عن خلق الإنسان.

«وجَبَلَ الرَّب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حيوةٍ وصار آدم نفساً حيَّة»[١].

ومن هنا ذهب بعضهم إلى تفسير الرُّوح القدس بنسمة الحياة[٢].

٢)ـ ومنها أنّ الرُّوح القدس هي قدرة الله الخلاّقة الّتي تربط الله بالبشر والبشر بالله كأنّ الله بروحه القدس يخرج من ذاته ويخالط الإنسان فيصير الإنسان والله واحداً[٣].

٣)ـ ومنها أنّ الرُّوح القدس هي الإله المجهول كما جاء على حدّ تعبير الآب الفرنسي اللاهوتي (دي مونشوي) الذي عنون كتابه بعنوان الرُّوح القدس الإله المجهول[٤].

---

(١) التكوين: ٢: ٧.

(٢) إيماننا بين العقيدة والعمل: ص١١٤.

(٣) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة ج: ٦: الديانة المسيحيَّة: ص١٠٢-١٠٣.

(٤) إيماننا بين العقيدة والعمل: ص: ١١٣-١١٤.

٤)ـ ومنها أنّ الرُّوح القدس هو الرَّب المحيي المنبثق من الأب...يسجد له ويُجَّمد معاً الذي تكلَّم بالأنبياء[1].

٥)ـ ومنها أنّ الرُّوح القدس خلقَةُ الله الذي إتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خَلْقه أو أمراً كونياً[2] وعلى أيّ حال فإنّنا نرى بأنّ جميع هذه التّفاسير عدا الأخير قد اتفقت على أنّ للرُّوح القدس طبيعة إلاهيّة وأنها ليس هي جبرائيل عليه السلام في ذلك، إلى قصّة نزول جبرائيل على مريم عليها السلام وتبشرها بأنّ الرُّوح القدس سوف ينزل عليها وتحمل بولد. كما يزعمون وهذا معناه أنّ الرُّوح القدس غير جبرائيل عليه السلام.

وعلى هذا الأساس نقول:

بناءاً على التّفسير الأخير للرُّوح القدس وأنّه خِلْقَةُ الله الذي اتخذه ليكون رسولاً بينه وبين الذي يريد أن يوحي إليه فهذا الرَّسول والواسطة إمّا هو جبرائيل عليه السلام وأمّا ملاك آخر من طبيعته وعلى كلا الاحتمالين يثبت المطلوب وهو الإلقاء في الرَّوع عن طريق الملك من دون أن يراه.

وأمّا إذا قلنا كما عليه الأكثر أنّ الرُّوح القدس هو جزء لا يتجزأ من تلك الطبيعة الإلهيَّة المكّونة من الأقانيم الثلاثة، الّتي هي الأب

---

(١) نفس المصدر السابق ص١١٣.

(٢) شبلي: أحمد، موسوعة الأديان المقارنة، الدّيانة المسيحيَّة: ص١٣٣.
الذي ذهب إلى هذا القول أسقف القسطنطينيَّة مقدونيوس الذي أقام مجمعاً حضره ١٥٠ من الأساقفة.

والأبن وروح القدس فلا يمكننا إثبات المطلوب وهو الإلقاء في الرَّوع عن طريق الملك[١] وإن كان أصل الإلقاء في القلب والرَّوع من المسلم به عندهم.

القسم الثالث: الوحي المباشر.

وهو إيحاء الله تعالى لأنبيائه ورسله من دون توسيط أيّ ملك.

ووجوُد هذا القسم من الإيحاء في الإسلام من البديهيّات الّتي لا يشك بها مسلم بل إنّ أكثريّة الوحي النَّازل على رسول الله كان من هذا الطَّريق ومن دون توسيط ملك كما يفهم من النَّقل التاريخي الذي يوّصف لنا حالة النَّبيّ ﷺ عند نزول الوحي عليه ﷺ حيث كان يتصبّب عرقاً من شدّة وطئ الوحي إذ إنّ هذه الحالة كانت تعتريه عند عدم وجود الواسطة بيهنما كما سيأتي.

قال تعالى:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[٢].

والظّاهر أنّ أهل السُّنّة ينكرون أن يكون شيء من القرآن قد نزل عن هذا الطريق وإن كانوا يسلِّمون بأصل فكرة الوحي المباشر ووجوده كما ذكر صاحب الاتقان عند حديثة عن أنواع الوحي الرِّسالي حيث عدّ من

---

(١) بل تصبح جميع الاقوال الّتي ذكرناها قبل الرّأي الأخير يمكن إدراجها تحت عنوان الوحي المباشر الذي سوف يأتي شرحه لأنّ الروح القدس يحلّ مباشرة على الأنبياء والنّاس وله جنبَة الهيَة.

(٢) سورة المزّمل: ٧٣: ٥.

ضمن الأقسام الخمسة الّتي ذكرها المخاطبة المباشرة من قِبَلِ الله تعالى للنَّبيِّ ﷺ حيث قال:

«الخامسة: أن يكلّمه الله في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو في النوم كما في حديث معاذ: (آتاني ربّي فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت أنت أعلم يا رب فوضع كفّه بين كتفي فوجدتُ بَردها بين ثديي فعلمت ما في السّموات والأرض)»[1].

ثم قال وليس في القرآن من هذا النَّوع شيء فيما أعلم نعم يمكن أن يعدّ منه آخر سورة البقرة لما تقدّم وبعض سورة الضحى وألم نشرح....»[2].

وهنا ينبغي التنبيه على مسألة في غاية الأهميّة وهي أنّ الله تعالى كان يخاطب نبيّه الاكرم ﷺ والنَّبيّ يسمع أصواتاً كصلصلة الجرس وهو يتصبّب عرقاً من شدّة الوحيّ وأنّ كلا الفريقين سُنّة وشيعة يسلّمون بهذه الواقعة وآثارهــا الّتي كانت تظهر على النَّبيّ وأنّ القرآن نزل أكثره عند ظهور هذه الحالات على النَّبيّ ﷺ عند الشّيعة وكلُّه عند السنّة ولكنّ النقطة الجوهريّة الّتي وقعت مورد اختلاف بينهما هي أنّ الشّيعة يقولون أنّ هذه المخاطبة وظهور هذه الحالات على النَّبيّ ﷺ كانت عندما يخاطبه الله بشكل مباشر ومن دون وسيط بينما أهل السُّنّة يقولون بأنّ هذه المخاطبة (أي كصلصة الجرس) وهذه الآثار كانت تظهر على

---

(١) الدّارمي: عبد الله بن مهرام، سنن الدّارمي: الرؤيا: باب رؤية الرَّب تعالى في النوم ج١، ص:١٢٦.

(٢) الإتقان ج١، ص١٤٢-١٤٣.

النَّبيّ عند نزول جبرائيل عليه ﷺ[١] ومن هنا ذهب أهل السُّنّة إلى القول بأنّ القرآن كلُّه نزل عن طريق جبرائيل عليه السلام.مستدلين على ذلك بقوله تعالى:

﴿...نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ...﴾[٢]

وقد أيدّهم في ذلك بعض المعاصرين من الشّيعة[٣].

وأما الشّيعة فإنَّهم يرون أنّ نزول القرآن الكريم كان عن طريق الملك وبالمباشرة مستدِّلين على ذلك ببعض الرِّوايات والأحاديث الّتي من خلال ضمّ بعضها إلى البعض الآخر نستفيد هذا المعنى.

١)ـ منها ما ورد عن ابن البرقي عن أبيه عن جدّة عن ابن أبي عمير عن عمرو بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان جرئيل إذا أتي النَّبيّ قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتّى يستأذنه»[٤]

٢)ـ ومنها ما ذكره صاحب بحار الأنوار أيضاً عن ابن إدريس...

«إنّ النَّبيّ ﷺ كان يكون بين أصحابه فيُغمى عليه وهو يتصاب عرقاً فإذا أفاق قال: قال الله عزّوجل: كذا

---

(١) وهذا معناه أنّ كلا الفريقين السُّنة والشّيعة يتفقون على نزول القرآن عند ظهور هذه الحالات على النّبي ﷺ.

(٢) سورة الشّعراء: ٢٦: ١٩٣- ١٩٤.

(٣) السبحاني: جعفر: سيرة سيد المرسلين: ج١، ص٢٣٦.

(٤) علل الشّرائع: ج١، ص٧ رقم،٢ وبحار الأنوار: ج ١٨، ص ٥/٢٥٦.

وكذا وأمركم بكذا ونهاكم عن كذا وأكثر مخالفينا يقولون إنّ ذلك كان يكون عند نزول جبرئيل عليه فسئل الصادقﷺ عن الغشية الّتي تأخذ النَّبيّﷺ أكانت تكون عند هبوط جبرائيل؟ فقال لا. إنّ جبرائيلﷺ إذا أتى النَّبيّ ﷺ لم يدخل عليه حتى يستأذنه فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد وإنّما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إياه بغير ترجمان وواسطة. حدّثنا بذلك ابن إدريس عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمّد بن الحسن بن زيد عن الحسن بن علوان عن عمرو بن ثابت عن الصادق عليه السلام»[1].

٣)ـ ومنها ما ورد عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن عليٍّ عليه السلام قال:

«كان القرآن ينسخ بعضُهُ بعضاً وإنّما كان يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بآخره فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء فلقد نزلت عليه وهو على بغلته الشّهباء وثقل عليها الوحي حتى وقف وتدّلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمسُّ الأرض وأغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضع يده على ذؤابة منبّه بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٨٨؛ وبحار الأنوار: ج١٨،ص٢٧١.

رسول الله ﷺ فقراء علينا سورة المائدة فعمل رسول الله وعملنا»[1].

وبضمِّ هذه الرِّواية إلى سابقاتها يعلم بأنّ سورة المائدة الّتي هي جزء من القرآن نزلت بالمباشرة لأنّ هذه الحالات من الثقل والشّدّة كانت تظهر عليه عند مخاطبة الله لـه ﷺ من دون واسطة وترجمان كما دلّت عليه الرِّوايات السّابقة وإنّ كان يوجد رواية واحدة معارضة لهذه الرِّوايات[2] دلّت على أنّ هذه الآثار ظهرت عليه ﷺ عند نزول جبرائيل عليه السلام على النَّبيّ ﷺ ولكن الظاهر أنّ العلماء أعرضوا عنها ولم يعملوا بها، وعلى أيٍّ حال فإنّنا إذا لم نستطع أن نثبت أنّ أكثريَّة الوحي نزل عن طريق المباشرة فلا أقلَّ قد أثبتنا من خلال هذه الرِّوايات أنّ بعض القرآن نزل عن طريق المباشرة (وهو سورة المائدة) وبالتالي لا يكون كلّ القرآن عن طريق الملك كما ذهب إليه السُّنّة وبعض المعاصرين من الشّيعة، هذا كلُّه من وجهه نظر إسلاميَّة.

وكذا نفس الكلام نقوله من وجهة نظر يهوديَّة مسيحيَّة إذ إنّ وجود هذا القسم من الإيحاء، ممّا لا يشك به أحد، وذلك لأنَّهم جوَّزوا ظهور الله تعالى لأنبيائه ورؤيته بصرياً وتكلُّمه معهم، وإليك الشّواهد على ذلك من الكتاب المقدَّس.

١)ـ منها ظهور الله لآدم عليه السلام وكلامه معه حين إختبأ هو وزوجته بعد أن أكلا من الشّجرة الّتي نهاهما الله عن الأكل منها.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨، ص٢٧١.

(٢) الرواية المخالفة: نقلها بحار الأنوار: ج١٨، ص ٢٦٩ فراجع.

«٨ وسمعا صوت الرَّب إلاله ماشياً في الجنّة عند هبوب ريح النَّهار فاختبآ آدم وأمرأته من وجه الرَّب إلاله في وسط شجر ٩ الجنَّة فنادى الرَّب إلاله آدم وقال أين أنت...» [(١)].

٢)ـ ومنها ظهور الرَّب لنوح عليه السلام وإخباره بالطُوفان وأمرهُ بأن يصعد هو وجميع أهل بيته في الفلك.

«وقال الرَّب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك في الفُلك لأني إياك رأيتُ باراً لدَّي في هذا الجبل» [(٢)].

٢)ـ ومنها ظهور الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في أكثر من مرَّة في أكثر من موضع.

«١ ولمَّا كان إبرام ابن تسعٍ وتسعين سنه ظهر الرَّب لإبرام وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً ٢ فاجعل عهدي بيني وبينك وأُكثُرك كثيراً جداً ٣ فسقط إبرام على وجهه وتكلَّم الله معه قائلاً» [(٣)].

وكذا عندما ظهر الرَّب لإبراهيم عندما اجتاز بلوطه مُورة.

«٦ اجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شَكِيم إلى بلُّوطة مُورة وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض ٧ وظهر الرَّب

---

(١) سِفر التكوين:٣: ٨-١٠.

(٢) سِفر التكوين: ٧: ١.

(٣) نفس المصدر: ١٧: ١-٣.

لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض فبنى هناك مذبحاً للرّب الذي ظهر له»[١].

وكذلك عندما ظهر له الرَّب مرّة ثالثة عند بلوطات ممرا[٢]

«وظهر له الرَّب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار»[٣].

٣)ـ ومنها ظهور الرَّب لإسحق عندما كان في الأرض جوعُ غير ذاك الجوع الذي كان في زمن إبراهيم عليه السلام.

«١ وكان في الأرض جوع غير الجوع الأوّل الذي كان في أيام إبراهيم فذهب اسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جَرار ٢ وظهر له الرَّب وقال لا تنزل إلى مِصر...» [٤].

إلى غير ذلك من العبائر الدَّالة على ظهور الله لنبيّه يعقوب[٥] وتلقي الوحي منه وهو يصارعه وكذا ظهوره لنبي الله موسى عليه السلام وايحاءه إليه بعد أن فرغ موسى[٦] من مشاهدة الرَّب عزّ وجلّ وظهوره أيضاً لإرميا[٧]

---

(١) نفس المصدر: ١٢: ٦-٧.

(٢) بلوطات ممرا: هي مدينة الخليل الآن وهي تبعد ١٩ ميلاً عن أورشليم قاموس الكتاب المقدَّس ص٢٨٧.

(٣) سِفر التكوين: ١٨: ١.

(٤) سِفر التكوين: ٢٦: ١- ٢.

(٥) نفس المصدر: ٣٢: ٢٢-٣٢.

(٦) راجع سفر الخروج: ٣: ٦ـ (....فغطّى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله).

(٧) راجع سفر إرمياء: ١: ٩ـ (ومّد الرَّب يده ولمس فمي وقال الرَّب لي ها قد جعلت كلامي في فمك)

وصموئيل[١].

٤)ـ ومنها ما ورد في إنجيل برنابا

إنّ إبراهيم تساءل ماذا يفعل كي يعبد الله؟

«فأجاب الملاك إذهب إلى ذلك الينبوع وإغتسل... ارتق ذلك الجبل لأنّ الله يريد أن يكلمك هناك... فسمع صوتاً لطيفاً يناديه يا إبراهيم فأجابه من يناديني؟ فأجاب الصُّوت أنا إلهك يا إبراهيم...»[٢].

فإنّ العبارة الأخيرة ظاهرة بالمخاطبة المباشرة من الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام ولكن عن طريق الصوت فقط من دون الرؤيا كالمسلمين تماماً لأنّ المسلمين جوّزوا المخاطبة المباشرة ولكن من دون الرؤيا.

٥) ومنها ما ورد في إنجيل مرقس تحت عنوان معموديّة يسوع المسيح وتجربته.

«٩ وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنّا في الأردن ١٠ وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السّماوات قد انشقّت والرُّوحَ مثل حمامة نازلاً عليه ١١ وكان صوت من السّماوات (أنت ابني الحَبيب الذي به سُررتُ)»[٣].

---

(١) راجع صموئيل الأول: ٣: ٨-١٢.

(٢) إنجيل برنابا: في الفصل التاسع والعشرين: ١٧-٢٧.

(٣) إنجيل مرقس: ١: ٩-١١.

ومن هنا يظهر لنا أنّ مخاطبة الله لأنبيائه ورسله مباشرة متحقّقة باعتراف جميع الأديان الثلاثة.

وبهذا يتم الكلام عن الوحي الرّسالي بجميع أقسامه وصوره حسب التّقسيم المعتمد والموجود عند المسلمين وقد زاد اليهود على هذه الأقسام قسماً آخر وهو الإيحاء عن طريق الرؤيا في اليقظة[1] وقد ذكروا لذلك عدّة من الأمثلة نكتفي بذكر بعضها.

١)- (رؤيا إشعياء بن آموص الّتي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عزيّا ويوثام وآحاز و حزقيا ملوك يهوذا)[2].

٢)ـ (رؤيا عُوبَدْيا هكذا قال الرَّب عن آدوم سمعنا خبراً من قِبل الرّب...)[3]

٣)ـ (بعد هذه الأمور صار كلام الرَّب إلى إبرام في الرؤيا قائلاً لا تخف يا أبرام أنا ترسٌ لك أجرك كثيرٌ جداً)[4].

ففي جميع هذه الأمثلة قد فسّروا الرؤيا: بالرؤيا حال اليقظة وقد جاء الفرق بين الرؤيا في الحلم وبين الرؤيا في اليقظة موضّحاً في العهد القديم عند حديثه عن الوحي الذي جاء لبعلم بن بعور الذي كان معاصراً لنبيّ الله موسى عليه السلام.

---

(١) أما النوع الخامس الذي ذكره اليهود وهو حلول الروح القدس على الأنبياء فقد أدرجناه سابقاً تحت الوحي الإلهي الإلهامي لأنّ الرُّوح هي مَن ألهم الكتاب المقدَّس ولذا نرى في الكثير من تعابير الأساقفة أنّ الكتاب المقدَّس ملهم من الروح القدس.

(٢) سِفر إشعياء: ١: ١.

(٣) سِفر عوبديا: ١: ١.

(٤) سفر التكوين: ١٥: ١.

«فنطق بمثله وقال: وحي بلعم بن بعور وحي الرّجل المفتوح العينين وحي الذي يسمع أقوال الله الذي يرى رؤيا القدير مطروحاً وهو مكشوف العينين»(١).

وبما أنّ النَّصارى يؤمنون بالكتاب المقدَّس بكلا عهديه القديم والجديد ويولون أهميّة كبرى واحتراماً مميزاً للتّوراة والأسفار الموجودة عند اليهود حيث إنَّهم جعلوها في مقدّمة الكتاب المقدَّس وذلك لأنَّهم يعتبرونها وحياً مُلهاً من قِبَلِ الله تعالى لا يمكن أن ينقض كما شهد بذلك نفس عيسى عليه السلام عندما قال له اليهود فإنّك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً فأجابهم عيسى عليه السلام كما يحدثنا الانجيل بقوله.

«٣٤ أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسِكُمْ: أنا قُلتُ إنَّكم آلهة ٣٥ إن قال آلِهَةٌ لأولئك الّذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن يُنْقَضَ المكتوب»(٢).

فهذه شهادة وحكم من عيسى عليه السلام بأنّ ما هو موجود في كتب اليهود لا يمكن أنْ يغيّر أو يبدّل وبناءاً على هذه العقيدة فلا مناص لهم من الإيمان والتسليم بجميع ما ذكره العهد القديم عن الوحي ومن بينه الرؤيا في اليقظة بل إنّ المسيحيّة قد زادت على ذلك وقالت بتجسُّد الوحي بين البشر بعيسى عليه السلام وذلك لأنّ الله تعالى من وجهة نظرٍ يهوديّة مسيحيّة قد أعلن عن ذاته عن طريق كلمته وعِبر تدخله في التّاريخ وتوضيح ذلك

---

(١) سفر العدد: ٢٤: ٣-٤ وكذا الإصحاح: ١٢: ١٥-١٦.

(٢) يوحنّا: ١٠: ٣٢-٣٥.

يتطلّب شرحاً مفصلاً لمعنى تلك الكلمة عندهم وكيفيّة تدخل الله في التاريخ:

إعلان الله عن ذاته

أ) الوحي بواسطة الكلمة

مّر معنا في الفصل الأوّل أنّ مفهوم الوحي عند اليهود والنَّصارى هو اعلان الله عن ذاته وإرادته ومن إحدى الأساليب الّتي تحقّق هذا الإعلان والظُهور هو الإيحاء عبر الكلمة بل هو من أفضلها يقول صاحب موسوعة المعرفة المسيحيّة:

«تبقى كلمة الله الوسيلة الفضلى الّتي تحقّق ظهور الله أو تجليّه وحتّى عندما يظهر الله نفسه للإنسان في حلم أو رؤية أو تجلّ فإنّ كلمته هي الّتي تضيء معنى الاحداث والعلامات وقد عبَّر الأنبياء والكهنة والحكماء عن كلام الله ولكن بطرق أدبيَّة مختلفة»[(١)].

فتارة عبّر هؤلاء عن الكلام الإلهي بكلمة الشّريعة وآخرى عبّروا عنه بالكلام النَّبويّ وثالثه بكلمة الحكمة وذلك لأنّنا إذ رجعنا إلى أسفار العهد القديم نرى بأنّ الوصايا العشر الّتي تلقّاها موسى من ربّة وسلّمها للشّعب اليهودي تكشف عن إرادة الله الّتي لا بدّ وأن تترجم عملياً في حياة الإنسان الاجتماعيَّة والعباديّة والسّلوكيَّة والأخلاقيّة.... وبذلك يكون الله قد كشف عن نفسه وأظهر نفسه للبشر عن طريق هذه الأمور الّتي تشكل مجموعة

---

(١) موسوعة المعرفة المسيحيَّة: الوحي والالهام: ج٦، ص ١٢-١٣.

من التشريعات والقوانين المرتبطة بالحياة العباديّة والاخلاقيَّة والاجتماعيَّة للفرد وللمجتمع ككل ومن هنا أطلق عليها كلمة الشّريعة.

كما وأنّنا نرى في أكثر من موضع من العهد القديم ما يشر إلى أنّ كلام الأنبياء الذين كانوا يقولونه للبشر هو تعبير آخر عن كلمة الله ومشيئته منها:

١)ـ «ثم صار كلام الرَّب إلى أرميا بعد ما كسر حَنَنْيا النَّبيّ النير عن عنق أرميا النَّبيّ قائلاً»(١)

٢)ـ «ثم صارت كلمة الرَّب إليّ قائلاً ماذا أنت راءٍ يا أرميا فقلتُ أنا راءٍ قضيب لوزٍ فقال الرَّب لي أحسنت الرؤية لأني أنا ساهرٌ على كلمتيَ لأجرْيها»(٢)

إلى غير ذلك من العبائر الدّالة والتي يستفاد منها ذلك وهذا معناه أنّ تلك الكلمة الّتي كان يتلفَّظ بها النَّبيُّ هي كلمة الله وتعبير عن مشيئة وقدرته فالأنبياء كانوا على يقين أنّهم يقولون أقول الله، فالله عن طريق كلام الأنبياء أعلن نفسه وأظهر ذاته للبشريّة ومن هنا اطلق عليها كلام الأنبياء.

كما وأنّنا نرى أيضاً في العهد القديم كثيراً من الأقوال الّتي تأتي من الله تعالى فالله هو صاحب الحكمة وهو من يظهرها للنّاس وهي بدورها تحكي العديد من الصفات الإلهيّة فهي نفحة من قدرة الله وعظمته وانبعاث

---

(١) سفر إرميا: ٢٨: ١٢.

(٢) نفس المصدر: ١: ١١-١٢.

خالص من مجده القدير فالله تعالى يعلن عن نفسه عن طريق تلك الأقوال الحكميَّة أيضاً ومن هنا فالكلمة الّتي حوت كلّ هذه المعاني والمضامين هي أفضل وسيلة يظهر الله ذاته بها للبشر.

ب) وحي الله في التاريخ

إنّ الله تعالى كذلك يعلن عن ذاته وقدرته ومحبّته عبر تدّخله في التاريخ وذلك عن طريق تدخُّله ببعض الوقائع التاريخيّة كخروج موسى عليه السلام إلى سيناء وغيرها من الأحداث الّتي من خلالها كان يعلن الله عن نفسه وذاته ومن هنا فالوحي عندهم هو وحي تاريخيٌّ يقول بعض كتّابهم.

«إنّ الوحي اليهودي المسيحي هو وحي تاريخيٌّ ذلك يعني أنّ الإيمان اليهودي المسيحي بالله: الذي يكشف عن قصده في التاريخ يضفي اهتماماً بالغاً على أشخاص معينين وأماكن محدودة وأزمنة خاصّة»[(١)].

فالله يعمل في تاريخ البشر وعمله يكشف شيئاً عن ذاته ونفسه، فإنّنا نجد في العهد القديم بعض الأحداث والقِصص الّتي تظهر قصد الله عن طريق مثل هكذا تدخلّ في تاريخ أشخاص معينين مثل إبراهيم وموسى ويعقوب... عليهم السلام أو عن طريق تدخله في تاريخ شعبٍ من الشُّعوب، كشعب اسرائيل الذي أخرجه من مِصر ومن ثَمَّة نجد في العهد القديم تركيزاً كبيراً على ما حدث مع إبراهيم وموسى ويعقوب وغيرهم من مجريات وأحداث وكذا بالنسبة للشعب العبراني وخروجه من مصر وعلى العهد الذي أنجزه الله مع موسى على جبل سيناء فهناك أكثر من

---

(١) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص١٧.

تأكيد على أنّ الله هو من أخرج اليهود من مِصر وأنّ كلّ ما حصل له كان من تدبيره عزّ وجلّ.

وكما هو واضح فإنّ هذه الأحداث والوقائع التاريخيّة حدثت في أزمنه مختلفة وأماكن مختلفة وهذا خير شاهد ودليل على أنّ الله كان يعلن عن ذاته ويظهر قصده للناس تدريجياً عَبر هذه الأحداث الّتي حصلت بشكل تدريجيٍّ ثم بعد ذلك ظهر الوحي في العهد الجديد بحُلَّة جديدة فالوحي الذي كان يتم عن طريق الأنبياء والتدخل في أحداث التاريخ ما عاد كذلك، لأنّ الله الذي كان إلهاً للأنبياء السّابقين كآدم ونوح وإبراهيم وموسى ويعقوب.. قد اتخذ لنفسه ولداً وابناً أصبح يخاطب البشر من خلاله أي من خلال ابنه الوحيد الذي حقّق تجسُّد الكلمة بالبشر تلك الكلمة بكل معانيها ومضامينها فالله الذي تكلَّم في العهد القديم بواسطة الأنبياء بطرقٍ متعدِّدة كلَّمنا في الأيام الأخيرة عن طريق ابنه ووارثه كما ورد في الكتاب المقدَّس:

«١ الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة ٢ كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه الذي جعلهُ وارثاً لكلّ شيء الذي به أيضاً عمل العَالَمين ٣ الذي وهو بهاءُ مَجْده ورسم جوهره وحامل كلّ الأشياء بكلمة قدرتهِ بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي ٤ صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسماً أفضل منهم»[١].

(١) رسالة الى العبرانيين: ١: ١-٤.

ومن هنا صار الوحي في العهد الجديد كلّه مرتكزاً على شخص المسيح إلاله والرَّب المخلّص.

يقول الأب صلاح أبو جوده اليسوعي:

«فمع مجئ المسيح تحقّقت نبواءت العهد القديم واقترب ملكوت الله وأصبح الوحي ظاهراً للعيان بشخص يسوع النَّاصري فالله ما عاد يكشف عن نفسه عن طريق تدخله في الأحداث البشرّية أو من خلال كلام الأنبياء بل إتخذ وجهاً بشرياً بالمسيح فالمسيح كان ورسالته حقيقة واحدة فبيَّنتْ أعمالُه أنّ ملكوت الله قد وافانا أو بكلام آخر كان هو نفس الرِّسالة الّتي أعلنها على خلاف الأنبياء الّذين كانوا يتكلمون باسم الرَّب مثلاً عند قولهم اسمعوا كلام الرَّب أو يقول الرَّب لم يفرق المسيح كما سبق ورأينا بين كلامه وشخصه فقال في تعاليمه (سمعتم أنّه قيل... أمَّا أنا فأقول لكم...)[١]... وعن غفران الخطايا قال: (يا بني غفرت لك خطاياك) [٢] وفي الواقع فإنّ دعوة المسيح إلى التوبة والإيمان بالبشارة هي دعوة إلى التتلمذ له وإتباعه»[٣].

ومثل هذا التعبير من نسبة القول إلى نفسه عليه السلام ورد في العديد من أناجيلهم.

ومن هنا يظهر لنا أنّ الوحي عند النصاري قد إكتسب بعداً جديداً لم

---

(١) إنجيل متى: ٥: ٢١-٢٢.

(٢) إنجيل مرقس: ٢: ٥ في المصدر لا يوجد عبارة غفرت بل الموجود (يا بني مغفورة لك خطاياك)،

(٣) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي ص٧١.

يكن موجوداً في السّابق وذلك لأنّ الوحي أصبح متجسّداً بين النَّاس يأكل معهم ويشرب ويمشي بينهم ويعلِّمهم ويوحي إليهم لأنّ الله تجسّد في يسوع الابن وأصبح مكوّناً. أي الله؟ من الأقانيم الثلاثة المعروفة عندهم، وهي الأب والابن وروح القدس.

الخلاصة

ومن خلال هذا العرض لأنواع الوحي وأقسامه وصوره عند الأديان الثلاثة يظهر لنا بأنّ هناك العديد من نقاط الاشتراك والاختلاف.

١)- لعل تقسيم الوحي، إلى غريزي فطري من مختصات الدِّيانة الإسلاميَّة كما أشرت سابقاً وإنّ كان يوجد في الكتاب المقدَّس، بعض العبائر الّتي لا يمكن حملها إلاَّ على الوحي الإلهامي للأرض والسّماوات، كقوله في إشعياء:

«إسمعي أيتها السّموات وإصغي أيتها الأرض لأنّ الرَّب يتكلّم»[1].

وذلك لأنّ السّماوات والأرض لا تسمعان فيتعيَّن حمل الأمر المتوجَّه إليهما على إلهامهما، كما ألهم الله تعالى السّماء الّتي ورد ذكرها في القرآن.

٢)- اتفقت الأديان الثلاثة على وجود الوحي الرِّسالي ككبرى وعلى وجود الأقسام الثلاثة للوحي الرِّسالي بجميع تفصيلاتها وصورها عدا

---

(١) سِفر إشعياء: ١:٢.

واحدة[١] قد بيَّنا الاحتمالات فيها سابقاً وأنّه على إحداها يتم وعلى الأخرى لا يتمّ.

٣)ـ افترقت الدِّيانة اليهوديَّة والمسيحيَّة عن الإسلام باضافة نوع جديد وهو الإيحاء عن طريق الرؤيا باليقظة.

٤)ـ للوحي من وجهة نظر يهوديَّة مسيحيَّة بُعدٌ تاريخيٌّ لأنَّ الله يعمل في التاريخ ليعلن عن ذاته ويظهر إرادته وقدرته.

٥)ـ اختصَّت الدّيانة المسيحيَّة بالقول أنَّ الوحي أصبح متجسِّداً بين النَّاس لأنَّه ما عَادَ يتمُّ عَبْر كلام الأنبياء وعَبر التدخّل في أحداث التاريخ بل تُمِّمَ الوحي السّابق بالكلمة الأخيرة الّتي هي عيسى عليه السلام الذي قال:

«لا تظنّوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنْقُض بل لأُكمِّل»[٢].

---

(١) الصورة الّتي لم نستطع حسم الأمر فيها.هي صورة إلقاء الملك في قلب النّبيّ وروعه. فعلى الاحتمال الأخير وأنّ المراد من الرُّوح القدس خلق أوجده الله وجعلهُ بينه وبين الذي يريد أن يوحي إليه. كما ذكر أسقف القسطنطينيَّة يثبت المطلوب وأما على الاحتمالات الباقية وأنَّ الروح القدس له طبيعة إلهيَّة فلا يثبت.

(٢) إنجيل متى: ٥: ١٧.

الرسم البياني لأنواع الوحي وصوره

الأنواع	الإسلام	اليهوديّة
النوع الأوّل والثاني: المسمّيان بالوحي الغريزي والفطري	وجود هذين النوعين من مسلّمات الدّيانة الإسلاميّة	لم أعثر في تقسيماتهم التي هذين النوعين للوحي
النوع الثالث: الوحي الإلهامي	موجود في الديانة الإسلاميّة ويشكل إحدى الطرق الّتي كان يوحي الله بها لأنبيائه ورسله والسُّنة يقولون أنّه لا يوجد شيء من ذلك قرآناً.	موجود عند اليهود بل جميع الخامس بحسب تقسيم .
النوع الرابع: الوحي الرسالي وهو على عدّة أقسام:	وهذا النوع موجود عند المسلمين	موجود عند اليهود أيضاً
القسم الأول: الرؤيا الصادقة.	اتفق المسلمون على وجود هذا النحو من الايحاء عندهم مستدلين على ذلك ببعض الأحاديث الّتي رواها كلا الفريقين سنّة وشيعة.	مسلَّم به عند اليهود بل هو كثير

القسم الثاني: الوحي عن طريق الملاك جبرائيل أو غيره

- يراه
  - إما على صورته التي خلقه الله عليها ← حصل مرتين لسيّدنا محمّد ﷺ
  - إما على غير صورته الحقيقية الّتي خلقه الله عليها أي على صورة الآدميين ← موجود عند الأديان الثلاثة
- لا يراه
  - ان يلقي الملاك على مسامعه من دون أن يراه ← موجود عند الديانات الثلاثة وقد بينا الشّواهد على ذلك
  - الإلقاء في قلب الأنبياء من دون الرؤية ← هذا موجود عند الديانات الثلاث ولكن الخلاف وقع بينها في تحديد تلك الجهة الملهمة بعد الاتفاق على أنها هي الروح القدس

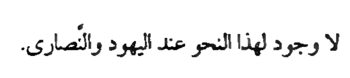
القسم الثالث: الوحي المباشر ← موجود عند الأديان الثلاثة

- الشّيعة: أكثرية الوحي تم عن هذا الطريق عندهم
- السنة يرون انه لا يوجد شيء من ذلك قرآناً بل كله عن طريق جبرائيل عليه السلام
- موجود عند اليهود والنّصارى كما يستفاد من الكثير من العبائر

النصرانية	اليهودية
قلنا لعلّ هذا التقسيم لأنواع الوحي من مختصّات الديانة الإسلاميّة وإن كان يوجد في كتابهم المقدّس بعض العبائر الّتي يمكن من خلالها استفادة وجود هذين النوعين حتّى عندهم أي اليهود والنصارى وإن لم يصّرحوا بذلك.	ذكرها شراح العهد القديم على بل إنهم ذكروا تقسيماً آخر قد أشرنا إليه
كذلك موجود عند النصارى بل إنّ هذا النوع من الوحي يشكل الرُّكن الأساس للديانة المسيحيّة لأنّ الكتاب المقدَّس بكلا عهديه ملهم بحسب الاعتقاد المسيحي.	الأمثلة الّتي ذكرناها للنوع شراح العهد القديم تندرج هنا.
وكذلك موجود عند النصارى	
كذلك هذا النحو من الايحاء موجود عند النصارى راجع انجيل متى ميلاد السّيد المسيح: ١: ٢٠.	عندهم كما ورد في سفر التكوين: ٢٠: ٢.

مرّة في حراء

ومرّة ليلة المعراج

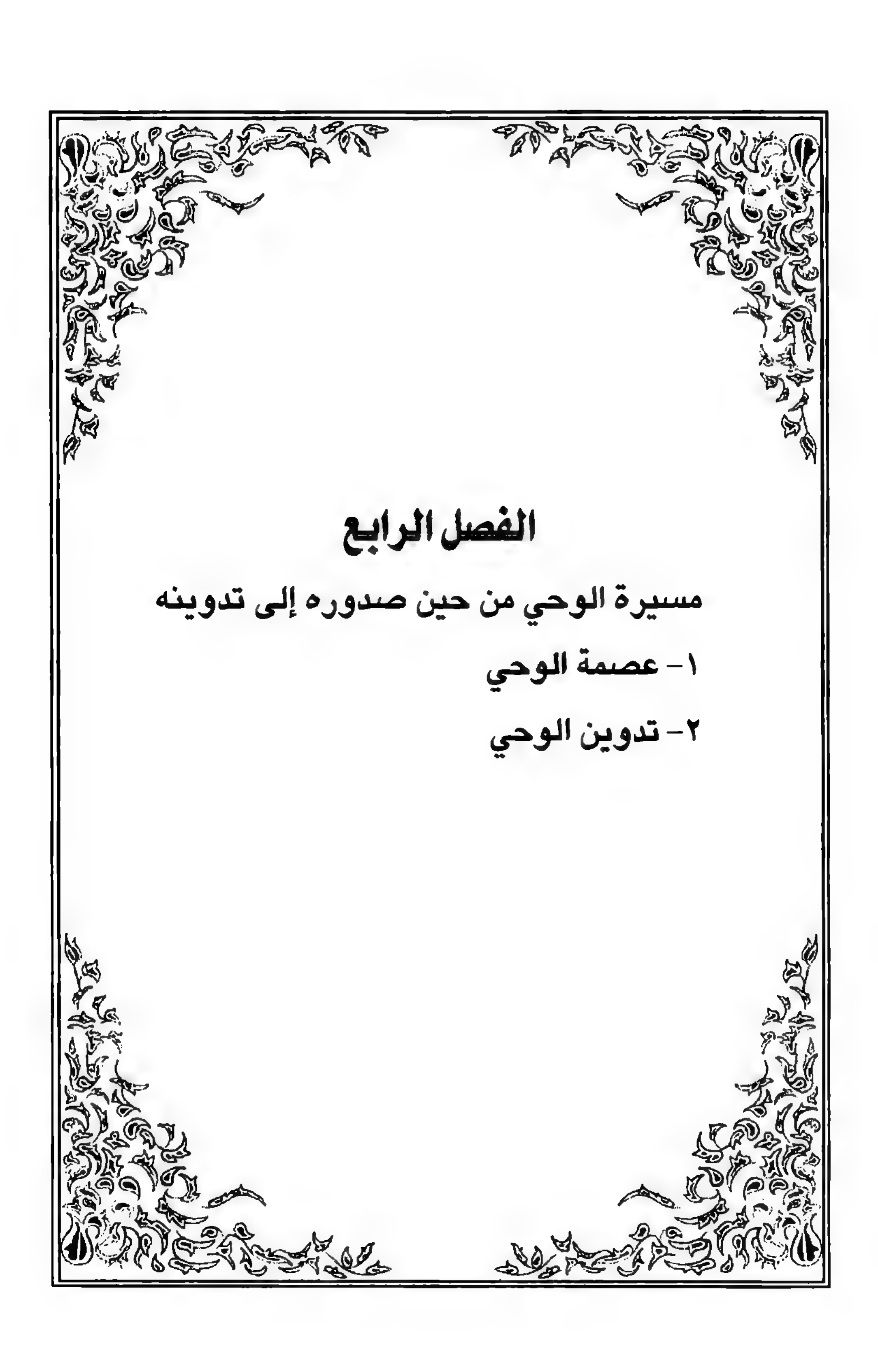

لا وجود لهذا النحو عند اليهود والنّصارى.

أنّ الظاهر على صورة الآدميين هو جبرائيل كما عليه المسلمون لأنّ الملاك الذي كان يوحي للنبي هو جبرائيل دون غيره وإن كان قد ظهر عليه بعض الملائكة غير جبرائيل ولكن لا في حالة الإيحاء.

تارة يكون الظاهر هو جبرائيل كما ظهر للنبي دانيال وفسّر لـه الرؤيا وتارة أخرى يكون الظاهر غير جبرائيل كما ظهر الملكان لنبي الله لوط في سَدُوم كما عليه اليهود والنَّصارى.

موجود في الإسلام لأنّ المشهور فسّر روح القدس بالملاك جبرائيل عليه السلام

التفسير المشهور للروح القدس لا يساعد على القول بوجود هذا النحو عند اليهود والنَّصارى لأنهم يرون أن للروح القدس جنبة الهية إلاّ على التفسير الأخير الذي فسّر الروح القدس بالواسطة بين الله وبين الذي يريد الله أن يوحي لـه. فهنا يمكن القول بوجوده حتّى عندهم



الفصل الرابع

مسيرة الوحي من حين صدوره إلى تدوينه

١- عصمة الوحي

٢- تدوين الوحي

عصمة الوحي

بعد أن اتضح لنا من خلال الأبحاث السّابقة حاجة البشر إلى الوحي الإلهي وأنّه لا يمكن لجميع النَّاس تلقي هذا الوحي الإلهي مباشرة وذلك لأنّهم لايملكون تلك الاستعدادات الرُّوحيَّة وغيرها الّتي تؤهلهم للقيام بهذه المهمّة لذا كان من الضروري أن يختار الله بعض الأشخاص المعيَّنين الذين يملكون مثل هكذا استعدادات للقيام بتلقِّي الوحي الإلهي وإبلاغه للنّاس وهؤلاء الأشخاص هم الأنبياء ومن هنا يطرح السّؤال التالي ما هو الضامن لصحة هذه الرِّسالة؟ وكيف نطمئنّ أنَّ النَّبيَّ قد تلقّى الوحي الإلهي بصورة صحيحة وأنّه يبلغه للنّاس بصورة صحيحة ؟ وإذا كان هناك واسطة بين الله والنَّبيّ فكيف نطمئنّ إلى أنَّها أبلغت الرِّسالة للنّبيِّ بصورة صحيحة لأنّ الوحي إنّما يكون مؤثراً وموصلاً لأهدافه إذا كان مَصوناً من أيٍّ تحريفٍ أو تلاعب أو تشويه عمدا أو سهوا أو نسياناً من حين صدوره إلى حين وصوله للناس وإلاّ فإحتمال الخطاء والسّهو والنسيان في الوسائط الموجودة بين الله والنَّاس سواء كانت تلك الوسائط ملائكة أم أنبياءاً يُفقدُ الوحي دوره وأهميته لأنّ مسألة عصمة الوحي من المسائل الأساسيَّة والتي ترتبط ارتباطاً جوهرياً وأساسياً في موضوع بحثنا وذلك لأنّه من دون اثبات عصمة الوحي النازل على الأنبياء والواصل إلى النَّاس من قِبَلِ ربٍّ العالمين يصبح كلٍّ ما هو آتٍ من ربٍّ العزة والجلال بواسطة الأنبياء من شرائع وأحكام وتوجيهات لاً فائدة منه لأنّه محتمل للصدق وعدمه وبالتالي يكون

كلٌ ما بحثناه سابقاً من أبحاث حول الوحي وأقسامه وأنواعه بلا جدوى ومحصَّل مادام أصل الوحي قابلاً للخطاء.

ومن هنا فالبحث في عصمة الوحي سوف يتمُّ في مرحلتي ما قبل وصوله إلى الأنبياء وما بعد وصوله إليهم وإبلاغه للنَّاس ولكن قبل الدخول في بيان كلا المرحلتين لابدّ من الإشارة إلى أنَّ جميع الأديان الثلاثة قد إتفقت على القول بعصمة الوحي في جميع مراحله وإن اختلفت نظرتهم العقائديَّة في مبلِّغي الوحي (أي الأنبياء) بين قائلٍ بعصمتهم في جميع المجالات وبين قائلٍ بعصمتهم في خصوص تبليغ الشّرائع الإلهيَّة بمعنى أن الأنبياء معصومون فقط في تبليغ الشّرائع والتوجيهات الإلهيَّة وأمَّا في غير ذلك فهم كغيرهم من بني البشر يخطئون ويسهون وينسون.

عصمة الوحي إلى حين وصوله للأنبياء

قلنا سابقا إنَّ الله تعالى قد أوحى إلى أنبيائه ورسله بطرق متعدِّدة فتارة أوحى إليهم عن طريق المباشرة وأخرى عن طريق الرؤيا الصادقة وثالثة عن طريق الملائكة ومن الواضح أنَّ الوسيلتين الأوليين لا داعي لبحث هذه المرحلة بلحاظهما أمّا الأولى فلانَّ الخطاب صادر من الله إلى الأنبياء مباشرة وأمَّا الثانية أي الرؤيا فلعدم وجود واسطة بينهما يمكن التشكيك من خلالها أيضا وإذا كان هناك من شك فلابدَّ وأن يكون بلحاظ نفس الأنبياء وهذا ما سيأتي بحثه في المرحلة الثانية.

وهذا بخلاف الوسيلة الثالثة فإنّه يوجد توسّط الملائكة حاملي الوحي من الله إلى الأنبياء وعليه فيحقٌ لنا طرح هذا السّؤال، وهو أنّه هل الملائكة مأمونون على الوحي من حين صدوره إلى حين وصوله إلى الأنبياء أولا؟

طبعاً هذا البحث يمكن طرحه على الديانة الإسلاميَّة واليهوديَّة بشكل واضح وأمَّا بالنسبة للديانة المسيحيَّة فيمكن طرحه في مرحلة ما قبل عيسى لأنّ الله في تلك المرحلة بحسب إعتقادهم كان يخاطب النَّاس بواسطة الأنبياء وأمَّا بعد مجيء عيسى عليه السلام فإنّ نفس الوحي قد تجسَّد بعيسى وأصبح موجوداً بين النَّاس وبالتالي فلا نكون بحاجة إلى توسيط الملائكة أو النبوّة لأنّ الوحي يصدر مباشرةً من الله إلى النَّاس بحسب إعتقادهم.

«ففي الإسلام واليهوديَّة يُعرَّف الوحي بأنه أوامر الله ونواهيه تُوحى إلى الأنبياء بواسطة الملائكة أمّا في المسيحيَّة فإنّ المسيح هو ابن الله وهو الوحي المتجسِّد مباشرة بين النَّاس دون وسيط من نبوَّة أو ملائكة»[1].

طبعاً نحن لا نريد إطالة الكلام في هذه المرحلة من خلال الدخول في تفسير حقيقة هذا الموجود اللطيف المسمَّى بالملائكة لأنّ ذلك بحث شائك جدّاً وإذا دخلنا فيه سيطول بنا الكلام كثيراً، فضلاً عن كون أصل هذا البحث خارجاً عن أصل الوحي ومتعلّقاً بعصمته.

ولكنّ المهم هو القول بأنّ جميع الأديان الثلاثة تقول بعصمة الوحي المنقول بواسطة الملائكة لأنّها موجودات معصومة لا يمكنها مخالفة الأوامر الإلهيَّة المتوجهة إليها إمّا لكونها غير قادرة على المخالفة بحسب تكوينها وذاتها وإمّا لسبب آخر ويؤيد ذلك قوله جلّ شأنه في حقهم.

﴿... بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة، الديانة المسيحيّة:ج٦، ص١٧.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٦ : ٢١، ٢٧.

وقال في آية أخرى:

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

فالله الذي أنزل الوحي وكشف الحقائق لجميع الأمم والعباد لكي يعرفوا طريق خلاصهم ويصلوا إلى سعادة الدّارين الدُّنيا والآخرة هو الحافظ لـه من حين صدوره إلى حين وصوله للأنبياء[٢].

وإنّما كلُّ الكلام لابدَّ وأن ينصبَّ حول الوحي في المرحلة الثانية من حين وصوله للأنبياء والرسل إلى حين إبلاغه للناس وكيف ينظر أتباع الديانات الثلاث للأنبياء وهل أنّهم معصومون في إبلاغهم الوحي للنّاس؟ وهل أنّ ما ادعي نسبته إلى الله من كتب سماويَّة يمكن لنا إثبات عِصمتها أيضاً أو لا؟ هذه مجموعة من التساؤلات الّتي سوف نحاول معالجتها في المرحلة الثانية؟ مكتفين هنا بنقل كلام أتباع الدِّيانات الثلاث مع أدلّتهم من دون التعليق عليها روماً للإختصار والتزاماً بما أخذناه على عاتقنا في بداية البحث من التجرّد والشفافيّة تاركين الحكم في نهاية المطاف للقارئ الكريم.

---

(١) سورة التحريم: ٦٦: ٦.

(٢) طبعاً الاستدلال بهاتين الآيتين موقوف على كونهما غير نازلتين على النبي ﷺ من طريق الملائكة. كأن نقول مثلاً بأنَ هاتين الآيتين قد نزلا عن طريق الوحي بالمباشرة كما هو الحال في أكثيرة الوحي النازل على النبي كما يدَّعي صاحب التمهيد. ولذا جعلناهما سابقاً مؤيدات. ولم نقل بأنهما أدلّة.

عصمة الوحي في مرحلة ما بعد وصوله للأنبياء

قلنا سابقاً إنّ البحث في هذه المرحلة سيتكفّل بمعالجة العديد من النقاط الأساسيَّة والمهمَّة الّتي تدور حول الأنبياء وعصمتهم وعصمة الكتب المدَّعى نسبتها إلى الوحي الإلهي كالقرآن والتَّوراة والإنجيل ومن هنا فإنَّنا سوف نبدأ بمعالجة هذه النقاط كلٌّ على حده.

عقيدة الأديان في الأنبياء

قبل الدّخول في بيان عقيدة الأديان الثلاثة حول الأنبياء وعصمتهم لابدَّ من الإشارة إلى أنّه هناك مراتب متعدِّدة للعصمة، فهناك العصمة عن المعصية، والعصمة في تبليغ الرِّسالة، والعصمة عن الخطأ في تطبيق الشّريعة والأمور الفرديَّة والإجتماعيَّة، وبمَّا أنَّ بحثنا يتعلَّق بالوحي والرسالات الإلهيَّة الّتي بعثها الله سبحانه وتعالى لعباده فإنَّنا سوف نقصرُ الكلام في الحديث على خصوص المرتبة الثانية من مراتب العصمة أي على العصمة في مقام تبليغ الرِّسالة لأنّ غرضنا فقط يتعلق بإثبات ذلك.

أ) عقيدة المسلمين:

ذهب جمهور المتكلمين من السَّنة والشّيعة إلى القول بعصمة الأنبياء في تبليغ الشّريعة من دون تفرقة بين العمد وغيره ولا بين السّهو وغيره إلاَّ ما شذَّ فقد نسب إلى بعض الأعلام[١] من أهل السُّنة القول بعدم تجويز

(١) نسب إلى أبي بكر الباقلاني على ما ذكره الشّيخ جعفر السبحاني في كتاب الإلهيات: ج٣، ص١٨٣.

الخطأ على الأنبياء في إبلاغ الرِّسالة عمداً وقصداً وجوز الخطأ عليهم سهواً ونسياناً حتّى ولو كان ذلك في تبليغ الرِّسالة.

قال صاحب المواقف في مقام تعرّضه لبيان عصمة الأنبياء ما نصُّه.

«أجمع أهل المِلل والشّرائع على عصمتهم عن تعمُّد الكذب فيما دلَّت المعجزة على صِدقهم فيه كدعوى الرِّسالة وما يبلغونه عن الله وفي جواز صدوره عنهم على سبيل السّهو والنسيان خلاف فمنعه الأستاذ وكثير من الأئمة لدلالة المعجزة على صدقهم وجوَّزه القاضي مصيراً منه إلى عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة»[١].

والذي يفهم من هذا التعبير الذي ذكره صاحب المواقف عندما إدَّعى إجماع أهل الملل والشّرائع على عصمتهم عن تعمد الكذب أنّ هذا الإجماع شامل حتى لليهود والنصارى لأنّ هذا هو مقتضى تعبيره بأهل الشّرائع، وأنّ مسألة سهو ونسيان الأنبياء في تبليغ الرِّسالة والشّريعة أمر مختلف فيه بين بعض الفرق الإسلاميَّة، فها هم المعتزلة يذهبون إلى القول بعدم جواز السّهو والغلط على الأنبياء في الأمور الّتي يؤدُّونها عن الله تعالى والتي ترتبط بتبليغ الرِّسالة، فقد ذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي.

«إنّا لا نجوِّز عليه السّهو والغلط فيما يؤدِّيه عن الله تعالى وإنَّما نجوِّز عليه أن يسهو في فعلٍ قد بيَّنه من قبل...»[٢].

وأمَّا الشّيعة الإماميَّة فقد ذهبوا إلى القول بعصمة الأنبياء في جميع

---

(١) الأيجي: عَضُدِ الدين عبد الرحمان، شرح المواقف، الجرجاني علي بن محمد:ج٨، ص٢٦٣.

(٢) المغني: ج١،ص٣٨١. نقلاً عن الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ج٣، ص١٨٣- ١٨٤.

المراتب الثلاثة[١] وبالأخص في مجال تبليغ الرِّسالة مستدلين على ذلك ببعض الآيات القرآنيَّة كقول تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

فهذه الآية تدلّ على أنّ كلّ ما ينطق به النَّبيّ ﷺ ويتكلّم به هو وحي إلهيٌّ ومقتضى إطلاق الآية الشُّمول للقول في جميع مجالات الحياة، من دون فرق وتفصيل بين العمد والسّهو وغيرهما.

قال تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[٣].

فالتدبّر في مفاد هذه الآية يثبت لنا بشكل واضح أنّ الوحي مصون ومحفوظ ومحروس من حين افاضة من ربٍّ العزّة والجلال إلى حين وصوله وإبلاغه للناس وهذا معنى قول تعالى:

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.

والرَّصد هم الملائكة المراقبون والحارسون للوحي من أيٍّ زيادة أو نقصان أو خلط أو تشويش وذلك ليعلم أن قد بلّغوا رسالات ربِّهم كما أراد

---

(١) طبعاً هذا قول الاكثر من الشّيعة.

(٢) سورة النجم: ٥٣، ٣-٤.

(٣) سورة الجن:٧٢، ٢٦-٢٨.

الله تبليغها وإيصالها للناس[١].

قال العلامة الطباطبائي بعد تعرضه لشرح مفردات هذه الآية المباركة.

«إنّ الرسول مؤيَّد بالعصمة في أخذ الوحي من ربه وفي حفظه وفي تبليغه إلى النَّاس مصون من الخطأ في الجهات الثلاث جميعاً لما مرَّ من دلالة الآية على أنّ ما نزَّل الله من دينه على النَّاس من طريق الوحي مصون في جميع مراحله إلى أن ينتهي إلى النَّاس ومن مراحله مرحلة أخذ الوحي وحفظه وتبليغه والتبليغ يعمُّ القول والفعل فإنّ في الفعل تبليغاً كما في القول فالرسول معصوم عن المعصية باقتراف المحرمات وترك الواجبات الدينيَّة لان ذلك تبليغاً لما يناقض الدين فهو معصوم من فعل المعصية كما أنّه معصوم من الخطأ في أخذ الوحي وحِفظه وتبليغه قولاً»[٢].

وخلاصة الكلام أنّ هناك خلافاً كبيراً بين الفرق الإسلاميَّة في دائرة عصمة الأنبياء من حيث السِّعة والضِّيق ولكنَّ المهم أنّ جمهور كلا الفريقين ذهبوا إلى القول بعصمة الأنبياء في جميع مراحل تبليغ الرِّسالة أعني التَّلقي والتَّحمُّل والأداء للنَّاس.

---

(١) هذا بالإضافة إلى العديد من الآيات الأخرى الدالّة على عدم إمكان أن يتقوّل النبي ﷺ على الله شيئاً من عند نفسه كقوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ... ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} (الحاقّة: ٦٩: ٤٤- ٦٤) واحتمال أن يكون النبي قد سهى في جميع هذه الآيات التي تتحدّث عن عدم امكان تلفظ غير الحق من قَبِل. بعيد جداً لأنّ احتمال السهو يتأتّى من آية واحدة أو آيتين لا في جميع الآيات وعليه فلو قال النّبيُّ غير الحقّ لترتّب الأثر وهو قطع الوتين.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص١٣٣.

ب) عقيدة اليهود والنَّصارى في الأنبياء

يعتقد اليهود والنَّصارى أنّ الأنبياء معصمون من الخطأ سواء كان عمداً أو سهواً أو نسياناً فيما يؤدُّونه عن الله تعالى وليسوا كذلك فيما عدا ذلك بل هم كغيرهم من أفراد بني البشر يخطئون ويسهون وينسون ويرتكبون الذُّنوب والمعاصي حتى عن عمد وقصد كما يظهر لأيٍّ باحث بمجرّد اطلاعه على سيرة الأنبياء الّذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدَّس.

فقد ذكر صاحب كتاب نقد التَّوراة ما نصُّه:

«يقول اليهود والنصارى إن الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ رسالات الله وليسوا بمعصومين في ما عدا ذلك من شؤون حياتهم الخاصَّة والعامَّة بل هم كسائر البشر يجوز عليهم الصواب والخطأ ويجوز أن يفعلوا الخير والشّر ويجوز عليهم أن يذنبوا ذنوباً كبيرة أو صغيرة عمداً أو سهواً»[1].

وهذا المعنى والمضمون مؤيّد ببعض العبائر الموجودة في الكتاب المقدَّس فعن داود عليه السلام أنّه قال:

«روح الرَّبِّ تكلم بي وكلمة على لساني»[2].

وفي رسالة بطرس الثانية.

«عالمِينَ هذا أوّلاً أنّ كلَّ نبوَّةِ الكتاب ليست من تفسيرٍ

---

(١) السَّقا: أحمد حجازي ، نقد التَّوراة:ص١٩٣.

(٢) سِفر صموئيل الثاني: ٢٣ : ٢.

خاص لأنّه لم تأت نُبوَّةٌ قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أناس الله القدِّيسون مسوقينَ من الرُّوح القُدُسِ»[١].

إلى غير ذلك من العبائر وهذا معناه أنّ اليهود والنصارى كذلك يقولون بعصمة الأنبياء في تبليغ الرِّسالة الإلهيَّة وإن كانوا يخالفون المسلمين في بعض مراتب العصمة وذلك لأنَّهم ينسبون إلى الأنبياء في الكتاب المقدَّس بعض الذُّنوب والأعمال المُشينة الّتي لا يمكن قبولها بحق إنسان عادي فضلاً عن كونه نبيّاً مبعوثاً من قبل ربِّ العزَّة والجلال مثل الزنا وشرب الخمر كما يحدثنا الكتاب المقدَّس عن نبيِّ الله لوط عليه السلام.

«٣٠ وصعد لوط من صُوغَر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنّه خاف أن يسكن في صُوغَر فسكن في المغارة هو وابنتاهُ ٣١ وقالت البِكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كلِّ الأرض٣٢ هلمَّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً ٣٣ فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ٣٤ وحدث في الغد أنّ البكرَ قالت للصغيرة إني قد اضطجع البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً ٣٥ فسقتا اباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم

---

(١) رسالة بطرس الرّسول الثانية، الوحي المقدَّس: ٢١.

يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ٣٦ فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ٣٧ فولدت البكر إبناً ودعت اسمه مُوآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ٣٨ والصغيرة أيضاً ولدت إبناً ودعت اسمه بَنْ عمّي وهو أبو بني عَمُّون إلى اليوم»[١].

إلى غير ذلك من الرّذائل الكثيرة الّتي نسبوها إلى الأنبياء كنوح وإبراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم، وقد صرح بذلك العديد من الباحثين حيث قالوا:

«أوّل مايطلعنا في مواقف الأديان الكتابيَّة الثلاثة في موضوع الأنبياء هو اختلافها في اعتبار العصمة وفي تصوُّرها إذ نجد أسفار العهد القديم تعرض سيرة أنبياء بني اسرائيل وقد إمتزجت تصرفاتهم بأنواع شتَّى من الخطايا والرذائل مثل العراء والزنى وشرب الخمر حتى السّكر وتُشير الأسفار في التَّوراة الشّريف إلى أنّ ذلك قد حصل ولكن ليس في حالات الاتصال بالذات الإلهيَّة لخطات تلقي الوحي»[٢].

بل إنّ الكتاب المقدَّس قد وصف بعض هؤلاء الأنبياء بالكذّابة عندما قال أرميا في حقِّهم عندما دعى النَّاس لخدمة نبوخذناصَّر ملك بابل.

«٩ فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرّافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الّذين يكلّمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل ١٠ لأنَّهم إنَّما يتنبّأوُنَ لكم بالكذب لكي

---

(١) سِفر التكوين:١٩: ٣١-٣٨.

(٢) نخبة من الباحثين: نشاة العالم والبشريَّة قراءة معاصرة لسِفر التكوين: ص١٣٢.

يبعدوكم من أرضكم ولأَطردكم فتهلكوا»[١].

«فلا تسمعوا لكلام الأنبياء الّذين يكلّمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنَّهم إنّما يتنبأُون لكم بالكذب»[٢].

والسَّبب في ذلك أنّ العديد من أنبياء بني اسرائيل لم يكونوا أنبياءاً بالمعنى المصطلح بل كانوا متنبِّئين يقول وِيل دَيورانت بعد تعرضه لذكر الحروب الطَّبقيَّة الّتي نشأت بين الفقراء والأغنياء على إثر تلك الثورة الّتي قام بها سليمان إذ ما لَبث أن مات سليمان وبعد ذلك الإنحلال السّياسي والدِّيني الذي عرفه اليهود ظهرت حركة الأنبياء:

«... وكان هذا الجوُّ المشحون بعوامل التفكيك السّياسي والحرب الاقتصاديَّة والانحلال الديني هو الذي ظهر فيه الأنبياء ولم يكن أولئك الّذين أطلق عليهم هذا اللفظ العِبري (نبي) أوّل الأمر من طبقة عاموس وأشعيا الجديرة بإحترامنا بل كان بعضهم من المتنبئين الّذين يستطيعون قراءة قلوب النَّاس وماضيهم ويخبرونهم بمستقبلهم حسبما يتقاضون منهم من أجور... وكان منهم من هو ناسك نكد كإليًّا ... ومن هذا الحشد الكبير من النُسَّاك خرج أنبياء بني إسرائيل ... وكانوا مزيجاً من العرَّافين والاشتراكيين ونُخطئ أشدّ الخطأ إذا عددناهم أنبياء بالمعنى المألوف لهذا اللّفظ...»[٣].

---

(١) سفر إرميا: ٢٧: ٩-١١.

(٢) المصدر السابق:٢٧: ١٤.

(٣) دَيرانت: وِل ، قصة الحضارة:ج٢، ص٣٤٩-٣٥٠.

ثم يضيف:

«وها هو عاموس قال عن نفسه أنّه لم يكن نبيًّاً بل كان راعياً ريفياً ساذجاً»[1].

ولعلّه لأجل ذلك قال نفس الكاتب في حق النَّبيّ سليمان عليه السلام في مكان آخر من موسوعته:

«ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به وأخذت عنايته بالدِّين تقلُّ على مرِّ الأيام كما أخذ يتردَّد على حريمه أكثر ما يتردَّد على الهيكل ولشدة ما يلومه كتَّاب أسفار التَّوراة على شهامته إذ أقام مذابح للآلهة الخارجيَّة الّتي كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات ولا تطاوعهم أنفسهم على أن يصفحوا عنها لعدله الفلسفي أو لعله السّياسي بين مختلف الآلهة»[2].

فالنَّبيُّ سليمان بحسب تعبيره لم يكن موحِّداً بل أقام الآلهة لزوجاته الأجنبيات حتى تعبدها فكيف يتصور في حقّ نبي مبعوث من قبل الله أن يقوم بمثل هذا العمل.

حكم العقل بعصمة الوحي

وخير دليل عقلي ساقته جميع الأديان الثلاثة لعصمة الوحي من حين صدوره من الله إلى حين وصوله للنّاس هو التمسك بلزوم نقض الغرض في حال وصوله على غير حالة صدوره، وذلك لأنّ الهدف من إنزال الوحي

---

(١) المصدر السابق:ص٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص٣٣٧.

وبعث الأنبياء هو هداية النَّاس إلى التعاليم الإلهيَّة الَّتي ترشد هم إلى طريق السّعادة إذ بعد أن عُلِمَ أن الرسالات الإلهيَّة لابُدَّ وأن تصل إلى النَّاس من خلال الوسائط سواء كانت أنبياءاً أم ملائكة وذلك حتى تتوفَّر الظروف والأجواء الملائمة للتكامل الاختياري وليتحقَّق بذلك الهدف الإلهي من خلق البشر، وعليه فالحكمة الإلهيَّة تقتضي وصول الرسالات الإلهيَّة للناس بصورة سليمة وصحيحة دون أن تتعرَّض لأيٍّ تلاعب وتشويه أو زيادة ونقصان وإلاّ للزم نقض الغرض الذي لأجله شرعت الشّرائع وبعث الأنبياء وبهذا يثبت أنَّ الرسالات الإلهيَّة لابدَّ وأن تكون مصونةً من التشويه والتلاعب العمدي والسّهوي لأنّ أيٍّ وصول للرسالة على غير صورتها الحقيقيَّة يكون منافياً للحكمة الإلهيَّة.

وهذا الدَّليل كما يثبت صيانة الأنبياء والرُّسل حين تَحَمُّل الرِّسالة وتبليغها، كذلك يثبت مصونيّة الملائكة في ايصال الوحي للأنبياء، وهذا ما أشار إليه بعض الأعلام المعاصرين بعد تعرّضه لصياغة هذا الدَّليل حيث قال:

«وبذلك أيضاً تثبت صيانة الملك أو ملائكة الوحي والأنبياء في مجال تلقي الوحي وكذلك تثبت عصمتهم من الخيانة العمديَّة أو من السّهو والنسيان في مجال إبلاغ الرِّسالة الإلهيَّة»[1].

وقال آخر:

«إنَّ الدليل الأوّل أعني كون حصول الوثوق مرهوناً بالعصمة كما يثبت عصمة الأنبياء عن المعصية فذلك يثبت عصمتهم في هذا المجال

---

(١) اليزدي: محمد تقي، دروس في العقيدة الإسلاميَّة: ج٢، ص٢٣ بحث عصمة الأنبياء.

ولأجل ذلك اكتفى به المحقق الطوسي في إثبات العصمة على الاطلاق أي في مجال الفعل والعمل أو في مقام التبليغ والرِّسالة»[١].

وقال بعض الآباء المسيحيين عند تعرضه لبيان الفصل الثاني من فصول الدُّستور العقائدي في الوحي الإلهي الذي أقرَّه المجمع الفاتيكاني الثاني: تحت عنوان تناقل الوحي الإلهي.

«بعد أن عالج آباء المجمع في الفصل الأوَّل موضوع الوحي في حدٍّ ذاته انتقلوا في الفصل الثاني إلى تناول موضوع تناقل الوحي. نقرأ في مطلع هذا الفصل ما يمكن أن نعتبره خلاصة لــه.

«إنّ الله الذي كشف حقائق الوحي لِتَخْلُصَ به جميع الأمم عاد فَمَنَّ عليهم أيضاً بترتيبات ملائمة لكي يحافَظ هذا الوحي على عصمته حتى منتهى الدّهور ويتمكَّن من الوصول عبر تناقله إلى جميع الأجيال» دستور عقائدي في الوحي رقم ٧»[٢].

ومن الواضح من خلال هذا الدستور العقائدي الذي أقرَّه المجمع الفاتيكاني الثاني أنَّ الكنيسة تتمسَّك باللّطف الإلهيّ وبحكمة جلّ شأنه في حفظ الوحي حتى يؤدّي دوره في جميع الأمم والدّهور إذ من دون أن يمُنَّ عليهم بهذه الترتيبات الملائمة فلا يمكن للوحي أن يؤدِّي دوره المنشود لــه وبالتالي يلزم انتقاض الهدف والغرض الذي جاء الوحي لأجله.

---

(١) السبحاني: جعفر ، الإلهيات: ج٣، ص١٨٤.

(٢) موسوعة المعرفة المسيحيّة: ج٦،ص ٤٤-٤٥.

عصمة الكتب السَّماويَّة

هناك العديد من الكتب السَّماويَّة قد أدُّعي نسبتها إلى الوحي الإلهيٍّ كالقرآن والتَّوراة والإنجيل ونحن في هذا المقام سنتعرَّض لإثبات عصمة هذه الكتب السَّماويَّة بالعديد من الأدلَّة والبراهين الّتي ساقها كلٌّ فريق لإثبات مدَّعاه وهذه الأدلّة بشكل عام يمكن تقسيمها إلى طائفتين، أدلَّة من داخل الكتب السَّماويَّة وأدلّة من خارجها وعلى هذا الأساس سنبدأ أولاً ببيان الأدلة الّتي استدل بها المسلمون على عصمة القرآن الكريم ثم نعقِّب ذلك بالأدلّة الّتي ذكرها اليهود والنَّصارى على عصمة الكتاب المقدَّس بكلا عهديه القديم والجديد.

عصمة القرآن الكريم

يعتقد المسلمون أنّ محمّداً ﷺ خاتم الأنبياء وأنّ رسالته خاتمة الرِّسالات السَّماويَّة وأنّ كتابه (وهو القرآن) آخر الكتب الّتي أنزلها الله على البشريَّة جمعاء وأنّه كتاب معصوم من أيٍّ زيادة أو نقص أو تلاعب وتشويه من حين نزله إلى يومنا هذا وذلك لأنّ المسلمين قد تلقَّفوه بعناية كاملة حفظاً وتدويناً وتفسيراً حيث تلقَّونه يداً بيد خلفاً عن سلف حتى وصل إلينا بهذا الشّكل الذي نراه عليه اليوم وقد استدل المسلمون على عصمة كتابهم بالعديد من الأدلّة الّتي سنذكرها بشكل مختصر تتميماً للفائدة.

أ) الأدلة الداخليَّة:

هناك العديد من الآيات القرآنيَّة الّتي استدل بها المسلمون على

عصمة القرآن الكريم ونحن هنا سنقصر الكلام في الحديث على أهمّ الآيات وأوضحها دلالة.

١) آية الحفظ

قال الله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

فهذه الآية تدلّ بشكل واضح وجلي على عصمة القرآن الكريم من أيّ تلاعب وتشويه وتحريف زيادة أو نقيصة لأنّ الله هو الحافظ له فالله الذي أنزل الكتاب والذِّكر، أوكل حفظه وصيانته من أيّ تلاعبٍ أو تغيير إلى نفسه والله خير الحافظين.

﴿... فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2].

وهذا مائز مهم يتميَّز به القرآن الكريم عن بقيَّة الكتب السَّماويَّة المبحوث عنها هنا كالتَّوراة والإنجيل فإنّ مهمةَ حفظها كانت على عاتق النَّاس والتابعين وقد استدل بعض الأعلام بهذه الآية على نفي النّقيصة عن القرآن الكريم وقال: بأنّ هذه الآية تتألف من جملتين يستفاد من أولاهما أنّ القرآن لم يتعرَّض لأيّ تغيير وتلاعب وتشويه من حين نزوله. ومن ثانيتهما أنّ هذا الحفظ مستمرّ إلى الأبد ولكنّ الاستدلال بهذه الآية دوري ما لم نثبت عدم تحريفها في مرحلة سابقة بدليل آخر كالتواتر مثلاً وذلك لأنّه من المحتمل أن تكون نفس هذه الآية محرفة حيث قال:

---

(١) سورة الحجر: ١٥: ٩.

(٢) سورة يوسف:١٢: ٦٤.

«وتتألّف هذه الآية الشّريفة من جملتين أكّد في الأولى إنّا نحن نزّلنا الذِّكر- أنّ القرآن الكريم نازل من الله تعالى ولم يتعرَّض حين نزوله لأيٍّ تغيير أو تلاعب. وفي الثانية (وإنّا له لحافظون) حيث استخدم فيها من جديد أدوات التأكيد والهيئة الّتي تدل على الإستمرار. قد أكّد فيها تعهُّده بحفظ القرآن الكريم عن أيٍّ تحريف إلى الأبد.

لكنَّ الملاحظ أنَّ هذه الآية وإن دلَّت على عدم الزّيادة في القرآن ولكنَّ الاستدلال بها على نفي الزيادة استدلال دوري وذلك لأنّ افتراض زيادة شيء على القرآن يشمل زيادة هذه الآية أيضاً ونفي الافتراض بهذه الآية نفسها غير صحيح»[1].

٢) آية نفي الباطل

قال الله تعالى:

﴿... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

وهذه الآية تدل بشكل أوضح وأصرح من سابقتها على عصمة القرآن الكريم من أيٍّ تلاعب وتشويه لأنّها تنفي الباطل عنه بجميع أقسامه والباطل هو الفاسد الضائع يقول السّيد الخوئي في ذيل هذه الآية.

«فقد دلَّت هذه الآية الكريمة على نفي الباطل بجميع أقسامه عن الكتاب فإنَّ النفي إذا ورد على الطبيعة أفاد العموم ولا شبهة في أنَّ

---

(١) دروس في العقيدة الإسلاميّة: ج٢، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) سورة فصلت: ٤١،٤١-٤٢.

التحريف من أفراد الباطل فيجب أن لا يتطرَّق إلى الكتاب العزيز»[(١)].

فالقرآن لا يعرضه فساد أو نقص لا في الحاضر ولا في المستقبل لأنّه تنزيل من حكيم حميد فحكمته جلَّ شأنه تقتضي حفظه وحراسته من أيٍّ تلاعب أو تشويه، وما ورد على سابقتها من أنَّ الاستدلال بها دوري مالم تثبت صحتها بدليل آخر في مرحلة سابقة يأتي هنا أيضاً.

ب) الأدلة الخارجية

١) السّنة الشّريفة[(٢)]

هناك العديد من الرِّوايات والأحاديث الّتي تدل على عصمة القرآن الكريم إما تصريحاً أو تلويحاً وأنّه محفوظ ومصون من أيٍّ تحريف وتلاعب وتغيير.

أ)- منها ما جاء في رسالة إمامنا الباقر عليه السلام إلى سعد الخير.

«وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده...»[(٣)].

فهذا الحديث يدل بشكل صريح على أنّهم صانوا سور القرآن وآياته وحروفه من أيٍّ تلاعب أو تغيير وتحريف وهذا معنى قوله عليه السلام أقاموا

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ص٢١٠.

(٢) طبعاً نحن لم نتعرّض لتحريف السّنة النبويّة؛ لأنّ التحريف قد دخل عليها قطعاً، كما أثبتنا في أوائل هذا الكتاب. مضافاً إلى حصر كلامنا من بداية هذا البحث بخصوص الكتب السّماوية الثلاثة: القرآن، والتوراة، والإنجيل.

(٣) الكافي: ج٨، ٥٣. رقم ١٦ باب النوادر.

حروفه أي صانوا حروفه من أيّ تغيير وتبديل.

ب)- ومنها ما دلّ تلويحاً على عصمة القرآن الكريم، كحديث الثقلين الذي رواه الحاكم في مستدركه وإمام الحنابلة[١] في مسنده والترمزي والنسائي مع اختلاف بسيط في ألفاظه أنّ النّبيّ ﷺ قال:

«إني أوشك أن أدعى فأجيب وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي فإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

فالنّبيّ ﷺ يأمر النّاس بالتمسك بالكتاب والعترة وأن الكتاب والعترة لن يفترقا عن النّبيّ ﷺ حتى يردا عليه الحوض يوم الفصل، ومن الواضح أنّ القول بتحريف القرآن وعدم عصمته لا ينسجم مع أمر النّبيّ ﷺ للأمة بالتمسك بالكتاب والعترة حتى يردا عليه الحوض يوم الفصل، يقول السّيد الخوئي في هذا المضمار:

«...إنّ القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسك بالكتاب المنزل لضياعه على الأمة بسبب وقوع التحريف ولكنّ وجوب التّمسك بالكتاب باقٍ إلى يوم القيامة لصريح أخبار الثقلين فيكون القول بالتحريف باطلاً جزماً»[٢].

---

(١) ابن حنبل: أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص١٨٢. مع اختلاف بسيط في ألفاظه.

(٢) البيان في تفسير القرآن:ص٢١١.

ج)- ومنها ما دلّ تلويحاً أيضاً على عصمة الكتاب العزيز كالرِّوايات والأحاديث الكثيرة الدّالّة على الأخذ بما وافق كتاب الله وترك ما خالفه فعن الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله:

«إنّ على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذه وما خالف كتاب الله فدعوه»[(١)].

فلو كان الكتاب محرّفاً لما أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله الأمة بالرُّجوع إلى ما وافق الكتاب وترك ما خالفه عبر الأزمان فإنّ نفس الأمر بالرجوع لما وافق الكتاب خير دليل على عدم تحريفه[(٢)].

٢) التواتر

إنّ من الأدلة الّتي استدل بها على عصمة القرآن التواتر بمعنى أنّ القرآن وصل إلينا متواتراً يقول العلامة محمد هادي معرفة قدّس سرّه:

«من الدلائل ذوات الشّأن الداحضة لشبهة التحريف هي مسألة ضرورة كون القرآن متواتراً في مجموعة وفي أبعاضه في سوره وآياته حتى في جُمَله التركيبيَّة وفي كلماته وحروفه بل وحتّى في قراءته وهجائه على ما أسلفنا في بحث القراءات...»[(٣)].

---

(١) الكافي: باب الأخذ بالسُّنة وشواهد الكتاب:ج١، ص٦٩.

(٢) طبعاً الاستدلال بجميع هذه الأحاديث الشريفة متوقّف على إثبات صحّتها وعدم تحريفها في مرحلة سابقة. لأننا أثبتنا سابقاً أنّ التحريف دخل على السُّنّة النبوية قطعاً وجزماً. ولكن المفروض أنّ العلماء قالوا بصحّة هذه الأحاديث وخصوصاً أحاديث وجوب التمسك بالثقلين التي هي واصلة إلى حدّ التواتر حتّى عند أهل السُّنّة.

(٣) معرفة: محمد هادي، صيانة القرآن من التحريف:ص ٣٧.

وبهذا الدليل قد استدل العديد من الأعلام ونكتفي في المقام بنقل ما ذكره السّيد محمد جواد العاملي بعد نقله لكلمات الأعلام في هذا المضمار حيث قال:

«والعادة تقتضي بالتواتر في تفاصيل القرآن من أجزائه وألفاظه وحركاته وسكناته ووضعه في محلِّه لتوفُّر الدواعي على نقله لكونه أصلاً لجميع الاحكام ولكونه معجزاً فلا يُعبأ بخلاف من خالف أو شكَّ في المقام»[1].

٣)- ضرورة التاريخ

إن القول بسلامة القرآن من أيٍّ تحريف أو تبديل وتغيير من حين نزوله إلى يومنا هذا يعد من بديهيات العقل وذلك لأنّ القرآن الكريم قد وقع موضع عناية مميّزة لهذه الأمة بُعظمائها وبُلغائها وحفَّاظها ومفكريها... ولاعجب في ذلك لأنّ القرآن كان هو المرجع الوحيد الذي تدين به هذه الأمَّة فهو الأساس في حياتها الدينيَّة والسّياسيَّة والإجتماعيَّة والثقافيَّة وهو المنبع الأساس لأصول الدِّين وفروعه ومن هنا كان الجميع يسهر على حراسته والمواظبة على سلامته وبقائه ومن هنا فلا يمكن لأيٍّ شخص من أهل الزَّيغ والباطل التشكيك في القرآن الكريم وبهذا قد استدل بعض الأعلام كالسّيد الشّريف المرتضى علم الهدى حيث قال:

«وأنَّ العلم بأنَّ هـذا القرآن الذي في أيدينـا هو الذي ظهر على يد رسول الله ﷺ كالعلم بالبلدان والحوادث والوقائع العِظام والكتب

---

(١) العاملي: محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج٢، ص٣٩٠.

المصنَّفة المشهورة والأسفار المدوَّنة. وذكرنا أنَّ العناية اشتدَّت بالقرآن والدّواعي توفَّرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه في نقلِ الحوادث والوقائع والكتب المصنفة لأنّ القرآن معجزة النبوّة وأصل العلم بالشّريعة والأحكام الدِّينيّة ... وأنّ علماء المتكلمين بلغوا في ضبطه وحمايته وأن عرفوا كلَّ شيء اختلف فيه من إعرابه والقراءات المختلفة في حروفه حتّى فرقوا بين ماروي وعرف... فكيف يجوز أن يكون مغيَّراً أو منقوصاً مع هذه العناية الصادقة والضبط الشّديدة»[1].

٤) الإعجاز

هذا أيضاً من ضمن الأدلّة المهمَّة الّتي استدل بها علماء الإسلام على عدم تحريف القرآن بالزِّيادة وذلك لأنّ الله تعالى قد تحدَّى في العديد من الآيات القرآنيَّة الجنَّ والإنس على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورةٍ من مثله فما استطاعوا حيث قال جل شأنه:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾[3].

---

(١) الشّريف المرتضى: علم الهدى، الذخيرة في علم الكلام: ص٣٦٢.

(٢) سورة الإسراء: ١٧: ٨٨.

(٣) سورة يونس: ١٠: ٣٨.

فلو كان البشر يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه لما كان هناك أيٌّ معنى لهذا الإعجاز والتحدّي فهذا التحدّي الصارخ يبطل دعوى كلٍّ زيادة في سور القرآن وآياته[١] .

هذا مجمل الأدلّة الّتي استدل بها المسلمون على عصمة القرآن، وماورد في بعض الرّوايات والأحاديث الدّالّة على وقوع التحريف في القرآن من كلا الفريقين فلا يعبأ بها إلاّ من كان في قلبه زيغ.

عصمة التَّوراة والإنجيل

هناك أيضاً العديد من الأدلّة والبراهين الّتي استدل بها أتباع تلك الدّيانات على عصمة التّوراة والإنجيل وهذه الأدلّة كذلك يمكن تقسيمها إلى طائفتين.

١) الأدلة الداخليّة.

إنّ الوحي المقدّس يشهد على صحة نفسه بنفسه وأنّه موحى من قِبَلِ ربِّ العزّة والجلال إذ أنّه يوجد العديد من العبائر الموجودة في الكتاب المقدّس والتي استدلوا بها على عصمته.

---

(١) طبعاً الآيات الشريفة لم تذكر التحدّي بخصوص الآيات بل تحدّت بالاتيان بمثل هذا القرآن أو بسورة مثله، ولم تتعرّض لذكر الآيات، ولكن نحن يمكن لنا إثبات ذلك والقول بأنّ الإنسان عاجز عن الاتيان حتى بآية واحدة على غرار القرآن الكريم وذلك لأنّ المراد من الاتيان أي الاتيان بالآية من جميع الجهات. أي من جهة كونها ألفاظاً مفردة قد صيغت بطريقة معينة ومن جهة كونها واقعة في سياق جمعي معيّن بمعني كونها واقعة في سياق القرآن ككل، يعني يلحظ في الآية الجهة الافرادية والجهة الجمعية ضمن السورة نفسها والجهة المجموعية مع القرآن ككل وليس المراد مجرّد الاتيان بشبه الألفاظ فقط لا غير وهذا صعب المنال كما لا يخفى.

أ) شهادة الله بعدم زوال كلمته

في الكتاب المقدَّس طائفة من الإعلانات والوعود الّتي أطلقها الله تعالى والتي تدلُّ على أنّ كلمته لا يمكن أن تزول أو تتبدّل وتتغيَّر وأنّه معصوم من أيٍّ تلاعب وتحريف.

١)- منها: «أمّا رحمتي فلا أنزعها عنه ولا اكذب في جهة أمانتي.لا أنقض عهدي ولا أغيِّر ما خرج من شفتي»[١].

٢)- منها «فإنِّي الحقُّ أقول لكم إلى أن تزول السّماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكلُّ»[٢].

٣)- ومنها « الحقُّ أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتَّى يكون هذا كلُّه. السّماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول»[٣].

٤)- ومنها «... ولا يمكن أن ينقض المكتوب»[٤].

ب) شهادة الله لأنبيائه

قال الرَّب لإشعياء النَّبيّ:

«أمَّا أنَّا فهذا عهدي معهم قال الرَّب روحي الذي وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من فمِ نسلك ولا من نسل نسلك قال الرَّب من الآن والى الأبد»[٥].

---

(١) سِفر مزامير:٨٩ : ٣٣-٣٤.

(٢) إنجيل: متى: ٥ : ١٨.

(٣) نفس المصدر: ٢٤ : ٣٤-٣٥.

(٤) إنجيل يوحنا: ١٠: ٣٥.

(٥) سِفر إشعياء: ٥٩: ٢١.

ج) شهادة الأنبياء والرُّسول.

يقول صاحب كتاب عصمة التَّوراة والإنجيل:

«لقد شهد أنبياء الله ورسله بأنّ الله تكلَّم إليهم وأوحى إليهم أن يكتبوا نبواتهم وتعاليمهم لتكون شريعة أبدية للبشر وها نحن نورد ما تيسر منها».

قال داود:

«رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بي وكَلِمَتُهُ على لِسَانِي»[1].

وقال حزقيال:

«كان إليَّ كلام الرَّب وأنت يا ابن آدم فقد جعلتك رقيباً لبيت اسرائيل فتسمع الكلام من فمي وتحذِّرهم من قبلي»[2].

وقال الرَّبُّ يسوع لتلاميذه:

«لانَّ لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم»[3].

وقال الرَّسول بطرس:

«...إنَّ كلَّ نبوَّة الكتاب ليست من تفسيرٍ خاصٍّ لأنَّه لم

---

(١) سِفر صموئيل الثاني: ٢٣: ٢.

(٢) سِفر حزقيال: ٣٣: ٧.

(٣) إنجيل متى: ١٠ : ٢٠.

تأتِ نبوَّة قطٌّ بمشيئة إنسان بل تكلَّم أناس الله القديسون مسوَقين من الرُّوح القدس»[١].

هذه مجموعة من العبائر وغيرها[٢] قد استدل بها على عصمة الكتاب المقدَّس.

٢) الأدلة الخارجيَّة

١) التواتر:

على غِرار ما فعل المسلمون في إثبات عصمة كتابهم سار أيضاً أهل الكتاب واستدلوا على عصمة الكتاب المقدَّس بكلا عهدية القديم والجديد بشهادة التواتر يقول صاحب كتاب مجد الرَّب تحت عنوان السَّند المتصل لكتبة الوحي:

«ولقد ورد في كتاب (برقي أبهوث العبراني) ما معناه نزلت التَّوراة على موسى في جبل سيناء واستودعها موسى إلى يشوع وهذا سلَّمها إلى شيوخ إسرائيل وهؤلاء سلّموها الأنبياء وسلَّمها الأنبياء السّنهدريم (مجمع اليهود الأعظم) الذي أسَّسه نبيٌّ الله وكاهنه غزرا بقصد المحافظة على التَّوراة وتعليمها للشعب...».

وأضاف أنّه:

«ورد في كتاب التلمود أيضاً أنّه بعد نهاية السَّبي البابلي أعاد

---

(١) رسالة بطرس الثانية: ١: الوحي المقدّس: ٢٠– ٢١.

(٢)عصمة التوارة والانجيل: http://www.geocities.com/capitolhill/seate/4559/torahinjil.htm

المجمع الأعظم التَّوراة إلى مجدها وجلالها القديم تحت رئاسة عزرا النَّبيِّ والكاهن وهذا يدلكم على عظم المحافظة على صحة الكتاب المقدَّس»[١].

وقال أيضاً صاحب كتاب عصمة التَّوراة والإنجيل.

«يذكر لنا التاريخ أنَّ أئمة الدين العلماء كانوا معاصرين للرُّسل أو الّذين خلفوهم في رعاية الكنيسة اقتبسوا في مواعظهم ومؤلفاتهم من الكتب المقدَّسة وخصوصاً من الإنجيل وذلك ليقينهم بأنّها كتب إلهيَّة موحى بها من الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها نذكر منهم...

هرماس المعاصر لبولس والذي ألف كتاباً في ثلاثة مجلدات ضمَّنها الكثير من الاقتباسات من العهد الجديد.

أغناطيوس الذي تَعيَّن أسقفاً على أنطاكيَّة بعد صعود المسيح بسبعة وثلاثين عاماً»[٢].

وكأمثال الأساقفه الآخرين كأكلمندس أسقف رومية وديونسيوس أسقف كورنثوس وإيرينيوس الذي ولد في أسيا الصغرى سنة ١٤٠ ميلاديَّة وتتلمذ على بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرّسول الذي قال:

«في وسعنا أن نذكر الّذين عيَّنهم الرُّسل أساقفة على هذه الكنائس والّذين خلفوهم إلى يومنا هذا وبهذا السَّند المتصل أخذنا

---

(١) كتاب مجد الرَّب الحقيقيَّة الثانية تحت عنوان السند المتصل لكتبة الوحي.

(٢) عصمة التَّوراة والإنجيل: http://www.geocities.com/capitolhill/seate/4559/torahinjil.htm

الرِّوايات الموجودة في الكنيسة وتعاليم الحقِّ أيضاً حسب ما كرَزَ بها الرُّسل»[١].

٢) شهادة النُّسخ القديمة.

هناك العديد من النسخ القديمة والمخطوطة والتي يعود تاريخها بحسب ما يقولون إلى ما قبل الإسلام بعدَّة أجيال تشهد بصحة الكتاب المقدس و عدم تحريفه.

ألف)- منها ما أشارنا إليه سابقاً في مقدمة البحث كالنُّسخة الإسكندريَّة وقد دعيت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة الإسكندريَّة الَّتي خُطَّت فيها والتي دُوِّنت حوالي سنة ٣٢٥ ميلاديَّة.

ب)- ومنها النُّسخة الـڤاتيكانيَّة ويرجِّح العلماء أنَّها خُطَّت حوالي العام ٣٠٠ بعد الميلاد.

ج)- ومنها النُّسخة السّينائيَّة وهي على غِرار سابقتها في القِدم.

د)- ومنها النُّسخة الافرائمية وهي محفوظة في دار الكتب الوطنيَّة بباريس والتي دُوِّنت سنة ٤٥٠ ميلاديَّة.

وذلك بدعوى أنَّها كانت مدَّونة قبل الإسلام والإسلام في كتابة العزيز قد شَهِد بعدم تحريف التَّوراة والإنجيل فيكون القرآن مثبتاً لصحتها وعدم تحريفها.

يقول صاحب كتاب عصمة التَّوراة والإنجيل:

---

(١) المصدر السابق. والقائل بهذا الكلام هو بوليكاربوس.

«كلُّ هذه النُّسخ تُتيح رَدَّ الادعاء بالتحريف بعد شهادة القرآن بصحتها لأنَّ النُسَخَ الّتي ذُكرت أعلاه كتبت قبل القرآن والنُسَخُ المتداولة بين أيدينا اليوم لا تختلف في شيء عن نصوص تلك المخطوطات القديمة»[١].

ولكن من أين حصل اليقين لهؤلاء المستدلّين أنّ نظر القرآن الكريم إلى هذه المخطوطات القديمة بل إنَّ نظره كما يدعي المسلمون إلى التَّوراة والإنجيل الأصليين لا إلى هذه النسخ القديمة وعلى فرض التسليم بأنَّ نظر القرآن إلى هذه النُسخ فإنّ القرآن نفسه في مواضع أخرى يصف اليهود والنصارى بأنَّهم حرفوا كتبهم وعليه فلماذا نأخذ بشهادة القرآن بصحتها ولا نأخذ بشهادته في تحريفها.

٣) شهادة المخطوطات القديمة ـ المكتشفة مؤخرّاً

هناك العديد من المخطوطات الّتي اكتشفت مؤخراً والتي يعود تاريخ بعضها إلى القرن الثاني ب.م قد استدل بها هؤلاء على عصمة الكتاب المقدَّس بكلا عهديه بدعوى أنَّ ما اكتشف مؤخراً من مخطوطات متضمِّنة لبعض الأسفار الّتي مرَّ ذكرها في المقدمة مطابق لما هو موجود بين أيدنا الآن مطابقة تامَّة.

ومن تلك المخطوطات.

أ)- مخطوطات أرسينوي الّتي عثر عليها في أرسينوي الواقعة في جنوب مدينة قاهرة سنة ١٨٧٧ ميلاديّة.

---

(١) المصدر السابق.

ب)- ومنها مخطوطات سيناء الّتي اكتشفت مؤخّراً في دير القديسة كاترين وهذه النُسخة كانت للأناجيل الأربعة باللّغة السّريانيَّة.

ج)- ومنها مخطوطات قمران: وهي من أهم المخطوطات المكتشفة بل إن صاحب كتاب وحي الكتاب المقدّس يقول بأنها كانت من أعظم الاكتشافات.

«قمران هذه بقعة تقع في الشّمال الغربي للبحر الميت وحدث في ربيع عام ١٩٤٧ أن اكتشف أحد الرعاة عن طريق المصادفة كهفاً به إناءان من الفخار يحتويان على ١١ من المخطوطات القديمة بيعت هذه المخطوطات ووصل نسخة منها للأستاذ في الجامعة العبريَّة والخمسة الباقية وصلت إلى رأيس أساقفة دير مرقس السّرياني الذي أرسل تلك المخطوطات إلى المعهد الأمريكي للدراسات الشّرقيَّة بالقدس فتبين أنَّه نسخة كاملة من سفر اشعياء كما أرسل الكتَّان الذي كان يغلِّف المخطوطات إلى معهد الدراسات النوويَّة بشيكاجو بأمريكا فتبيَّن أنَّه يرجع إلى مابين ١٦٧ ق.م إلى ٢٣٣م»[١].

قال صاحب كتاب عصمة التَّوراة والإنجيل:

«مخطوطات قمران من بين الكنوز الّتي عثر عليها في مغاور قمران بالأردن عام ١٩٤٧ مخطوطة كاملة لسفر اشعياء النَّبيّ باللغة العبريَّة وهي مكتوبة على رفوق جلد على شبه درج ويستدل من شكل الكتابة والمفردات اللغوية أنَّ هذه المخطوطة كتبت في القرن الثاني

---

(١) وحي الكتاب المقدّس: http://www.baytallah.net/baytallah/Godword.html

قبل الميلاد وقد قال العلماء الّذين دققوا فيها أنّها لا تخلف في نصوصها عن النّصّ الموجود بين أيدينا.

وعثر أيضاً في كهوف قمران على نسخة من أسفار اللاويين وأيوب والمزامير وحبقوق وقد وجدت النصوص المدونة في هذه المخطوطات مطابقة لنصوص الأسفار المتداولة بيننا حالياً.

(ثم يضف ويقول أكثر من ذلك)

وكذلك وجد الى جانب هذه المخطوطات قائمة بأسفار العهد القديم شملت كل الاسفار الّتي لدينا ما عدا سفر أستير»[١].

٤) شهادة الإسلام

إستدلَّ بعضهم على صحة الكتاب المقدَّس بكلا عهديه القديم والجديد ببعض الآيات القرآنيَّة حيث يقول:

«شهد القرآن للأسفار الإلهيَّة بالصَّحة وكلٌّ من يطالعه يندهش لشهادته الصريحة لصحَّة ما جاء فيها وهي شهادة من الوضوح بمكان حتى أنّها لا تقبل التأويل وقد وردت من عدد في السّور منها:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوراة فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيّونَ الّذين أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾[٢].

---

(١) عصمة التّوراة والإنجيل: http://www.geocities.com/capitolhill/seate/4559/torahinjil.htm

(٢) سورة المائدة: ٥: ٤٤.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراة وَآتَيْنَاهُ الإنجيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراة وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾[2].

ففي الآية الأولى يشهد القرآن لصحة التَّوراة، وأنّها هدى من الضلالة ونور لبيان الأمور الّتي يحكم بها النَّبيُّون بموجب ما استحفظهم الله من كتابه وكانوا شهوداً أنَّه حقٌّ وفي الآية الثانية بيان أنّ المسيح صدَّق على التَّوراة أنها حقٌّ وكذلك إنجيله الذي فيه هدى ونور وموعظة جاء مصدِّقاً لما قبله من الكتب الإلهيَّة.

وفي الآية الثالثة يؤكِّد القرآن أنَّه أُنزل إلى محمّد مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب، وأنَّه مُعيَّن. حارساً لـه، وأنَّه يوصيه بأن يحكم بموجب ما أنزل الله فيه من تأييد للتوراة والإنجيل، ويذهب القرآن في تأييده للتوراة والإنجيل إلى حضِّ أهلها على إقامة ما جاء فيهما من تعاليم إذ يقول:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوراة وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة: ٥: ٤٦.

(٢) سورة المائدة: ٥: ٤٨.

(٣) سورة المائدة: ٥ : ٦٨.

وكذلك يحضُّ أهل الإنجيل على إقامة أحكام ما جاء في كتابهم ويصف الّذين يهملون ذلك من أهل الإثم إذ يقول:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجيل بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا الّذين آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّه وَرَسُوله وَالْكِتَاب الَّذي نَزَّلَ عَلَى رَسُوله وَالْكِتَاب الَّذيَ أَنزَلَ من قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّه وَمَلاَئِكَته وَكُتُبه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾[٢].

ثمّ أضاف وقال:

فممّا تقدّم يتبين لنا:

«أولاً: يحثُّ القرآن أهل الكتاب على إقامة احكام التَّوراة والإنجيل وهذا اعترف ضمني بصحتها وسلامتها من التحريف لأنّهما يحكّمان المؤمن للخلاص الذي في البرِّ.

ثانياً: يأمر القرآن جميع المؤمنين بمن فيهم المسلمون أن يؤمنوا بالقرآن وبالكتاب الذي أنزل من قبل، التَّوراة والإنجيل وهذه دعوة صريحة للمسلم لكي يؤمن بما جاء في التَّوراة والإنجيل وهذه الدعوة متفقة فعلاً مع نص القرآن الآتي:

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإن يَكْفُرْ بهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى

---

(١) سورة المائدة:٥ : ٤٧.

(٢) سورة النساء:٤ : ١٣٦.

اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[١][٢].

هذا مجمل الأدلَّة وأهمُّها الّتي استدل بها هؤلاء[٣] على عصمة التَّوراة والإنجيل ولا يخفي على القارئ الكريم ما فيها من الضَّعف خصوصاً الدَّليل الأخير الذي حملوا فيه آيات القرآن على ما هم يريدون لا على ما أراده الله تعالى وفهمه المسلمون.

نتيجة البحث

ومن خلال هذا البحث يتضح لنا بأن هناك العديد من نقاط الاشتراك والاختلاف.

١)- إنّ الأديان الثلاثة قد اتفقت على عصمة الوحي الإلهي.

٢)- إن الأديان الثلاثة قد اتفقت على عصمة الأنبياء في مقام تبليغ الرِّسالة الإلهيَّة والوحي المقدَّس وإن اختلف فهم المسلمين لحقيقة العصمة ومرتبتها عن اليهود والنصارى.

٣)- إنّ اليهود والنصارى ينظرون إلى الأنبياء على أنّهم أناس عاديون يخطئون ويذنبون كغيرهم من البشر إذا كانوا في غير مقام التبليغ للرسالة

---

(١) سورة الأنعام: ٦: ٨٩- ٩٠.

(٢) عصمة التَّوراة والإنجيل: بحث عنوانه شهادة الإسلام:

http://www.geocities.com/capitolhill/senate/4559/torahinjil.htm

(٣) وقد ذكر قاموس الكتاب المقدَّس.العديد من الأدلة الدَّامغة بحسب تعبيره على عصمة الكتاب المقدَّس والتي أشرنا إلى بعضها. حيث قال: «من الأدلة الدامغة على صدق الوحي في الكتاب المقدَّس شهادة الكتبة أنفسهم (هكذا يقول الرب) ووحدة الغرض مع اختلاف الكتبة وأزمنتهم وأماكنهم والمعجزات والنبوات الّتي تحققت...» ص: ١٠٢١

بخلاف المسلمين فإنّهم ينزّهون الأنبياء عن كثيرٍ من الذنوب والمعاصي الّتي نسبت إليهم في الكتاب المقدّس.

٤)- إنّ الحديث عن النبوّة والملائكة يمكن طرحه في الدّيانة المسيحيّة قبل مجيء عيسى عليه السلام أمّا بعد مجيئه فلا معنى لهذا البحث لأنّه لا نحتاج إلى نبوّة أو ملائكة لأنّ الوحي صار متجسّداً مباشرة بين النّاس. بخلاف الدّيانتين الإسلاميّة واليهوديّة فإنّ هذا البحث من الوضوح بمكان.

٥)- إنّ أهمّ الأدلة الّتي اعتمدت عليها الأديان الثلاثة في إثبات عصمة الوحي هو دليل نقض الغرض المرتبط بالعقل العملي.

٦)- إنّ طريقة الاستدلال المعتمدة في إثبات عصمة الكتب السّماويّة الثلاثة واحدة بمعنى أنّ جميع الدّيانات الثلاث استدلّت على عصمة كُتُبِها بالأدلة المستفادة من داخل تلك الكتب وبأدلّة خارجه عنها.

٧)- إنّ هناك بعض الأدلّة المُثبتة لذلك كالتواتر مثلاً مشتركة فإنّ جميع الأديان الثلاثة قد استدلت به على صحّة كتبها المقدّسة.

٨)- إنّ جميع الدّيانات قد استدلت على عصمتها بالقرآن الكريم فالقرآن قد استدل به المسلمون على صحة نفسه واليهود والنّصارى قد استدلوا به كذلك على صحته كتبهم وهذا مورد فخرٍ وإعتزاز بالقرآن الكريم.

تدوين الوحي

من الواضح أنّ تدوين الوحي المنسوب إلى السّماء عند الأديان الثلاثة المبحوث عنها قد استمر مدة طويلة من الزمان وأن كل واحد من الكتب الّتي ادعي نسبتها إلى السّماء قد تم تدوينه بفترة زمنيَّة مغايرة للأخرى من حيث نفس الزمان ومن حيث المدة الّتي استغرقتها كتابة كلّ واحد منها، كما سيتضح لنا فيما بعد عند التحدث عن تدوين كلّ كتاب من الكتب السَّماويَّة الثلاثة على حِده.

تدوين القرآن:

ممَّا لاشكَّ فيه أن القرآن الكريم قد دُوِّن في مدَّة قصيرة لم تتعدَّ الرُّبع قرن وإن كان تأليفه بشكله النهائي الذي نراه اليوم قد مرَّ بعدّة مراحل تاريخيَّة كما سيتضح لنا.

ومن هنا فإنَّ بحثنا في هذا المقام يتمحور حول نقطتين أساسيتين:

أ- مرحلة تدوين القرآن

إنَّ تدوين القرآن الكريم كما هو ثابت تاريخياً قد إستمر ٢٣ سنة وأنَّ هذا التدوين قد وقع في زمن صاحب الرِّسالة واشرافه كما تشير إليه بعض الرِّوايات والاحاديث بالإضافة إلى عدم نقل الخلاف في ذلك من قبل العلماء.

أمَّا الأحاديث فنكتفي بذكر واحد منها:

فعن علي بن الحسين عن أحمد بن أبي عبد الله عن علي بن الحكم سيف بن عُميره عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«إنَّ رسول الله قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في الصّحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التَّوراة فانطلق علي فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال لا ارتدي حتى أجمعه. فإنّه كان الرَّجل يأتيه فيخرج إليه بغير رداءٍ حتى جمعه وقال: قال رسول الله. لو أنَّ النَّاس قرءوا القرآن كما أنزل الله ما اختلف فيه اثنان»[1].

فهذا الحديث الشّريف يدل بشكل صريح على أن تدوين القرآن قد تمَّ في عهد النَّبيّ واشرافه صلى الله عليه وآله وأنَّ النَّبيّ كان يبدي اهتماماً كبيراً في موضوع القرآن وحفظه من الضياع، وهذا هو المفهوم من عبارته صلى الله عليه وآله القرآن خلف فراشي على الصّحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه... . بمعنى أن القرآن مُدوَّن تحت فراشي وأنتم عليكم أخذه وحفظه من الضياع عن طريق جمعه.

ونحن إذا أخذنا بهذا الحديث وضممناه إلى الأحاديث الدَّالة على أنّه صلى الله عليه وآله قد بُعث وهو في سِنٍّ الأربعين من عمره، بالإضافة إلى بعض الوقائع التاريخيَّة كان باستطاعتنا تحديد تلك المدّة الّتي وقع فيها التدوين حسب التوقيت الميلادي، بمعنى أنَّ هذا التدوين للقرآن وقع ما بين سنة

---

(١) تفسير القمي: ج٢،ص٤٥١.

٦١٠م وسنة٦٣٣م. وذلك لأنّ الثابت تاريخياً هو أنّ النّبيّ ﷺ ولد عام الفيل عندما هاجم أبرهة مكّة المكرّمة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٨٨٢ من عهد ذي القرنين وبالتالي يكون قدوم أبرهة إلى مكة وقع في يوم ١٧ من المحرم[(١)] لتلك السّنة الموافق حسب الترتيب الميلادي ٥٧٠م، وهذا معناه أنّ يوم المبعث وقع إمّا في الثامن من ربيع الأول من السّنة الهجريّة الموافق لسنه ٦١٠ حسب الترتيب الميلادي وأمّا في السّابع والعشرين من شهر رجب من تلك السّنة كما عليه مشهور الشّيعة وبعض السُّنة، وبما أنّ القرآن الكريم كانت مدة تدوينه بالحدّ الأقصى٢٣ سنة فيكون تدوين القرآن قد تمّ ما بين سنة ٦١٠ إلى ٦٣٣م[(٢)]. إذن فالقرآن قد دُوِّن في هذه الفترة القصيرة وبإشراف من النّبيّ ﷺ وهذه نقطة مهمة وجديرة بالتقدير لأنّها تُعطي القرآن درجة من القوَّة والصحَّة لا تتواجد في كلا العهدين القديم والجديد وذلك لأنّ تدوينها لم يَتُمْ في زمن صاحب الرِّسالة وحياته بمعنى أنّه لم يتمّ في زمن حياة صاحب الرِّسالة المنزلة عليه كموسى أو المُتَجسِّدة به كعيسى كما يدَّعي النَّصارى فتدوين الكتاب المقدَّس ومن بينها التَّوراة قد إستمر حوالي ١٣٠٠ سنة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى أواخر القرن الأوَّل قبل الميلاد كما وأنّ تدوين أسفار العهد الجديد قد تمَّ بعد موت عيسى في النصف الثاني من القرن الأوّل بعد الميلاد بالهام من الرُّوح القدس أي بعد

---

(١) مروج الذهب: ج٢، ص٢٨٩.

(٢) طبعاً نحن حولنا بيان المدَّة التي تدوَّن فيها القرآن حسب التوقيت الميلادي كي ينسجم مع بقيّة الكتب السَّماوية المبحوث عنها؛ لأنّ تدوينها كما سيتضح كان حسب التوقيت الميلادي.

صلبه وموته ثم قيامته وجلوسه على يمين العرش بجانب أبيه كما يعتقدون.

موقف الأمة:

إنَّ وقوع التدوين في عهد النَّبيِّ ﷺ وإشرافه من القضايا الّتي يمكن أن يدَّعى عدم وجود الخلاف فيها وذلك لأنَّ المتتبِّع للتاريخ يرى بأنَّ النقطة الّتي وقعت مورد خلاف واضطراب بين علماء المسلمين هي مسألة جمع القرآن وتأليفه[1] ـ وأنَّ هذا التأليف للقرآن بهذا الترتيب الواقع بين الدَّفتين والذي نراه اليوم هل كان موجوداً في عهد الرَّسول أو أن هذا الجمع والتأليف تمّ بعد وفاته؟ ـ لا مسألة التدوين إذ إنَّني لم أجد مخالفاً فيما إطلعت يقول إنّ التدوين وقع بعد زمن النَّبيِّ ﷺ نعم الخلاف في مسألة جمع القرآن وتأليفه وفرق كبير بين تدوين القرآن وبين جمعه وتأليفه بين الدَّفتين.

يقول جلال الدين السُّيوطي:

«كان القرآن كتب كلُّه في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السُّور»[2]

---

(١) إذ لو كان هناك خلاف في مسألة التدوين لنقل إلينا فإن نفس حصر الكلام والخلاف من قبل العلماء في خصوص التأليف والجمع لازمه، الاتفاق وعدم الخلاف في أنّ التّدوين وقع قبل وفاة النّبي ﷺ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ج١، ص٥٧ ـ راجع مناهل العرفان: ج١، ص١٧٧- ١٧٨.

ب) تأليف القرآن الكريم

مما لاشكَّ فيه أيضاً أن تأليف القرآن الكريم قد مرَّ بأدوار متعدّدة حتى اتخذ شكله النّهائي الذي نراه فيه اليوم وأنّ بعضَ هذه الأدوار أخذ حيِّزاً واسعاً من كلمات علماء الإسلام سُنّة وشيعة ووقع فيه كثير من الأخذ والرَّد على أقوال مختلفة مردُّها إلى اختلاف النُصوص والرِّوايات كما سيأتي معنا.

ومن هنا فالبحث في هذه المرحلة سيتمحور حول أدوار ثلاثة مرَّ بها القرآن حتى وصل إلى شكله النِّهائي.

١) جمع القرآن الكريم

إنَّ مسألة جمع القرآن قد أخذت حيِّزاً كبيراً ومهماً من كلمات الأعلام فبعضهم ذهب إلى القول بأن تأليف القرآن وجمعه بين الدَّفتين بشكله الحالي الذي نراه اليوم من حيث الترتيب بين سُوره بتقدُّم السُور الطِّوال على غيرها قد وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ وهذا هو المشهور عند العلماء سُنّة وشيعة فمن علماء السُنَّة ما نقلناه سابقاً عن جلال الدّين السُّيوطي حيث قال:

«كان القرآن كتب كلُّه في عهد رسول الله لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السُّور»[(١)].

فهذا الكلام يدل بشكل صريح أنّ القرآن لم يكن مجموعاً في عهد رسول الله ولا مرَّتباً وأنّ جمعه وترتيبه تمَّ بعد إنقضاء عهده ﷺ.

---

(١) راجع الصفحة السابقة.

ومن علماء الشيعة ما ذكره السّيد العلامة في تفسيره حيث قال:

«ويؤيِّده ما كان عليه الأمر في زمن النَّبيّ ﷺ فإنّ القرآن لم يكن مؤلفاً بعدُ ولم يكن منه إلا سوراً أو آيات متفرقة في أيدي النَّاس فكان في تفسير كلٍّ قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد»[١].

ونكتفي بنقل كلام هذين العالمين روماً للاختصار في المقام.

وفي قبال المشهور ذهب عدد من علماء السُّنة والشّيعة إلى القول بأنّ هذا الترتيب كان موجوداً في زمن النَّبيّ وعهده ﷺ منهم القاضي وابن الانباري والكرماني والطيبي من علماء السُّنَّة على ما ينقله صاحب الإتقان[٢] ومن علماء الشّيعة السّيد علم الهدى المعروف بالسّيد المرتضى ومن المعاصرين السّيد الخوئي قدّس سرُّهما، مستدلِّين على ذلك بالعديد من الأدلة الّتي قد يستفاد منها أنّ القرآن كان مؤلّفاً بهذا الشّكل حتى في عهد رسول الله ﷺ.

منها ما ذكره السّيد المرتضى والسّيد الخوئي.

ألف)- إستدل السّيد المرتضى على ذلك بأن القرآن كان يُدَرَّس ويحفظ جميعه في عهد رسول الله ﷺ حتى أن نفس الرَّسول قد عيَّن عدداً من الصحابة ليقوموا بحفظه ثم يعرضوا ما حفظوه عليه ﷺ.

ب)- إنّ عدداً من الصحابة أمثال عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب قاموا بتلاوة القرآن وختمه على مسامع النَّبيّ ﷺ عدَّة مرَّات وهذا معناه أنّ القرآن كان مجموعاً ومرتَّباً.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج٣، ص٨٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن:ج١، ص٦٢.

يقول صاحب مجمع البيان نقلاً عن السّيد المرتضى:

«ومعلوم أنَّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشُّعراء وذكر أيضاً رضي الله عنه أنَّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأنَّ القرآن كان يُدَرَّس ويحفظ جميعه في ذلك الزَّمان حتّى عَيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له وإن كان يعرض على النَّبيّ ﷺ ويتلىٰ عليه وإنَّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النَّبيّ ﷺ عدَّة ختمات وكلُّ ذلك يدلُّ بأدنى تأمُّل على أنّه كان مجموعاً مرتَّباً غير مبتور ولا مبثوث وذكر أنَّ من خالف في ذلك من الاماميَّة والحشويَّة لا يعتد بخلافهم...»[1].

وكما هو واضح فإن كلا هذين الدليلين لا يدلاّن على مطلوب السّيد المرتضى وذلك لأنَّ تدريس القرآن وختمه من قبل بعض الصحابة على مسامع النَّبيّ ﷺ ينسجم حتى مع كون القرآن غير مرتَّب بالشّكل الحالي أو غير مرتَّب أصلاً بمعنى أنَّ حفظ القرآن وتدريسه يصدق حتى مع كون القرآن غير مرتَّب بالشّكل الذي نراه عليه اليوم فإنّ من يُدَرِّس القرآن أو يحفظه أو يتلوه بشكل مبعثر وغير مرتب يصدق عليه أنّه درَّس القرآن أو حفظه أو تلاه جميعه حتى في زماننا هذا، وبالتالي فما ذكره السّيد المرتضى من دليل هو أعمُّ من المطلوب.

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٤٣.

أدلة السّيد الخوئي على اثبات الجمع في عهد الرّسول ﷺ:

سبق وذكرنا أنّ السّيد الخوئي يرى بأنّ القرآن قد جمع في عهد رسول الله مستدلاً على ذلك بعدة أدلّة.

١) إنّ الأحاديث الدّالة على جمع القرآن كلّها متضاربة ومتناقضة وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها ففي بعضها أنّ جمع القرآن بهذا الترتيب الذي نراه قد تمّ في عهد أبي بكر لرواية زيد بن ثابت وغيرها.

«أرسل إليّ أبو بكر مَقْتَل أهل يمامه . فإذا عُمر بن خطّاب عنده قال أبو بكر :إنّ عُمر اتاني فقال: إنّ القتل قد إستحرّ يوم اليمامه بقرّاء القرآن وإني اخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أنْ تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّعْ القرآنَ فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني من جمع القرآن...

فتتبّعت القرآن اجمعه من العَسب واللّخاف وصدور الرِّجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره»[١].

---

(١) طبعاً لا يخفى أن ظاهر الحديث أنّ القرآن لم يكن مدّوناً بشكل مجموعي في عهد رسول الله، خلافاً للحديث الذي نقلاه عن تفسير القمي، فراجع إذ قد يقال بعدم وجود أي منافاة بينهما، لأنّ القوم لم يأخذوا بتأليف أمير المؤمنين وإنما سلكوا طريقاً آخر في الجمع وهذا لا ينافي الجمع الأوّل بذلك الشّكل المبعثر والغير مرتّب.

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ ۞ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1].

حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر»[2].

فهذا الحديث يدل على أنّ من قام بجمع القرآن هو أبو بكر ولكن من خلال أمره لزيد بن ثابت إلى غير ذلك من الرِّوايات والأحاديث الدَّالة على أنّ أبا بكر هو أوّل من جمع القرآن كحديث وكيع.

«حدثنا وكيع عن سفيان بن السِّدي عن عبد خير قال: قال علي يرحم الله أبا بكر هو أوّل من جمع بين اللَّوحين»[3].

و كذا حديث خثيمة حيث قال:

«من بعد ما أصابهم القرح، أبو بكر الصدِّيق والزبير بن العوام قال أخبرنا أبو محمد قال أخبرنا خثيمة قال اخبرنا أبو عبيدة السِّدي قال أخبرنا قبيصة قال أخبرنا سفيان الثوري عن السِّدي عن عبد خير قال سمعتُ علياً يقول أعظم النَّاس من المصاحف أبو بكر إنَّ أبا بكر أوَّل من جمع ما بين اللَّوحين»[4].

---

(١) سورة التوبة: ٩: ١٢٨– ١٢٩.

(٢) صحيح البخاري: باب جمع القرآن: ج٦، ص٣١٤.

(٣) الكوفي: ابن أبي شيبه، المصنَّف: ج ٧، ص١٩٦ . أوَّل مَن جمع القرآن.

(٤) السجستاني: عبد الله بن سليمان الأشعث ،كتاب المصاحف: ج١، ص ١٤٥ وفيه عدَّة أحاديث

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالَّة على ذلك.

وفي بعضها الآخر أنَّ مَن جمع القرآن هو عمر بن الخطاب وأنَّ الجمع قد تمَّ في عهده فقد روى أبو إسحاق عن بعض أصحابه قال:

«لمَّا جمع عُمر بن الخطَّاب المصحف سأل مَن أعرب النَّاس قيل: سعيد ابن العاص فقال مَن أكتب النَّاس؟ فقيل زيد بن ثابت قال: فليُملِ سعيد وليكتب زيد فكتبوا مصاحف أربعة فأنفذ مصحفاً منها إلى الكوفة ومصحفاً إلى البصرة ومصحفاً إلى الشَّام ومصحفاً إلى الحجاز»[(١)].

وفي بعض ثالث من الرِّوايات دلالة على أنَّ الجمع قد تمَّ في عهد عثمان بن عَفَّان وذلك لما روى مجاهد.

«إنَّ عثمان أمر أُبي بن كعب يُملي ويكتب زيد بن ثابت ويُعربه سعيد ابن العاص وعبد الرحمان بن الحرث»[(٢)].

هذا كلُّه بالإضافة إلى بعض الأحاديث الدالَّة على أنَّ أوَّل من جمع القرآن هو زيد بن ثابت، فلأجل هذا التضارب والتناقض الموجود في ألسنة هذه الرِّوايات الدالَّة على الجمع لا يمكن الاعتماد عليها[(٣)]. إذن

---

(١) الهندي: علاء الدين، كنز العمال: ج٢، ص٥٧٨ رقم٤٧٦٧

(٢) الخوئي: أبو القاسم ، البيان: ص٢٤٦ لم أعثر على مصدره.

(٣) أما الروايات الَّتي تتحدث عن أمير المؤمنين هو أوَّل من جمع القرآن لم نأتِ على ذكرها هنا لأنَّها خارجة عن محل البحث. لأنّ البحث هنا في القرآن المرتَّب بحسب ما نراه عليه اليوم وجمع أمير المؤمنين ليس كذلك قطعاً كما يستفاد من في بعض الأحاديث.

فالدَّليل الأوّل للسيد الخوئي هو عدم إمكان الاعتماد على الأدلّة الدّالة على الجمع بعد وفاة النبي ﷺ وذلك لتضاربها وتناقضها.

٢) إنَّ هذه الأحاديث الدّالة على أنَّ القرآن قد جمع بعد وفاة النَّبيّ ﷺ معارضة ببعض الأحاديث الآخرى الدّالة على أنَّ الجمع قد تمَّ في زمن النَّبيّ ﷺ وبالتالي لا يمكن الاعتماد على تلك الأحاديث الدّالة على أنّ الجمع قد تمَّ بعد وفاته.

منها: ما رواه الطبراني وابن عساكر عن الشّعبي قال:

«جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار أُبي بن كعب. وزيد بن ثابت. ومعاذ بن جبل. وأبو الدّرداء. وسعد بن عبيد. وأبو زيد. وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث»[1].

ومنها أيضاً ما رواه قتادة قال:

«سألتُ أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النَّبيّ؟ قال أربعة كلُّهم من الأنصار أُبي بن كعب. ومعاذ بن جبل. وزيد بن ثابت. وأبو زيد»[2].

٣) إنّ هذه الأحاديث الدّالة على الجمع بعد وفاة النَّبيّ ﷺ معارضة ببعض الآيات القرآنيَّة. يقول السّيد الخوئي في بيان هذا الدَّليل.

---

(١) كنز العمال: ج٢، ص٥٨٩، حديث٤٧٩٧.

(٢) صحيح البخاري: باب القراء من أصحاب النبي ﷺ: ج٦، ص٣٢١.

«إن هذه الرِّوايات معارضة بالكتاب، فإنَّ كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على أنَّ سور القرآن كانت متميِّزة في الخارج بعضها عن بعض وأنّ السُّور كانت منتشرة بين النَّاس حتّى المشركين وأهل الكتاب، فإنَّ النَّبيّ ﷺ قد تحدَّى الكفَّار والمشركين على الاتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا: أنّ سور القرآن كانت في متناول أيديهم.

وقد أُطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النَّبيّ ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي» وفي هذا دلالة على أنّه كان مكتوبا مجموعاً، لأنَّه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدُّور بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعَسب، والأكتاف، إلا على نحو المجاز. والعناية والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فإن لفظ الكتاب ظاهر فيما لو كان له وجود واحد جمعي ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزَّءاً غير مجتمع، فضلاً عمّا إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط»[١].

٤) مخالفة أحاديث الجمع لحكم العقل الدَّال على وجوب إهتمام النَّبيّ ﷺ بجمع القرآن وضبطه من الضِّياع والإهمال.

٥) مخالفة هذا القول: (أي القول بأنَّ الجمع قد تمَّ بعد عهد النَّبيّ) لإجماع المسلمين الدّال على أن النَّص القرآني متواتر من النفس النَّبيّ ﷺ بمعنى أن جميع المسلمين يعتبرون أن النصّ قد تواتر من نفس النَّبيّ ﷺ

---

(١) البيان: ص٢٥٢.

وهذا لا ينسجم مع الطريقة الّتي اعتمدها القوم بحسب ما أفادت روايات الجمع وذلك لأنّهم كانوا يعتمدون على شهادة رجلين أو رجل واحد في اثبات الآيات وهذا منافي للتواتر كما هو واضح.

٦) إن القول بجمع القرآن بعد وفاة النّبيّ ﷺ يستلزم الوقوع بتحريف بعض النُّصوص زيادة أو نقيصة وهذا مخالف لضرورة الدِّين.

٧) ذهاب البعض إلى أنّ نفس المناسبات الموجودة بين السُّورة السَّابقة واللاحقة لهي خير شاهد ودليل على أنّ الجمع قد تمّ في عهد الرسول ﷺ [(١)].

هذا مجمل الأدلّة الّتي ذكرها السيد الخوئي وغيره في مقام الاستدلال على مطلوبهم ولكن قد أجيب عن جميع هذه الأدلة.

مناقشة أدلّة السّيد الخوئي

مناقشة دليل تضارب الأحاديث

إنّ الأحاديث والرِّوايات ليست متضاربة لأنّه يصح نسبة جمع القرآن الكريم لجميع الأربعة الّذين تقدم ذكرهم وهم زيد وأبو بكر وعمر وعثمان كل باعتبار خاص أمّا الثلاثة الأُولَى فباعتبار أنّ عمر هو من أشار على أبي بكر بجمعه وأبو بكر قد اختار زيد بن ثابت وعليه فيصح نسبة جمع القرآن لأيّ واحد منهم، وهذا مدعوم ببعض الرِّوايات الدّالة على أن عُمر أشار على أبي بكر وأبو بكر اختار زيد للقيام بهذه المهمة كرواية زيد بن ثابت

---

(١) المصدر السابق.

الّتي نقلناها سابقاً فراجع[1] وأما نسبته إلى عثمان فباعتبار أنّه هو أوّل من قام بتوحيد المصاحف كما يشهد بذلك العديد من الرّوايات.

مناقشة دليل تعارض الأحاديث

أمّا حديث الشّعبي وغيره من الأحاديث الدّالة على أنَّ عدة من أصحاب رسول الله قد جمعوا القرآن في عهده فمعناه كما يرى البعض هو الحفظ عن ظاهر القلب، أي أنَّ هؤلاءِ الصحابة قد حفظوه عن ظاهر قلب بحفظ جميع آياته وسوره ولو من دون نظمٍ وترتيب لأنّ جمع القرآن يصدق حتى مع حفظه في الصّدر ولو من دون ترتيب.

مناقشة دليل مُعارضة الروايات لبعض الآيات

إنَّ التحدّي هو بنفس الآيات والسّور لا بالترتيب حتى يتأتى هذا الكلام أضف إلى ذلك أنَّ التحدي قد وقع ببعض السّور المكيَّة قبل الهجرة إلى المدينة يعني قبل جمع القرآن لأنّ القرآن لم يكن مجموعاً قطعاً قبل الهجرة إلى المدينة، هذا مضافاً لجواز إطلاق لفظ الكتاب على ما هو محفوظ بالصّدور أو مكتوب على العَسب وغيره إذ إنّنا نشعر بالوجودان أنّه يجوز لنا أن نقول لحافظ القرآن، هذا حافظ لكتاب الله، بل الذي لم يحفظ كلَّ القرآن والذي لم يكتب كلَّ القرآن في استدلاله بل استدلّ بآية واحدةٍ نطلق عليه أنّه استدلّ بكتاب الله من دون أيٍّ تجوّز.

---

(١) راجع ص ٢٧٠ .

مناقشة دليل حكم العقل

إنَّ اهتمام النَّبيِّ ﷺ بشأن القرآن كان منصبًّاً على ترتيب وتنظيم الآيات ضمن سورها وقد حصل ذلك حال حياته لا أنَّ اهتمامه كان منصبًّاً على ترتيب السّور بهذا الشّكل الذي نراه اليوم، وخير شاهد على ما نقوله هو نفس الحديث الذي نقلناه عن تفسير القمّي سابقاً. والذي جاء فيه:

«يا علي: القرآن خلف فراشي... فخذوه وجمعوه ولا تضيعوه»[1].

مناقشة دليل مخالفة الإجماع

يقول صاحب التمهيد في مقام ردِّ هذا الدّليل.

«ومعنى تواتر النّص القرآني هو القطع بكونه قرآناً الأمر الذي كان يحصل بأخبار جماعة وشهادة أخرين بأنه قرآن ولا سيَّما من الصحابة الأوّلين. الأمرُ الذي كان قد إلتزمه زيد في الجمع الأوّل كما يأتي وليس التواتر هنا بمعناه المصطلح عند المتأخرين»[2].

مناقشة دليل استلزام وقوع التحريف

أمّا دعوة أن الجمع المتأخِّر عن زمن صاحب الرِّسالة يستلزم الوقوع بالتحريف فإنَّ هذا مجرد دعوة لا دليل عليها إذ مَن قال أن الجمع المتأخِّر يؤدِّي إلى حصول التحريف، نعم دعوة التدوين المتأخِّر من دون إشراف

---

(١) تفسير القمي: ج٢، ص٤٥١.

(٢) التمهيد في علوم القرآن: ج١، ص٢٨٦.

صاحب الرِّسالة يتأتى فيه هذا الاحتمال لا أنه يقع جزماً، ولكنّ دعوة الجمع ليست كذلك.

مناقشة دليل المناسبات الموجودة بين السُّور

إنّ دليل مناسبة السُّورة السّابقة للاحقتها كذلك لا يمكن الاعتماد عليه لأنّه لا مستند له سوى آراء بعض المفسّرين الّذين تحدثوا عن تلك المناسبات وكما هو واضح فإن هذه المناسبات مستنبطة.

وبهذا يتضح لنا أنّ جميع الأدلّة الّتي سيقت لإثبات جمع القرآن الكريم في عهد النّبيّ ﷺ لم تثبت أمام النقد العلمي وعليه فلا بأس بالاعتماد على ما ذكره المشهور من أنّ جمع القرآن الكريم كما نراه اليوم قد تمّ بعد وفاة النّبيّ ﷺ[١] وأمّا مَن هو أوّل من قام بجمع القرآن فهذا مورد خلاف بين المسلمين فالشّيعة يعتقدون أن أوّل من جمع القرآن هو إمام الموحدين علي بن أبي طالب ولكنّ القوم ردُّوا عليه جمعه لأغراض سياسيَّة وأمّا أهل السّنّة فيعتقدون أنّ أوّل من جمع القرآن هو أبو بكر بأمره لزيد بن ثابت مع أنّهم يشيرون في بعض مروياتهم أن أمير المؤمنين لم يرتدِ رداءه حتى جمع القرآن وأن القوم ردوا عليه قرآنه[٢] .

---

(١) طبعاً لا يخفى عليك ما في هذا الاستدلال من نقص؛ وذلك لأنّه مجرَّد عدم ثبوت الأدلّة الدالّة على جمع القرآن في زمن النبي أمام النقد العلمي لا تثبت لنا أنّ التأليف قد حصل بعد وفاة النبي وجميع الروايات الدّالة على أنّ الجمع قد تمّ بعد وفاة النبي ﷺ ساقطة بمعارضتها للروايات الدالّة على أنّ الجمع قد تمّ في زمن النبي كما ادعى السّيّد الخوئي.

(٢) وقد بيّنا الرجه في ذلك مسبقاً وأنّ نظر أهل السّنة إلى خصوص القرآن المدوّن بالشكل الذي نراه عليه اليوم ولذا أخرجنا جمع أمير المؤمنين سابقاً عن محلّ البحث.

٢) توحيد المصاحف

بعد أن اتضح لنا أنّ تدوين القرآن الكريم قد تمَّ في عهد النَّبيّ وإشرافه ﷺ وأنّ جمعه وتأليفه قد تمَّ بعد وفاته نصل لبيان الدَّور المهم الذي قام به عثمان بن عفّان بتوحيد المصاحف حيث إنَّ المسلمين قبل قيام عثمان بذلك كانوا يقرؤون القرآن بمصاحف مختلفة قد ألَّفها الصحابة ممَّا استدعى في بعض الأحيان الاختلاف في قراءة بعض الآيات واللّحن في بعضها. حينها ولأجل رفع هذا الاختلاف والتشرذم الذي قد يؤدِّي في بعض الأحيان للاختلاف بالمعنى أو الاخلال به قام عثمان بخطوة مهمة في سبيل جمع كلمة المسلمين على مصحف واحد وقراءة واحدة بعد أن أشار إليه في ذلك حذيفة بن اليمان فجمع صحابة رسول الله واستشارهم في الأمر وهو في المدينة فما كان جوابهم إلا الاتفاق على ضرورة القيام بهذا العمل مهما كلّف الأمر قال ابن أثير:

«فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر فأعطوه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة»(١)

فبعث في الاقطار وأتى بالعديد من الـنُّسخ الّتي كانت معتمدة أنذاك في الاقطار الإسلاميَّة كمصحف عبد الله بن مسعود الذي كان معتمداً عند أهل الكوفة ومصحف أبي موسى الاشعري الذي إعتمده أهل البصرة في قرأتهم ومصحف أبي بن كعب الذي إعتمده أهل الشّام ومصحف المقداد بن الأسود الذي اعتمده أهل دمشق وقد أورد صاحب كتاب الكامل في

---

(١) ابن الأثير الجزري: علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٨.

التاريخ[١] أنّ أهل حمص كانوا على قراءة المقداد بن الأسود كذلك وكل هؤلاء كانوا من صحابة رسول الله وقد قاموا بتأليف القرآن وجمعه بعد وفاة النَّبيّ ﷺ ولكنَّ أَمَدَ جميع هذه المصاحف كان قصيراً حيث انتهى تمزيقاً وحرقاً في عهد عثمان عندما أمر هو بذلك بعد أن تمَّ توحيد المصاحف على يد اللُجنة الّتي ألّفها عثمان والتي كانت تضمُ كبار القُرّاء والكُتّاب المعروفين أنذاك أمثال أُبي بن كعب الذي كان رئيساً لتلك اللُجنة حينما استعان عثمان به والذي ورد على لسان صادق أل محمد عليه السلام أنّنا نقرأ بقرأته.

«عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن داود بن فرقد والمعلّى بن خنيس جميعاً قالا كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال ثم قال: أمّا نحن فنقرؤه على قراءة أُبي»[٢]

أي على قراءة أُبي بن كعب الذي ضمَّته تلك اللُجنة وأمثاله كمالك بن أبي عامر وكثير بن أفلج. وأنس بن مالك. وعبد الله بن عباس. ومصعب بن سعد وغيرهم[٣].

ثم بعد أن قامت تلك اللُجنة بتوحيد المصاحف بعث عثمان لحفصة

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشّيعة: الباب ٤٧ وجوب القراءة في الصلاة بالقراءات السبعة: ج٦، ص١٣٦.

(٣) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ج٧، ص٤٤٩، والمصاحف للسجستاني: ص٢٥ و٣٣.

بنت عمر بن الخطّاب طالباً منها النُسخة الأصليَّة الّتي أخذتها من أبيها عمر الذي أخذها من أبي بكر كي يُقابل عليها فأبت دفعها إليه إلاً بعد أن تعهد لها بإرجاعها فأخذها وقابلها مع المصحف الموَّحد ثم أرجعها إليها فبقيت عندها حتى ماتت، لكن وللأسف الشّديد أمر مروان ابن الحكم بتمزيقها في عهده.

ثم بعد أن قام عثمان بمقابلة المصحف الموَّحد مع تلك النُّسخة أمر بنسخ العديد من ذلك المصحف الموَّحد، وإرساله إلى الأمصار الإسلاميَّة ومن هنا فقد وقع الخلاف في عدد تلك المصاحف المرسلة، فبعضهم ذهب إلى القول بأنَّ تلك المصاحف كان عددها سبعة قد أرسلها عثمان حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزيَّة الخاصة آنذاك كمكَّة والشّام والبصرة والبحرين واليمن والكوفة والبعض الآخر ذهب إلى القول بأن عدد المصاحف العثمانيَّة المرسلة إلى الأمصار كان تسعة بإضافة مصر والجزيرة إلى الأمصار السّتة السّابقة مع الاحتفاظ بنسخة الأُم أو الإمام في المدينة المنَّورة.

وبما أنّ عثمان قد تسلَّط على منصب الخلافة سنة ٢٣ هجري الموافق لسنة ٦٤٦ ميلادي أو سنة ٣٥ هجري الموافق لسنة ٦٥٩ ميلادي فيكون توحيد المصحف قد وقع بين سنة ٦٤٦م وسنة ٦٥٨م بناءاً على الأول أو بين سنة ٦٥٩م وبين سنة ٦٧١ على الثاني حسب الترتيب الميلادي وذلك لأنّ مدةَ عهده كانت ١٢سنة.

٣) ترتيب المصحف

إنَّ المصاحف الّتي دونت من قبل أصحاب رسول الله كانت متقاربة إلى حدٍّ كبير من حيث الترتيب والتنظيم وذلك بتقديم السُّوَر الطِوال على

القصار ولكن مع اختلافٍ بسيط في التقديم والتأخير بينها كما وأنَّ المصحفَ المُوحَّد الذي قامَ بجمعه عثمان والذي نراه اليوم هو قريب جداً من مصاحف الصحابة الّتي أتلفت بعد التوحيد من ناحية الترتيب.

٤) التنقيط والتشكيل

كانت المصاحف السبعة أو التسعة الّتي بعث بها عثمان إلى الأمصار الإسلاميَّة أنذاك خالية من التنقيط والتشكيل بل ومن كُلِّ علامة يُمَيِّزُ بها بين الحرف المعجَّم الذي يوجد تحته أو فوقه نقاط وبين الحرف المُهمل الذي لا يوجد تحته ولا فوقه شيء ومن هنا كان النَّاظر إلى كتابة القرآن الكريم أو غيرها لا يستطيع أن يُمَيِّز بين حرف الحاء والخاء والجيم ولا بين الفاء والقاف ولا بين الياء والألف المقصورة ولا بين النون والتاء بنظره فحسب وإنما هذا التميز كان يتم من خلال ما يظهر للقارئ من قرائن ومعطيات ومن هنا كانت قراءة القرآن في الصَّدر الأوّل من الإسلام موقوفة على مجرَّد السُّماع والنقل فحسب ولولاه لكانت القراءة في نفس المصحف ممتنعة تقريباً كما يرى البعض حيث يقول:

«ومن ثَمَّ كانت قراءة القرآن في الصَّدر الأوَّل موقوفة على مجرَّد السُّماع والنقل فحسب ولولا الاسماع والإقراء كانت القراءة في نفس المصحف الشّريف ممتنعة تقريباً»[١].

والسّبب في ذلك أنَّ الخط الذي اقتبسه العرب من السّريان والأقباط كان خالياً من التنقيط ولا يزال إلى يومنا هذا كذلك، ومن هنا جرى العرب

---

(١) التمهيد في علوم القرآن: ج١، ص٣٥٧.

في تقليد هذا الخط من دون تنقيط ولكن هذا النمط من الكتابة أدّى في بعض الأحيان للوقوع في اللّحن بالنسبة لبعض الألفاظ والتصحيف بالنسبة لبعض آخر من الألفاظ خصوصاً من قبل غير العرب الّذين كانوا جديدي العهد بالإسلام وباللغة العربيَّة فهال هذا المشهد المسلمين فقاموا بتنقيط المصحف الشّريف تلافياً للَّحن والتصحيف وأول من قام بذلك هو يحيى بن يَعْمُر ونصر بن عاصم اللّذَين تتلمذا على يد صاحب أمير المؤمنين أبو الأسود الدّؤلي مع أن العرب كانوا جديدي العهد بالتنقيط حيث إنَّهم قد تعرفوا على التنقيط وهم في عهد عبد الملك بن مروان الذي حكم من سنة ٧٥- ٨٦هـ الموافق بحسب ترتيب الميلادي من سنة ٦٩٩ إلى سنة ٧١٠م تقريباً وهذا معناه أنَّ تنقيط القرآن قد وقع في الفترة الممتدة بين سنة ٦٩٩م وسنة ٧١٠ ملاديَّة.

وأمّا تشكيل القرآن بوضع علامات بناء الكلمة وإعرابها فقد تمَّ في بداياته على يد نصر بن عاصم أيضاً ولكنَّ هذه الحركات من الفتح والكسر والضمّ لم تكن على هذه الشّاكلة الّتي نراها اليوم بل كانت عبارة عن نقاط أخرى توضع بلون آخر عادة يُغاير لون الكتابة القرآنيَّة وذلك تميزاً لها عن النقاط الّتي هي لبيان المعجم من المُهمل ومن هنا كانت علامات الأحرف هكذا، في حال كون الحرف مفتوحاً توضع نقطة على أوّل الحرف من أعلاه وفي حال كونه مضموماً توضع النقطة في وسطه وفي حال كونه مكسوراً توضع النُقطة في أوَل الحرف ولكن من أسفله لا من أعلاه، فقد قال أبو الأسود الدُّؤلي للكاتب على ما ينقل.

«إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فأنقط نقطةً فوقه من أعلاه وإذا ضممتُ فمي فأنقط نقطةً بين يدي الحرف وإن كسرتُ فاجعل النُّقطة من تحت الحرف».

وأمّا حركات الأحرف بهذا الشّكل الذي نراه اليوم فقد تمَّ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول جلال الدِّين السّيوطي:

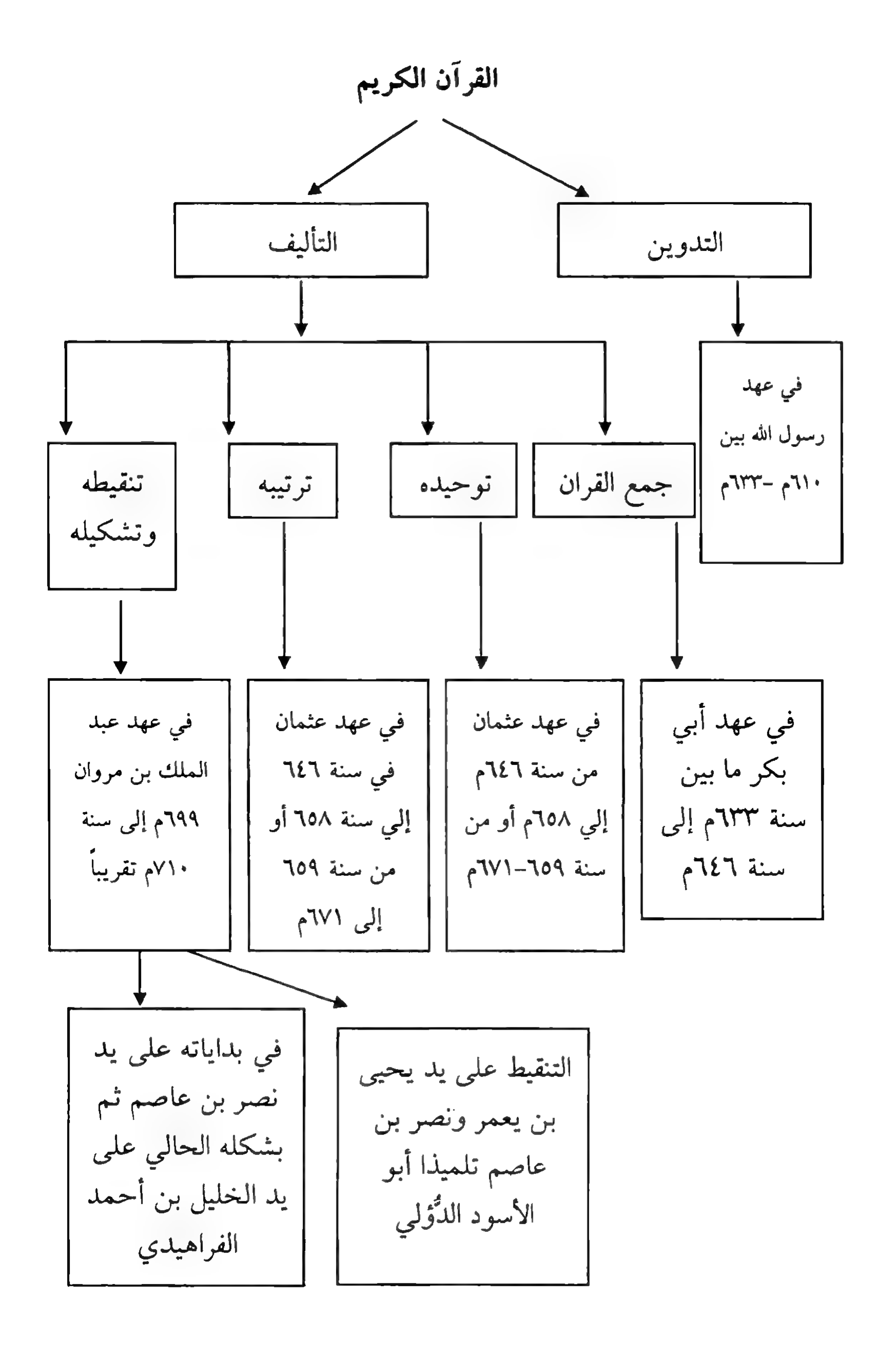
«كان الشّكل في الصّدر الأوَّل نقطاً فالفتحة نقطة على أوَّل الحرف والضمّة على آخره والكسرة تحت أوّله وعليه مشى الدّاني[1] والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذي أخرجه الخليل بن أحمد الفراهيدي فالفتحُ شكلةٌ مستطيلة فوق الحرف والكسرُ كذلك تحته والضم واو صغيرة فوقه والتنوين زيادة مثلها ... قال وأوَّل من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام الخليل أيضاً»[2].

وبهذا نكون قد أنهينا الكلام عن تدوين القرآن وتأليفه مع الأدوار المهمَّة الّتي مرَّ بها حتى وصل إلى شكله النّهائي الذي نراه فيه اليوم.

---

(١) أي: مشى عليه في كتابه وهو كتاب النقط لأبي عمرو الدّاني: ص١٣٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ج٢، ص١٧١.



القرآن الكريم
التأليف
التدوين
في عهد رسول الله بين ٦١٠م -٦٣٣م
تنقيطه وتشكيله
ترتيبه
توحيده
جمع القران
في عهد عبد الملك بن مروان ٦٩٩م إلى سنة ٧١٠م تقريباً
في عهد عثمان في سنة ٦٤٦ إلي سنة ٦٥٨ أو من سنة ٦٥٩ إلى ٦٧١م
في عهد عثمان من سنة ٦٤٦م إلي ٦٥٨م أو من سنة ٦٥٩-٦٧١م
في عهد أبي بكر ما بين سنة ٦٣٣م إلى سنة ٦٤٦م
في بداياته على يد نصر بن عاصم ثم بشكله الحالي على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي
التنقيط على يد يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذا أبو الأسود الدُّؤلي

تدوين الكتاب المقدَّس

تمهيد:

من المعلوم أنَّ الكتاب المقدَّس يتألَّف من عهدين القديم والجديد.

والعهد القديم هو عبارة عن تلك الأسفار الَّتي تشكل الكتاب المقدَّس من أوَّله إلى ما قبل الأناجيل المقدَّسة الَّتي تشكل بدورها أوائل العهد الجديد وكلٌ عهد من هذين قد مرَّ بفترة تدوينيَّة تغاير الأخرى ومن هنا سنعقد البحث في تدوين الكتاب المقدَّس على مرحلتين:

المرحلة الأولى: تدوين العهد القديم والأدوار الَّتي مر بها.

المرحلة الثانية: تدوين العهد الجديد.

تقسيمات العهد القديم

قبل الدُّخول في بيان الأدوار التدوينيَّة الَّتي مرَّت بها أسفار العهد القديم لابدَّ من الإشارة إلى مسألة في غاية الأهميَّة تتعلَّق بتقسيم الكتاب المقدَّس إذ إنَّ هناك تقسيمان للعهد القديم، وهما التقسيم اليهودي والتَّقسيم الكاثوليكي.

١) التقسيم اليهودي للعهد القديم.

درج اليهود منذ القديم على تقسيم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام وهي كتب الشَّريعة أو التَّوراة وكتب الأنبياء والكتابات.

القسم الأول: كتب الشّريعة أو التَّوراة

وهي عبارة عن كتب موسى الخمسة بحسب زعمهم أي: التكوين ـ والخروج ـ والأخبار[١] ـ والعدد ـ وتثنية الإشتراع.

القسم الثاني: كتب الأنبياء.

وهذه الكُتب على نحوين:

النَّحو الأوّل: الكتب المنسوبة إلى الأنبياء الأوَّلين. وهي: يشوع، والقضاة، وصموئيل، والملوك، وكلٌ واحد من هذين الأخرين فيه أوَّل وثاني.

النحو الثاني: الكتب المنسوبة إلى الأنبياء الآخرين مثل: أشعيا، وأرميا، وحزقيال وكذا المنسوبة إلى الأنبياء الصِّغار الإثني عشر بحسب تعبيرهم وهم هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعُوبَدْيا، ويونان، وميخا، ونحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجِّي، وزكريا، وملاخي.

القسم الثالث: الكتابات الأخرى.

وهذه الكتابات على ثلاثة أنحاء:

أ)- الكتابات الكبرى: سفر المزامير، والأمثال، وأيوب.

ب)- سفر نشيد الأناشيد، وراعوث، والمراثي، الجامعه، واستير.

ج)- دانيال، وعزرا، ونحميا، وسفر الأخبار الأوّل والثاني.

---

(١) السِفر الثالث بحسب الكتاب المقدَّس الموجود بين يديّ يسمّى بسِفر اللاويين.

٢) التقسيم الكاثوليكي للعهد القديم

قامت الكنيسة الكاثوليكيَّة في القرن الثالث عشر بعد الميلاد بتقسيم جديد للعهد القديم يغاير إلى حدٍّ ما التقسيم السَّابق الذي اعتمده اليهود حيث قسَّمت الكنيسة الكاثوليكيَّة العهد القديم إلي أربعه أقسام، وهي: كتب الشّريعة، وكتب التاريخ، وكتب الحكمة أو التعليميَّة وكتب الأنبياء أو الكتب النَّبويَّة.

القسم الأول : كتب الشّريعة

وهي نفس الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام بحسب التَّقسيم اليهودي الذي مرَّ أي التَّوراة ابتداءاً بسفر التَّكوين وانتهاءاً بسفر تثنية الإشتراع حسب الترتيب السّابق .

القسم الثاني: كتب التاريخ

وهذه الكتب عبارة عن ستة عشر كتاباً، كالتّالي: يشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل ١-٢، والملوك ١-٢، والأخبار ١-٢، وعزرا، ونحميا، وطوبيا، ويهوديت، وأستير، والمكابيين ١-٢.

وكما هو واضح فإن جزءاً من هذه الكتب يدخل تحت كتب الأنبياء حسب التقسيم اليهودي فإن بعض الكتب مثل: يشوع والقضاة وصموئيل ١-٢ قد أدرجها اليهود تحت قسم الأنبياء بينما على هذا التقسيم قد أدرجت تحت قسم التاريخ وكتب التاريخ.

القسم الثالث: كتب الحكمة أو الكُتب التعليميَّة

وهذه الكتب عبارة عن الاسفار التالية: أيوب، والمزامير، والامثال١-٢، والجامعة، ونشيد الأناشيد، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، فيكون مجموعها ثمانية أسفار.

وكما نرى فإن بعضاً من هذه الكتب الّتي ذكرها الكاثوليك هنا قد أدرجها اليهود تحت قسم الكتابات بحسب تقسيمهم كما وأنّه توجد بعض الكتب هنا لا تندرج تحت قسم الكتابات عند اليهود كما وأنّه يوجد بعض الكتب الّتي أدرجها اليهود هناك في قسم الكتابات لا تندرج هنا في كتب الحكمة عند الكاثوليك.

فمثلاً سفر المزامير، والأمثال ١-٢ وأيوب، والجامعة، ونشيد الأناشيد، جميعها تندرج تحت قسم الكتابات عند اليهود أي في القسم الثالث وأمّا كتابي الحكمة، ويشوع بن سيراخ فلا يندرجان تحت قسم الكتابات عند اليهود كما وأنّه قد أدرج اليهود تحت قسم الكتابات أسفار: راعوث، والمراثي، واستير، ودانيال، وعزرا، ونحميا، وسفري الأخبار الأوّل والثاني، مع أنّها لم تدرج هنا .

القسم الرَّابع: كتب الأنبياء.

وقد جعل هؤلاء كذلك هذا القسم على نحوين ولكن بشكل مختلف بمعنى أنّه قد جعل الكاثوليك كتب الأنبياء على نحوين أيضاً.

النحو الأوَّل: كتب الأنبياء الكبار

وهم اشعيا، وارميا، والمراثي، وباروك، وحزقيال، ودانيال.

النحو الثاني: كتب الأنبياء الصغار

وهم الأنبياء الإثني عشر الّذين قد مرَّ ذكرهم تحت القسم الثالث المسمَّى بكتب الأنبياء في التقسم اليهودي من هوشع ... إلى ملاخي .

وعليه فإنَّ جميع الكتب الّتي ذكرها الكاثوليك هنا تندرج أيضا تحت القسم الثالث حسب التقسيم اليهودي (أي كتب الأنبياء) عدا ثلاثة منها

وهي المراثي، ودانيال، حيث أدرجها اليهود تحت قسم الكتابات وباروك الذي لم يرد ذكره أصلاً في التقسيم اليهودي .

ومن خلال ذكر هذين التّقسيمين بهذا التفصيل يتضح لنا بأنّ هناك بعض الأسفار الموجودة في التقسيم الكاثوليكي لاحَظٌ لوجودها في التقسيم اليهودي أصلاً فمثلاً أسفار طوبيا، ويهوديت، والمكابيين ١-٢، وباروك، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، لم يرد لها أيٌ ذكر في التقسيم اليهودي كما مر معنا .

كما وأنّ هناك بعض الأسفار الموجودة في الكتاب المقدّس العبري أي العهد القديم بحسب تقسيمهم ولكن بشكل جزئي غير تام [١] .

تدوين العهد القديم

ممّا لاشك فيه عند الباحثين أنّ تدوين العهد القديم قد بقي على امتداد عصور وقرون طوال قد تجاوزت الألف عام على الأرجح، وإن كان هناك اختلاف كبير في زمن ابتداء التدوين فبعضهم يرى أنّ بدايته كانت في القرن التاسع قبل الميلاد، والبعض الآخر يرى أنّ بدايته كانت في القرن الخامس ق.م باعتبار أنّ أوّل الكتب الّتي دوِّنت هي الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى أي التّوراة، ولكنّ الموجودَ في كتبهم هو أنّ زمن تدوين العهد القديم قد استمر حوالي ١٣٠٠عام إبتداءاً من القرن الثالث عشر ق.م وإنتهاءاً بأواخر القرن الأوّل ق.م ولكن قبل الدُّخول في بيان فترات التدوين بشكلٍ مفصّل لابدّ من التنبيه على أمرين يساعدانًا في هذا البحث

---

(١) راجع كتاب مدخل إلى الحقائق الإيمان المسيحي : ص ٧٩.

وضبطه لأنّهما بمنزلة الخلاصة لـه.

أ)- إنّا تعرضناً سابقاً لتقسيم العهد القديم على كلا المبنيين اليهودي والكاثوليكي واتضح لنا من خلال ما ذكرنا أنّ العناوين الّتي يدور حولها تقسيم العهد القديم هي أربعة: كتب الشّريعة، وكتب التاريخ، وكتب الأنبياء، وكتب الحكمة .

أمّا كتب الشّريعة والتاريخ فكانت بداية تدوينها من القرن الثالث عشر ق.م وانتهاؤها في القرن الأوّل ق.م .

وأمّا كتب الأنبياء فكان إبتداء تدوينها من القرن الثامن ق.م وانتهاؤها في القرن الثاني ق.م.

وأمّا كتب الحكمة فكانت بداية تدوينها من أواخر القرن الحادي عشر ق.م وانتهاؤها في القرن الأول ق.م.

ب)- إن للأحداث التاريخيّة الّتي تعرّض لها الشّعب اليهودي من إنقسام وحروب وسبي إلى بابل وعودٍ منها التأثيرَ الكبيرَ على مسار حركة التدوين وتاريخها كما سيتضح لنا فيما بعد ومن هنا سوف نبدأ ببيان الفترة الّتي دُوِّنَ فيها كل قسمٍ من هذه الأقسام الأربعة على حدة.

تدوين الأسفار الخمسة (أي التّوراة)

يرى بعض الباحثين أنّ الأسفار الخمسة قد تمّ تدوينها في الفترة الواقعة من القرن التاسع ق.م إلى القرن الرّابع ق.م.

حيث ذهب إلى القول بأنّ معظم سِفري التكوين والخروج قد أُلفا حوالي القرن التاسع ق.م وأمّا سِفر التثنيه فقد أُلِّفَ في أواخر القرن السّابع ق.م وأمّا سفرا العدد واللاويين فقد ألفا في القرن الخامس والرّابع ق.م أي

بعد النفي البابلي الذي تمَّ فيه جلاء بني إسرائيل إلى بابل سنه ٥٨٧[(١)] ق.م أي في أواخر القرن السّادس ق.م.

ويرى أحد الباحثين الغربيين[(٢)] أنّ الأسفار المقدَّسة الخمسة بأكملها قد دونت في القرن الخامس ق.م سنة ٤٤٤ على يد كاهن يدعي عزرا ورفاقه من اللاويين وذهب ثالث إلى القول بأنّ فترة تدوين الأسفار الخمسة قد استمرت أكثر من ألف عام حيث قال بعد استعراضه لعدة مقدمات:

«وبهذا تكون كتابة الأسفار الخمسة ومنها اللاويين قد استمرت نحواً من ١٠٤٧ عاماً»[(٣)]

وأمّا الأب صلاح أبو جوده اليسوعي فإنه يرى بأنَّ زمن تدوين الأسفار الخمسة قد بداء في القرن الثالث عشر ق.م راداً تاريخ تلك الأسفار إلى بدء التاريخ المقدَّس الذي ابتداء بإبراهيم عليه السلام في القرن التاسع عشر ق.م وذلك لأن التقاليد الّتي حكيت حول الآباء وأجداد الشّعب اليهودي من إسحاق ويعقوب وبنيه والتي تشكل أساس العهد القديم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنّبيّ إبراهيم عليه السلام ولكنَّ ظهور موسى في القرن الثالث عشر ق.م كقائد للشعب اليهودي وحامل للرسالة الإلهيَّة (أي التَّوراة) كان له الأثر الكبير، ولذا فإنّنا نرى أنَّ تلك الكتب تحمل علامات موسى عليه السلام لأنّه كان يتمتع بزخم ديني كبير حيث قال:

---

(١) وافىً : الدكتور: علي عبد الواحد ،الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام :ص ١٧.

(٢) ديورانت: وِل ، قصة الحضارة :ج٢ ، ص:٣٩١.

(٣) الإسلام واليهوديَّة ص:٣٢.

«استمرت عمليَّة تدوين أسفار العهد القديم قروناً طوال وتاريخها يعود بنا إلى بدء التاريخ المقدَّس حين دعا الله إبراهيم إبَّان القرن التاسع عشر قبل المسيح وجميع التقاليد الّتي حكيت حول الآباء أو أجداد الشّعب اليهودي من إسحاق ويعقوب وبنيه والتي هي أساس العهد القديم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإبراهيم رجل المواعد الإلهيَّة ونسله غير أنّ موسى القائد والمشرِّع هو من أتى شعبه في القرن الثالث عشر بزخم ديني كبير وسلَّم العناصر الّتي ارتكزت عليها الدِّيانة اليهوديَّة أي كُتب الشّريعة.

ثم أضاف وقال:

لا شكَّ في أن تلك الكتب تحمل علامات موسى ولكنّ الأسفار كما نعرفها اليوم لم تتخذ شكلها النهائي إلاّ في القرن الخامس قبل المسيح»[١].

وهذا يمكن جمعه مع كلام الباحث الغربي وِل ديوارَنت وذلك بحملِ كلام الأخير على الأسفار الخمسة بشكلها النهائي، أي أن مقصوده أن الأسفار الخمسة قد أخذت شكلها النهائي في القرن الخامس سنة ٤٤٤ق.م.

ومن خلال ذكرنا لهذه الأقوال يتضح لنا أنَّ زمن إنتهاء تدوين خصوص الأسفار الخمسة كان متقارباً على جميع الأقوال ـ عدا ما ذهب إليه صاحب كتاب الإسلام واليهوديَّة الذي ذكر أن تلك الفترة استمرت

---

(١) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي:ص٨١.

أكثر من ألف عام وذلك لأنَّ فترة الانتهاء من التدوين كانت بين النصف الأخير من القرن الخامس ق.م وأوائل القرن الرابع ق.م وإن كان هناك اختلاف كبير في زمن الابتداء وذلك لأنَّ الرأي الأوّل يرى البداية من القرن التاسع ق.م والثاني يراها من القرن الخامس ق.م سنة ٤٤٤ والرأي الثالث يراها من القرن الثالث عشر ق.م.

تدوين الأسفار الباقية (أي غير التَّوراة).

إنَّ الأسفار الباقية غير التَّوراة قد أخذ تدوينها مدة زمنيَّة كبيرة عَبْرَ التاريخ امتدت حوالي أحد عشر قرناً كان في بعض حقباتها يحصل ظهور تام لسفرٍ أو لأسفارٍ كاملة وفي البعض الآخر كان يحصل ظهور جزئي لبعض الإصحاحات من سفرٍ معين أو من عدَّة أسفار وفي البعض الثالث كان يحصل ظهور لمجرَّد نواة لسفرٍ من الأسفار كما حصل مع سِفر المزامير الذي ظهرت نواتُه في عصر النَّبيّ داود عليه السلام وعلى هذا الأساس فلابدَّ من دراسة تلك الحقبات التاريخيَّة وما حصل فيها من أحداث وحروب وغيرها والتي كانت بمثابة الأسباب والدوافع لتدوين العديد من الأسفار كي نقف على الفترة الزمنيَّة الّتي تألّفت فيها بعض الأسفار أو بعض أجزائها وإصحاحاتها أو نواتها وهذه الحقبات التاريخيَّة الّتي سنقوم بدراستها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل تاريخيَّة.

الحقبة الأولى: وهي الممتدَّة من أواسط القرن الحادي عشر ق.م إلى ما قبل الاحتلال الآشوري وسقوط إسرائيل في أواخر القرن الثامن ق.م.

الحقبة الثانية: وهي الممتدَّة من زمن الاحتلال الآشوري في أواخر القرن الثامن ق.م إلى زمن العود من الجلاء البابلي في أواخر القرن السّادس ق.م.

الحقبة الثالثة: وهي الممتدَّة من زمن العود من الجلاء البابلي في أواخر القرن السّادس سنة ٥٣٨ ق.م إلى ميلاد السَّيد المسيح عليه السلام.

أ) الحقبة الأولى وأحداثها

ففي أواسط القرن الحادي عشر ق.م حسب ما ترويه كتب السِّيَر والتاريخ أنهى الهجوم الفلسطيني الإتحادَ الذي كان قائماً بين أسباط اسرائيل الاثني عشر وهو اتحاد لم يعتمد نظام المَلكيَّة بل اتبع نظام القضاة وحكمهم الذي بدأ بعد وفاة يَشوع خليفة موسى حوالي ١٢٠٠ ق.م واستمر حوالي ١٨٠ عاماً، وكان أخرهم صموئيل وعلى إثر الهزيمة الّتي تعرَّض لها اتحاد أسباط اسرائيل الإثني عشر تولَّدت الحاجة إلى إقامه نظام جديد يغاير حكم القضاة وهو النظام المَلكي الذي بدأ في عهد شاؤل حوالي سنة ١٠١٨ ق.م وبلغ ذروته مع خليفته داود الذي حكم بدوره حوالي ٤٠ عاماً من سنة ١٠١٠ ق.م إلي سنة٩٧٠ ق.م ثم تولى من بعده ابنه سليمان الذي حكم أيضاً حوالي أربعين سنة[١] من عام ٩٧٠ ق.م إلي عام ٩٣١ ق.م.

وفي ظلِّ قيام هذا النظام الجديد والمملكة المستحدثة جديداً كان لابدَّ من الإستعانة ببعض الأفراد القادرين الّذين يستطيعون الإمساك بزمام الأمور والقيام بكلٍّ ما تحتاج إليه المملكة الجديدة من أمور إداريَّة، واقتصادية، وغيرها ومن هنا نشأت فرقة من الكتبة وقامت بتدوين تاريخ المملكة وأحداث الشّؤون العامة الّتي تقع فيها.

---

(١) مروج الذهب: ج١، ص١٦ وذكر أيضاً أنّه قد وافته المنيّة وهو ابن اثنين وخمسين سنة.

وفي تلك الفترة الّتي تولىً فيها داود الحكم بعد شاؤل تشكّلت النواة الأولى لسِفر المزامير على يده وذلك لأنَّ داود كما ينقل عنه كان شاعراً وهو من قام بوضع النواة الأولى لسفر المزامير الحالي الموجود بين أيدينا الآن ومن هنا ينسب سِفر المزامير إليه[1].

ثم بعد أن تولّى من بعده سليمان الحكمَ عرفت تلك المملكة هدوءاً مميزاً واستقراراً سياسياً ملحوظاً فبرز في تلك الفترة أحد الكُتّاب المُلهمين وقام بتدوين تاريخ داود الملك فكتب الإصحاحات من ٩-٢٠ من سفر صموئيل الثاني والاصحاح الأوّل والثاني من سفر الملوك الأول وقد عُدَّ ما قام به هذا الكاتب من الروائع الأدبيّة المميّزة.

هذا وقد أبدا سليمان أيضا اهتماماً بالغاً ودفعاً قوياً للأسفار الحكميَّة ومن هنا فإنَّ تلك الأسفار وكتب الحكمة تنسب الى سليمان لأنَّه هو من أعطاها الدَّفعة الأولى وهيَّأ الأجواء الملائمة والمناسبة لظهور الأدب الحكمي ونضوجه.

ما بعد حكم سليمان

بعد موت سليمان تعاقبت على تلك المملكة الجديدة أحداث عديدة أدَّت في نهاية المطاف إلى إنتهاء الوحدة السياسيَّة الّتي أسَّسها داود وحينها انقسمت المملكة إلى مملكتين إحداهما مملكة اسرائيل والثانية مملكة يهوذا وعلى إثر هذا الإنقسام السياسي حصل إنقسام ديني أيضاً بينهما بقيت فيه مملكة يهوذا محافظةً على تقاليدها الدينية الأصيلة الّتي كانت

---

(١) راجع كتاب مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٨٣.

موجودة في زمن داود وسليمان بخلاف مملكة اسرائيل فقد دخلت عليها العديد من التقاليد والعقائد الوثنيَّة. وفي القرن التَّاسع ق.م .ظهر في مملكة اسرائيل النَّبيّان إيليّا واليشاع اللّذان قاما بدورهما في الدِّفاع عن التوحيد وحقائق الإيمان الصحيح على أكمل وجه ولكنهما لم يقوما بكتابة شيء بأيديهما ولكن تمَّ في زمانهما تدوين الإصحاحات من ٢-١٧ من سفر الملوك الأوّل والتي تتحدث عن النَّبيّ إيليًا وكذا الإصحاحات من ٢-١٣ من سفر الملوك الثاني والتي تتحدث عن النَّبيّ أليشاع.

ثم بعد ذلك وفي ظلِّ عهد ياربُعام الثاني الذي حكم ما بين سنة ٧٨٣ ق.م إلى سنة ٧٤٣ ق.م أي في القرن الثامن ق.م ظهر في مملكة إسرائيل النَّبيّان والكاتبان عاموس الذي كان من مملكة يهوذا وهوشع وقاما بتدوين سفري عاموس وهوشع.

ثم بعد فترة قليلة من رحيل هذين النَّبيّين ظهر في مملكة يهوذا في القرن الثامن ق.م أيضاً النَّبيّان أشعيا وميخا حيث قام أشيعا بتدوين الإصحاحات من ١-٣٩ من سفر أشيعا الذي يحمل إسمه ويرى البعض أنَّ تلاميذه هم من نشروا وبلَّغوا نبوته وقاموا بصياغة بعض المقاطع من تلك الاصحاحات[1] وأمّا النَّبيُّ ميخا فقد دوّن سفر ميخا كما هو موجود بين أيدينا اليوم.

(١) راجع كتاب: مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٨٢-٨٤.

ب) الحقبة الثانية: الاحتلال الآشوري وسقوط مملكة إسرائيل.

في أواخر القرن الثامن ق.م وإثر الضغط الكبير الذي تعرضت له مملكة اسرائيل سقطت عاصمتها السَّامرة بيد سَرجون الثاني الآشوري حوالي سنة ٧٢١ ق.م وإثر هذا السّقوط تمَّ جلاء سُكان تلك المملكة إلاَّ القليل منهم إلى بابل وفي تلك الفترة ظهرت الإصحاحات ١٢-٢٦ من سفر التثنية والتي تتحدَّث عن القسم التشريعي من ذلك السِّفر وذلك بفضل القادمين على أورشليم عاصمة مملكة يهوذا إبَّان الجلاء.

ثم إنَّ هذا الامتداد الآشوري الذي وصل إلى مملكة اسرائيل وحتلَّها كان يُهدِّد بدوره مملكة يهوذا أيضا ولكن لحُسن الحظ وبفضل الجهود الّتي بذلها النَّبيّ أشعيا استطاعت مملكة يهوذا أن تقف صامدة في وجه المدِّ الآشوري، وبعد فترة من الزَّمن قاربت المائة عام انهارت الإمبراطوريَّة الآشوريَّة حينها تمتعت مملكة يهوذا بالاستقرار والاستقلال.

عهد الملك حزقيا

في الرُّبع الأخير في القرن الثامن ق.م جلس على سُدَّة الحكم الملك حزقيا وقد استمر حكمه حوالي ٣٠[١] سنة أي من سنة ٧١٦ ق.م إلى سنة ٦٨٧ ق.م وتعتبر تلك الفترة من أهمِّ فترات الحقبة الثانيه وذلك لأنَّه قد دُوِّن فيها العديد من الأسفار ونُشِر عددٌ آخر منها فقد تمَّ تدوين سفر صفنيا، ونحوم، وحبقوق من كتب الأنبياء الّذين ظهروا في عهد حزقيا حيث ظهر النَّبيُّ صفنيا ونحـوم أوّلاً ثم ظهر بعدهما بقليل النَّبيُّ حبقوق

---

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب أنّ حكمه استمرَّ سبعة وعشرين سنة. راجع: ج١، ص٦٧.

الذي كان ونحوم معاصرين للنّبيٍّ أرميا وكذا تمَّ تدوين عدد من إصحاحات المزامير المنسوبة لداود ﷺ كما وأُضيفت الإصحاحات ٥-٢٨ من سفر التثنيه وبذلك يكون هذا السِّفر قد أخذ شكله النهائي وأمّا الأسفار الّتي نشرت فهي سِفر القضاة، وصموئيل، والملوك، والقسم الأوّل من سِفر تثنية الاشتراع، من الإصحاح ٥- ٢٨.

ما بعد حزقيا: وسقوط مملكة يهوذا

في أواخر القرن السّابع ق.م توفي الملك حزقيا فجأة حوالي سنة ٦٠٩ ق.م وعلى إثرِ ذلك بدأت مملكة يهوذا تسير نحو الفناء والزّوال هنا إنبرا النَّبيٍّ إرميا للقيام ببعض الإصلاحات السّياسيَّة الّتي كانت تنتهجها المملكة آنذاك، فقد نبَّههم على خطورة التقارب مع مصر في ظلٍّ التنامي الكبير للقوّة البابليَّة إلاّ أنّ رجال السّياسة لم يأخذوا بتوجيهاته فكانت النتيجة أن سقطت عاصمة مملكة يهوذا وهي أورشليم بيد نبوكدنصّر حسب تعبيرهم في الرُّبع الأوّل من القرن السّادس ق.م أي حوالي سنة ٥٨٧ ثمَّ بعد ذلك تمَّ الجلاء إلى بابل ويرى العديد منهم أنّ هذا الجلاء ساهم كثيراً في تنقية الإيمان اليهودي من الشّوائب والعقائد الوثنيَّة الّتي دخلت عليها حينها نشأ التيَّار الكهونتي الذي ركّز كثيراً على قداسة الله، كهنُوت الشّعب، فعلى الشّعب أن يعيش حياةً كلَّها عبادة لله وقد قام الكهنة والمدرسة الكهونتيَّة بقراءة التقاليد القديمة على ضؤ الوضع المستجد ولاسيما جلاءهم الذي أدّى إلى انقطاعهم عن هيكل أورشليم عاصمة مملكة يهوذا سابقاً ومن هنا فإن غالبيّة التشريعات الّتي نجدها في أسفار التكوين، والخروج، والأخبار، والعدد تعود إلى هذا التقليد الكهنوتي الجديد فالكهنة هم مَن أتمُّوا الأسفار الخمسة بعد الجلاء، وبالتالي أخذت

كتب الشّريعة الخمسة أي التّوراة شكلها النّهائي والأخير الموجود بين أيدينا الآن.

وبما أنّ البابليين عندما قاموا بإجلاء اليهود عن أورشليم لم يَجْلوا جميعَ سكّانها بل بقي عدد منهم فإنّ هذا العدد الباقي دَرَجَ على النّوح والبكاء على أطلال الهيكل وبقاياه وبذلك كانت بداية ظهور سِفر المراثي المنسوب إلى النَّبيّ إرميا، ثمّ بعد ذلك وفي نفس بابل ظهر نبي يقال له أشعيا الثاني وقام بدور فعَّال وكبير في خدمة الشّعب اليهودي حيث أعزَّهم وهم في أرض الجلاء ببابل ثم قام هذا النَّبيّ ودَوَّن بعض الإصحاحات من ٤٠ إلى ٥٥ في سفر أشعيا وقد عُدَّ ما قام به أيضاً من الروائع الأدبيَّة المهمَّة.

ج) الحقبة الثالثة والعود من الجلاء البابلي

إنّ لهذه الحقبة في التاريخ اليهودي دورها المميَّز والفعَّال ولعلها من أهم الحقبات التاريخيَّة عندهم وذلك لأنَّه في هذه الحقبة قد ظهر ما بقي من أسفار العهد القديم وأضيفت الكثير من الإصحاحات المتمِّمة للعديد من الأسفار حتى وصلت إلى شكلها النهائي والأخير ففي أواخر القرن السّادس ق.م عاد اليهود من الجلاء حوالي سنة ٥٣٨ ق.م وقاموا بإضافة العديد من الإصحاحات على سفر أشعيا فأضافوا الإصحاحات ٦٥-٦٦ وكذا الإصحاحات ٣٤-٣٥ والإصحاحات ٢٤-٢٧ من السِّفر عينه ولكن في القرن الخامس ق.م.

وكانت أوَّلُ مجموعة عادت من الجلاء إلى أورشليم قامت بترميم هيكل أورشليم وبناء مدينة أورشليم من جديد وقد شجَّع هذا العمل النَّبيّان حجَّاي وزكريا فدونت الإصحاحات من ١-٨ من سفر زكريا.

وفي الزَّمن نفسه اتخذت التَّوراة شكلها النهائي بعد أن استكمل فيها تاريخ موسى ووضع سِفر تثنية الاشتراع في عِدادها بعد أن كان مصنَّفاً في عداد كتب التاريخ من هُوشع إلى الملوك. وبهذا تكون قد اكتملت نهائياً أسفار الشّريعة وأمَّا سفر راعوث فقد كتب بعد العود من الجلاء بقليل أي في أواخر القرن السّادس ق.م ثم بعد ذلك تعاقب الأنبياء في القرن الخامس والرابع فقاموا في القرن الخامس بتدوين الإصحاحات من٣٤-٣٥ ومن ٢٤-٢٧ في سفر أشعياء كما أشرنا قبل قليل كما وأنَّهم دوّنوا سفري ملاخي وعُوبَدْيا من كتب الأنبياء بالإضافة إلى إكمال سفر الأمثال وظهور سفر أيوب إذ إنه في القرن الخامس عاد الأدب الحكمي الذي بدأ في زمن سليمان إلى اسرائيل وزدهر فيها من جديد فأُكمل بذلك سِفر الأمثال الذي أعقبه ظهورُ سفر أيوب بفترة وجيزة.

القرن الرابع ق.م وظهور محرِّر الأخبار

ففي القرن الرَّابع ق.م إبَّان النهضة اليهوديَّة الّتي قام بها جماعة بقيادة عزرا ونحميا بعد العود من الجلاء ظهر كاتبٌ مُلهم يقال له محرِّر الأخبار وقام بتدوين الأحداث والتطورات ابتداءاً من زمن الملوك في عهد شاؤل وانتهاءاً بالحقبة التاريخيَّة الّتي أعقبت العود من الجلاء البابلي وفي الواقع فإنَّ سفري الأخبار الأوّل والثاني وسفر عزرا وسفر نحميا قام بتدوينها مؤلِّف واحد هو محرِّر الأخبار وقد تمَّ هذا التدوين في القرن الرابع ق.م كما نقل الأب صلاح أبو جوده السّيوعي[1].

---

(١) راجع المصدر السابق: ص٨٧.

وفي عهد عزرا برز أيضاً سفر يونان الذي انتقض فيه كاتبُة الملهم حصر الدّين في نطاق وطنيٍّ ضيِّق وأكّد على شموليَّة العناية الإلهيَّة للجميع لأنّ الله يريد خلاص البشريَّة جمعاء وقد تمَّ ذلك قبل قدوم الإسكندر المقدوني إلى الشّرق في أواخر القرن الرابع

إذ في أواخر القرن الرابع ق.م قام الإسكندر المقدوني باحتلال كلٍّ من سوريا وفلسطين حوالي سنة ٣٣٣ق.م وبذلك رزحت مملكة يهوذا تحت الاحتلال اليوناني وبدأت الحقبة الهلِّينستيَّة، أي الحضارة اليونانية في أوسع انتشارها.

وفي القرن الثالث ق.م ظهر سِفرا يونان وطوبيا الذي يتناول مسألة العناية الإلهيَّة وتدخُّلُها في حياة البشر اليوميَّة كما وأنَّه ظهر في أواسط القرن الثالث سِفر الجامعة.

القرن الثاني وحرب المكابيين

في القرن الثاني ق.م وقبل تولِّي انطيوخُس الرَّابع أبيفانيوس بخمس سنوات يعني حوالي سنة ١٨٠ ق.م ظهر سفر يشوع بن سيراخ ثم أعقب ذلك تولِّي أنطيوخُس العهد من سنة ١٧٥ ق.م. إلى سنة ١٦٣ ق.م فحكم سوريا وحينها واجه اليهود زمناً مأسوياً صعباً لان هذا الملك اليوناني أجبرهم على إتباع الأعراف والتقاليد اليونانيَّة وقام بتدنيس الهيكل في أورشليم بعد خمس سنوات من حكمه يعني حوالي سنة ١٧٠ ق.م فأدَّى ذلك إلى نشوب حرب بينه وبين المكابيين في عام ١٦٧ دامت في مرحلتها الأولى ثلاث سنوات ظهر قبل نهايتها سِفر دانيال الذي كان الهدف منه تثبيت اليهود على إيمانهم ودينهم ثم أَنجز هذا السِّفر في وقتٍ لاحقٍ وأضيف عليه الفقرات من ٢٤-٩٠ في الإصحاح الثالث، وكذا أضيفَ إليه

الفصلين١٣-١٤ من السِّفر عينه ثم أعقب ذلك بوقت قصير ظهور سفر إستير[1].

وفي الرُّبع الأخير من القرن الثاني ظهر سفر المكابيين الثاني حوالي سنة ١٢٠ق.م الذي يرسم بدوره مع سفر المكابيين الأوّل الذي ظهر سنة ١٠٠ ق.م أي في أوائل القرن الأوّل ق.م صورة للعصر المضطرب وما تعرَّض له اليهود من إضطهاد إبَّان عهد أنطيوخُس الرّابع.

وفي مطلع القرن الأوّل أيضاً ظهر سفر يهوديَّت ثم أعقبه ظهور سفر الحكمة في الربع الأوّل من القرن الأوّل ق.م أي حوالي سنة ٩٠ ق.م ومن اللاّفت هنا أنّ هذا السِّفر ـ أي الحكمةـ قام بتأليفه شخص يهودي كتبه باليونانيَّة في مدينة الإسكندريَّة وهذا معناه أنَّ اليهود قد تمكّنوا من استعمال الثقافة اليونانيَّة أنذآك لأغراضهم الدينيَّة وبهذا نصل إلى تمام الكلام حول تدوين كتب العهد القديم وتأليفها الذي استمر حوالي ١٣٠٠ سنة ق.م.

---

(١) راجع: مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٨٩.

الرسم البياني

القرن	الأحداث المهمة	كتب الشّريعة والتاريخ	كتب الأنبياء	كتب الحكمة
القرن ١٣ق.م	مجيء موسى عليه السلام بالرِّسالة أي الدّيانة اليهوديّة على الأشهر	تحديد عناصر الشّريعة الأولى أي التّوراة		
القرن ١٢ق.م	بداية حكم القضاة سنة ١٢٠٠ ق.م واستمراره ١٨٠سنة وكان آخرهم صموئيل			
القرن ١١ق.م	إنتهاء اتحاد أسباط اسرائيل على يد الفلسطينين بداية الحكم الملكي في عهد شاؤل سنة ١٠١٨ ق.م وقد بلغ ذروته في عهد داود سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٧٠ ق.م			بداية ظهور النّواة الأولى لسفر المزامير على يد داود
القرن ١٠ق.م	حكم سليمان من سنة ٩٧٠- ٩٤١ ق.م	تدوين الإصحاحات من ٩-٢٠ من سفر صموئيل الثاني والإصحاح الأول والثاني من ملوك الأوّل		نسبة أسفار الحكمة إلى سليمان لأنه هو من أعطاها الدّفعة الأولى
قرن ٩ق.م	انقسام مملكة سليمان إلى مملكتين احدهما مملكة اسرائيل والثانية مملكة يهوذا	تدوين الإصحاحات من ٢-١٧ من ملوك أول ومن ٢-١٣ من ملوك ثاني		
قرن ٨ق.م	ظهور النّبيّ هوشع وعاموس في عهد ياربُعام الثاني الاحتلال الآشوري لمملكة اسرائيل جلوس جزقيا على سدّة الحكم سنة ٧١٦ واستمر حكمه ٣٠ سنة أي إلى ٦٨٧ ق.م	تدوين بعض الأجزاء من سفر تثنية الإشتراع أي الإصحاحات في ١٢-٢٦	تدوين أسفار عاموس وهوشع وسفر ميخا والاصحاحات من١-٣٩ من سفر أشعيا	
القرن ٧ق.م	استمرار حكم حزقيا إلى سنة ٦٨٧ ق.م	تمّ نشر أول قسم في سفر تثنية الاشتراع من الاصحاح ٥- ٢٨. وكذا نشر سفر القضاة وصموئيل والملوك	تدوين سفر صفنيا ونحوم وحبقوق	تدوين عدد من إصحاحات سفر المزامير المنسوب لداود

القرن	الأحداث المهمة	كتب الشّريعة والتاريخ	كتب الأنبياء	كتب الحكمة
القرن ٦ق.م	سقوط مملكة يهوذا في يد نبوكد نصًر سنة ٥٨٧ ق.م وسبي اليهود إلى بابل عود اليهود من الجلاء سنة ٥٣٨. اخذ التّوراة شكلها النهائي بعد نقل سفر التثنية من كتب التاريخ إلى كتب الشّريعة	اكتمال كتب الشّريعة بشكلها النهائي. تدوين الإصحاحات ٤٠-٥٥ من سفر أشعيا إضافة الإصحاحات من ٥٦-٦٦ من السِّفر عينه والفصول والاصحاحات من ١-٨ سفر زكريا تدوين سفر راعوث بعد العود من السبي البابلي بقليل	ظهور سفر المراثي حسب التقسيم الكاثوليكي	
القرن ٥ق.م	تحديد أسفار الشريعة بشكلها النهائي.		تدوين أسفار ملاخي وعوبديا إضافة الإصحاحات ٢٤-٢٧ من أشعيا وكذا من ٣٤-٣٥	اكتمال سفر الأمثال الذي ترتَقي بعض أقسامه إلى عهد سليمان ظهور سفر أيوب
القرن ٤ق.م	ظهور محرِّر الأخبار مجيء الاسكندر المقدوني إلى الشّرق سنة٣٣٣ واحتلال سوريا وفلسطين	تدوين سفري الأخبار الأول والثاني وسفر عزرا وسفر نحميا	تدوين سِفر يؤئيل والاصحاحات من ٩-١٤ من سفر زكريا	اكتمال سفر المزامير وتدوين سفر نشيد الأناشيد
القرن ٣ق.م		تدوين سفر طوبيا	تدوين سِفر يونان	تدوين سفر الجامعه
القرن ٢ق.م	جلوس انطيوخُس الرابع على سُدَّة الحكم سنة ١٧٥ ق.م تدنيس الهيكل سنة ١٧٠. نشوب الحرب بينه وبين المكابيين استمرت في فترتها الأولى ثلاث سنوات	تدوين سفر المكابيين الثاني سنة ١٢٠ ق.م وسفر استير	تدوين سفري باروك ودانيال	سفر شيوع بن سيراخ سنة ١٨٠ ق.م
القرن ١ق.م	تدوين سفر الحكمة باللغة اليونانيَّة على يد يهودي	تدوين سفر المكابيين الأول سنة ١٠٠ ق.م وسفر يهوديت		تدوين سفر الحكمة

وخلاصة ما يستفاد من الرَّسم البياني:

أ) إنّ كتب الشريعة والتاريخ كانت بداية ظهورها من القرن الثالث عشر قبل الميلاد واستمرّت حتّى القرن الأوّل قبل الميلاد.

ب) إنّ كتب الأنبياء كانت بدايتها من القرن الثامن قبل الميلاد واستمرت حتّى القرن الثاني قبل الميلاد.

ج) إنّ كتب الحكمة. كانت بداية ظهور نواتها في القرن الحادي عشر قبل الميلاد واستمرّ حتّى القرن الأوّل قبل الميلاد.

تدوين العهد الجدّيد

يتألف العهد الجديد من ٢٧ سفراً أو كتاباً بحسب ما هو موجود بين أيدينا الآن وهذه الأسفار ال ٢٧ يمكن لنا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام.

١)- الأناجيل الأربعة وأعمال الرُّسل

٢)- رسائل القديس بولس

٣)- الرّسائل الأخرى وسفر الرؤيا.

زمن تدوين هذه الأسفار

يذهب العديد من الكُتّاب النَّصارى إلى القول بأن جميع أسفار العهد الجديد قد دوّنت في القرن الأول بعد الميلاد بل في خصوص النصف الثاني من القرن الأوّل ب.م أي من الفترة الممتدّة بين سنة ٥٠ الى ١٠٠ ب.م

منهم الأب توماس ميشال اليسوعي الذي يرى أن أوّل إنجيل أُلِّف كان حوالي سنة ٦٠ ب.م[١].

ومنهم الأب صلاح أبو جوده الذي يرى بأن أوّل رسالة كتبت إلى أهل تسالونيقيٍ كانت سنة ٥١ ب.م[٢].

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة: ص٣٦.

(٢) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٩٤.

ومنهم مؤلفة موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة الّتي ذهبت إلى القول بأنَّ كلَّ كتب العهد الجديد قد دوِّنت بفترة زمنية لا تتعدَّى المائة عام حيث قالت:

«كُتبَ العهد الجديد في مدة لا تتعدَّى المئة من السِّنين وباللغة اليونانيَّة الّتي كانت في أيام المسيح اللغة الأدبيَّة والتجاريَّة السَّائدة في فلسطين»[١].

ثم أضافت وقالت: إنَّ أوّل إنجيل قد أُلّف كان حوالي سنة ٧٠ ب.م وكما أنَّ الأب صلاح أبو جوده اليسوعي يرى بأنَّ أوّل إنجيل دُوِّن كان هو إنجيل مرقس وقد دُوِّن بين العام ٦٤-٦٥ ب.م وأنَّ آخر ما دُوِّن كان إنجيل القدِّيس يوحّنا وسفر الرؤيا ورسائله وهذا كله تمَّ بين سنة ٩٠ -١٠٠ب.م وهذا معناه أنَّ جميع تلك الأسفار قد تمَّ تدوينها في فترة زمنيه قصيرة لا تتعدي الخمسين عاماً إلاّ على بعض الأقوال الّتي ستتضح معنا فيما بعد.

القسم الأوَّل: الأناجيل وأعمال الرسل

وهذا القُسم يضمُّ الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ـ ومرقس ـ ولوقا ـ ويوحنا بالإضافة إلى كتاب أعمال الرُّسل، ولكن لكلٍّ واحد من هذه الأناجيل الأربعة مع أعمال الرُّسل حقبتهُ التاريخيَّة الخاصة الّتي تمَّ تدوينه بها كما سَنبيِّن.

ولكن قبل الدخول في صلب البحث لابدَّ من الإشارة إلى الأمور التالية:

---

(١) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة: الديانة المسيحيَّة: ج٦، ص٣٢.

أ) معنى كلمة إنجيل.

من الواضح للجميع أنّ الكتب الأربعة الأولى المدوَّنة في طليعة مؤلفات العهد الجديد تسمّى الأناجيل وكلمة إنجيل مشتقة من كلمة يونانية معناها كما يرى الباحثون (الخبر السَّار) أو البُشرى.

يقول الأب توماس ميشال :

«الكتب الأربعة الأولى من كتب العهد الجديد تُدعى الأناجيل وكلمة إنجيل مشتقه من اللفظة اليونانيَّة Evayέλiov **وتعني الخبر السّار أو البشرى»**[١] .

و تقول مؤلفة موسوعة الأديان...

«وكلمة إنجيل مشتقة من اللَّفظة اليونانيَّة (أبو انجليون)و تعني البُشرى أي الخبر السَّار وهي تشير إلى بشارة يسوع المسيح بخلاص البشر من الخطيئة والموت»[٢].

ب) من هم الحواريون الإثني عشر

في الفترة الزمنيَّة الّتي عاش فيها المسيح على الأرض بين النَّاس وأثناء تبليغه لرسالة ربِّه أو أبيه بحسب تعبيرهم قامَ بجمع بعض الأشخاص وتربيتهم وتأديبهم على نور الإيمان والمحبَّة حتى يكونوا عوناً له في تبليغ رسالته ونشرها.

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة: ص ٣٣ .

(٢) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة :الديانة المسيحيَّة: ج٦، ص٣٣.

فكان أوّلهم سُمعان الذي يقال له بُطرس، واندراوس أخو بطرس. ويعقوب بن زَبَدي، ويوحنًا أخوه. وفيليبُّوس، وبرتُلُماوس، وتوما، ومتًى العشّار جابي الضرائب، ويعقوب بن حَلْفي تدّاوس. وسمعان الغيور. ويهوذا الاسخريوطي[1]. الذي سلّم عيسى للأعداء.

هؤلاء جميعهم تتلمذوا على يد عيسى المسيح عليه السلام .لأجل خدمة الدِّين الجديد ونشره.

ج) أوّل الأناجيل تدويناً:

إنَّ علماء المسيحيين يجزمون بأنَّ أوَّل إنجيل قد دُوِّن تاريخاً من تلك الاناجيل الأربعة هو إنجيل مرقس وإن كان إنجيل متّى قد وضعوه أوّلاً حسب التصنيف الموجود بين أيدينا الآن يعني إنجيل متّى وضعوه في أوّل كتب العهد الجديد مع أنّ إنجيل مرقس قد دُوِّن قبله. والسَّبب في ذلك أنّه كان أوّل الأناجيل جمعاً لا تدويناً.

د) مسار البحث

إنَّا سَنسير في البحث على وفق الأسبق تدويناً تاريخيّاً يعني سوف نقدم البحث في إنجيل مرقس على البحث في إنجيل متّى.

هـ) التقليد الشّفهي

لابدَّ من الالتفات إلى أنّه قبل تدوين كتب العهد الجديد كان هناك تقليداً شفهيّاً يُعمل به وهذا التقليد الشّفهي كان موجوداً بوجود الحواريين

---

(١) المصدر السابق: ج٦، ص ١٠٤.

ثم أعقب هذا التقليد الشّفهي تدوين العهد الجديد وأوّلُ ما دُوِّن تاريخياً كما ذكرنا هو إنجيل مرقس.

١) إنجيل مرقس:

من الواضح أنّ مرقس لم يكن من الحواريين الإثني عشر وإنّما كان تلميذاً لبطرس الذي هو أكبر الحواريين ورئيسهم وقد صاحب مرقس القدِّيس الرَّسول بولس والقدِّيس برنابا في رحلاتهما إلى قبرص وآسيا الصغرى يقول مؤلف كتاب الأسفار المقدَّسة في الأديان السّابقة للاسلام في ترجمة مرقس

«مرقس: saintmarc اسمه يوحنا[١] ويلقَّب بمرقص واصله من اليهود وهو من التلاميذ السّبعين على الأرجح وابن اخت القدِّيس برنابا وقد صاحب الرَّسول بولس والقدِّيس برنابا في رحلاتهما وتبشيرهما بالمسيحيَّة في قبرص وآسيا الصغرى ثم صاحب الرَّسول بطرس، كبير الحواريين نفسه وقضى معه شَطْراً من حياته وتبعه إلى روما ونشر فيها المسيحيَّة وأنشأ بها بطرياركة الإسكندريَّة (الكرَّزة المرقسيَّة) الّتي يتولاها الآن بابوات الاقباط الأرثوذكس الّذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقص واستشهد في مصر حوالي سنة ٦٧ب.م»[٢].

وقد دوَّنَ مرقس الإنجيل الذي يحمل إسمه في النِّصف الثاني من القرن الأوَّل ب.م وإن اختلف الباحثون في تحديد السنة التي وقع فيها

---

(١) راجع: إعمال الرُّسل: ٢: ١٢-٢٥ وكذا الأناجيل دراسة مقارنة: ص٢٩

(٢) الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام:ص٨٤.

التدوين بالدِّقة فذهب البعض إلى القول بأنَّ مرقس قد دَوَّنَ إنجيله سنة ٦٤-٦٥[١]ب.م وذهب البعض الآخر إلى القول بأنّ تدوينه وقع سنة٦٠ب.م[٢] والبعض الثالث ذهب إلى القول بأن تدوينه تمَّ في سنة ٧٠ب.م.

«دلّت الدِّراسات الحديثة على أنَّ مرقس دون إنجيله باللغة اليونانيَّة حوالي سنة ٧٠ وهذا يعني أنّ هذا الإنجيل هو أقدم الأناجيل»[٣]

وأمّا المصادر الّتي اعتمدها مرقس في تدوينه فهي عبارة عن ذلك التقليد الشّفهي الذي كان قائماً بعد وفاة عيسى عليه السلام بحسب ما يدَّعون حيث توفى سنة ٣٠ ب.م واعتمد أيضاً على ما نقله إليه معلِّمُهُ بطرس الذي كان كبيرَ الحواريين الإثني عشر.

٢) إنجيل متى

متى هو أحد الحواريين الإثني عشر والذي ينحدر من أصل يهودي وكان قبل إتصاله بالمسيح عليه السلام جابياً للضرائب في كفرناحوم لصالح الرّومان وقد أطلق عليه، متّى العشّار نسبةً إلى العشّارين الّذين كانوا يأخذون الضرائب حيث كانوا في الأعم الأغلب يأخذون نسبة العُشر منها ثم إختاره المسيح تلميذاً لـه.

---

(١) حقائق الإيمان المسيحي: ص٩٤.

(٢) مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة: ص٣٦.

(٣) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة: ج٦، ص٣٥.

«وفيما يسوع مُجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية إسمه متَّى فقال له اتبعني فقام واتبعه»(١).

ثم بعد صلب المسيح بحسب اعتقادهم أخذ متًى يجول في البلاد طائفاً داعياً ومبشراً بالدِّيانة المسيحيَّة إلى أن استقرّ في نهاية المطاف في الحبشة وقضى فيها حوالي ٢٣ سنة وينسب إليه أنّه قد ألّف الإنجيل الذي يحمل اسمه (إنجيل متى) الذي هو من أقدم الأناجيل جمعاً لا تدويناً ولعلّ ذلك هو السّبب في وضعه أوّل الأناجيل في لائحة الأسفار المقدَّسة للعهد الجديد كما مرّ ومن الرَّاجح كما يرى البعض أنّ مكان التأليف كان في سوريا وأنّ تدوينه وقع حوالي الثمانينات لمسيحيين من أصل يهودي أي دوّنه لأجلهم.

«أوّل الأناجيل في لائحة أسفار العهد الجديد هو إنجيل متى ومن الرَّاجح أن متَّى كتبه في سوريَّة في حوالي الثمانينات لمسيحيين من أصل يهودي وعُرف متَّى باسم آخر هو لاوي»(٢).

وقد ذهب الأب صلاح أبو جوده اليسوعي إلى القول بأن تدوين إنجيل متَّى وقع بين العام ٦٨-٧٠ ب.م يعني حوالي السّبعينيات وكذا الأب توماس ميشال حيث قال:

«إنجيل متى كتبه مسيحي فلسطيني بعد سنة ٧٠ ميلاديَّة»(٣).

---

(١) انجيل متَّى: الإصحاح التاسع: دعوة متّى: ٩.

(٢) موسوعة الأديان السَّماوية والوضعيّة: الديانة المسيحيّة: ج٦، ص٣٤.

(٣) مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة: ص٣٤- ٣٥.

كما أنَّ غير هؤلاء من بعض الباحثين يرى أنَّ تدوينه تمَّ قبل سنة ٦٢ ب.م لأنَّه على احدى الرِّوايات أنّ متَّى قُتِلَ سنة ٦٢ ب.م كما وأنَّ آخرين يرون أن تدوينه قد تمَّ سنة ٩٠ب.م[١].

وأمَّا المصادر الّتي اعتمد عليها متَّى في تدوينه لهذا الإنجيل فهما مصدران أو وثيقتان واحدة من نوع (جيرمان كويل) المكتوبة بالآرميَّة والثانية من نوع وثائق مرقس الأولى ومن هنا ذهب البعض إلى القول بأنَّ مؤلِّف هذا الإنجيل ليس هو متَّى حواري المسيح وإنَّما هو مؤلِّف آخر.

تقول الموسوعة البريطانيَّة في هذا المضمار:

«وفق ما توارد من عُرف يُعتبر متَّى كاتب ومؤلِّف الإنجيل الأوّل ولكن هذا خطأ دون شك فهو ليس مؤلِّف الإنجيل المعروف باسمه»[٢].

وقد عُني متَّى في إنجيله بأن يبرهن لليهود أنَّ يسوع هو المسيح المنتظر ابن داود اذ تمّت فيه جميع نبوأت العهد القديم وأنّه ابن الله الحيّ ومؤسِّس الكنيسة[٣].

ويقال بأنَّ متَّى مات في الحبشة سنة ٧٠ اثر ضرب مبرِّح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة أو على إثر طعنه برمح أصيب بها سنة ٦٢ ب.م في رواية أخرى[٤].

---

(١) الأناجيل دراسة مقارنة: ص٢٣.

(٢) دائرة المعارف البرياطنيَّة: ص١١١٦، نقلاً عن الأناجيل دراسة مقارنة: ص٢٤.

(٣) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة، الدِّيانة المسيحيّة: ج٦، ص٣٤.

(٤) الأسفار المقدَّسة في الأديان السَّابقة للإسلام: ص٨٠.

٣) إنجيل لوقا

إنّ لوقا لم يكن من الحواريين الإثني عشر وإنّما كان رفيقاً لبولس في رحلاته وقد قام بتأليف الإنجيل الذي يحمل اسمه وأعمال الرُّسل وكان طبيباً قد مارس مهنته بنجاح كبير على ما ينقل ثمَّ اعتنق الدِّيانة المسيحيَّة إذ أنّه في الأصل رومانيٌّ الإنحدار ومن أبوين وثنيين حتّى أنّ اسمه يفيد أنّه تحريف للإسم اللاتيني لوسيوس أو لوكانس ويرى البعض على ما ينقله صاحب كتاب الأسفار المقدَّسة[1] أنّه كان مصوِّراً أي رساماً لا طبيباً.

«وينحدر لوقا من أبوين وثنيين حتى أنّ اسمه يفيد أنّه تحريف للإسم اللاتيني لوسيوس أو لوكانس... وهو من عائلة رومانيَّة الأصل وإن كان بعض رجال الكنيسة يُشيرون إلى أنّه كان سورياً من أنطاكيا وقد يكون السّبب في ذلك أنّه عاش في سوريا...»[2].

وأمّا السَّنة الّتي دُوِّن فيها إنجيل لوقا فكذلك وقعت مورداً لاختلاف الباحثين أيضاً حيث يرى البعض أنّ تدوينه وقع قُبيل العام[3] ٧٠ ب.م كما وأنَّ البعض الآخر يرى بأنَّه وقع حدود سنة ٨٥ [4] ب.م وأنّ لوقا قد كتبه بأسلوبٍ يوناني مُتقن ممّا يدل على أن لوقا كان يمتاز عن سابقيه بثقافة واسعة واطلاعٍ كبيرٍ وأدبٍ مميَّز.

---

(١) الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة على الإسلام: ص٨٥.

(٢) الأناجيل دراسة مقارنه:ص٣٤.

(٣) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٩٠.

(٤) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة، الدِّيانة المسيحيّة: ج٦، ص٣٧.

ويمكن لنا إختصار بعض الأفكار الأساسيَّة في إنجيل لوقا فإنَّ لوقا يُشدِّد على شموليَّة الرِّسالة وأنَّها ليست مختصَّة بالشّعب اليهودي وأنَّ يسوع صديق الخطَّأة ويدعوهم للتوبة ويحذِّر من خطر الغنى ويؤكِّد على أهميَّة التتلمذ ويُبرز المسيح بأنّه رجل صلاة.

وأما المصادر الأساسيَّة الّتي اعتمدها لوقا في تأليفه فهي إنجيل مرقس وانجيل متى وبعض الأمور والتقاليد الشّفاهيَّة لأنّ لوقا كان في تلك الحقبة الّتي عاش فيها الحواريون وتلامذتهم.

أعمال الرُّسل

فهو كذلك من تأليف لوقا وقد دوَّنه بعد الإنجيل المنسوب إليه بوقت قصير يعني بعد السَّنة الّتي دمرَّ فيها الرومانيون معبد أورشليم[١] على مايراه بعض الباحثين كما وأنَّ غيره يرى بأنَّ لوقا مات سنة ٧٠ب.م[٢] وهذا معناه أن إنجيله وأعمال الرُّسل قد دُوِّنا قبل تلك السّنة أو فيها قبل موته كما وأنَّ مؤلفة الموسوعة ذكرت بأنَّ أعمال الرُّسل قد تمَّ في تلك السّنة الّتي تمَّ فيها تأليف إنجيله أي سنة ٨٥ ب.م[٣] كما وأنّ هناك بعض الباحثين يرون بأنَّ إنجيل لوقا وكذا أعمال الرُّسل قد دُوِّنا في أوائل القرن الثاني ب.م مستدلاً على ذلك بأنَّه لا الإنجيل ولا أعمال الرسل قد ظهر لهما وجود إلاّ في أيام كلمنت الثاني وجوستين حيث قال:

---

(١) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص ٩٠.

(٢) الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة على الإسلام: ص٨٥.

(٣) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة: الديانة المسيحيَّة: ج٦، ص ٣٨.

«ولمَّا كان الإنجيل المنسوب إلى مرقص أحد مصادر لوقا ولمّا كانت النبوءة الّتي ذكرت في الإصحاح ٢١ قد تحققت في حوالي ٧٠ بعد الميلاد نستطيع أن نقرِّر أنّ هذا الإنجيل قد كتب بعد هذا التاريخ ونحن مطمئنون ويرى كثير من علماء المسيحيَّة أنّه كتب في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد لسبب واحد هو أنّه لا الإنجيل ولا أعمال الرُّسل ظهر لهما وجود إلاّ في أيام كلمنت وجوستين أمّا أين كتب هذا الإنجيل فلا يمكن تحديد مكانه بالدِّقة...»[١].

فإنَّ من نفس قوله لسبب واحد هو أنّه لا الإنجيل ولا أعمال الرُّسل ظهر لهما...؟ نستفيد بأنَّ كتاب أعمال الرُّسل كذلك هناك كلام بأنَّه قد دُوِّن في مطلع القرن الثاني ب.م أيضاً.

وخلاصة الأمر أن هناك خلاف كبير في السَّنة الّتي دُوِّنَ فيها كتاب أعمال الرُّسل، فبعضهم ذهب إلى القول بأنَّه قبل عام ٧٠ أو فيها وآخر ذهب إلى أنّه تمَّ سنة ٩٠ ب.م وثالث إلى أنّه تمَّ في سنة ٩٦ ب.م ورابع إلى القول بأنه تمَّ في مطلع القرن الثاني ب.م

وهذا الكتاب يُعتبر من أهم المصادر التاريخيَّة المعتمدة عند الكنيسة وهو كتاب مكمِّل للإنجيل المنسوب إلى لوقا إذ إنّه يروي كيف نشر التلاميذ الأوائل بهداية من الرُّوح القدس الدِّيانة المسيحيَّة ثم قام برسم لوحة جامعة للجماعة الأولى من المسيحيين خلال السِّنين الثلاثين الّتي عاشوها ثم تحدَّث عن رحلاته المُتعبة مع بولس وما هي المشاكل الّتي

---

(١) الأناجيل دراسة مقارنة:ص٣٥.

واجهتها الكنيسة الجديدة وكيف اشتعلت حُبًّا لربِّها القائم بعد الموت فاتَّخذت بدافع من الرُّوح نمط حياة جديدة مبنية على الإيمان والمحبَّة والأخويَّة والرَّجاء[١].

٤) إنجيل يوحنَّا

يوحنَّا هو أحد الحواريين الإثني عشر الّذين إختارهم عيسى بل هو أحبُّهم وأقربُهم إلى قلب المسيح كما يقولون وقد دَوَّن الإنجيل الذي يحمل اسمه حوالي سنة ٩٥ ب.م.

يقول الأب صلاح أبو جوده اليسوعي:

«أما إنجيل القدِّيس يوحنَّا وسفر الرؤيا المنسوبة إلى يوحنَّا فإنّها دونت في أواخر القرن الأوّل»[٢].

ويقول الدكتور على عبد الواحد وافىً:

«يوحنا Jeam هو كذلك من كبار الحواريين الإثني عشر وكان أبوه زَبَدي Zebedee من السّابقين الأوَّلين إلى المسيحيَّة ومن كبار دُعاتها وكانت أُمّه سالومي Salome قدِّيسة شهيرة ورد ذكرها في الأناجيل وهي قريبة السّيدة مريم أمّ المسيح وقد جاءت من زَبَدي بيُوحنَّا وأخيه يعقوب الكبير... ويقول التاريخ المسيحي أنَّ المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين لمَّا قدَّمتهما إليه سالومي فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما وتقول كذلك أنَّ

---

(١) موسوعة الأديان السَّماويَّة والوضعيَّة، الدّيانةالمسيحيّة: ج٦، ص٣٨.

(٢) مدخل الى حقائق الإيمان المسيحي: ص٩٠.

يوحنَّا كان أحبَّ الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه ومن ثَمَّ يطلق عليه اسم الحواريِّ الحبيب... حتى لقد استودعه المسيح أمَّه السّيدة مريم وهو فوق الصليب وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس ووقف جهوده بعد اعتناقه المسيحيَّة على نشرها والدعوة لها وتوفّى بين سنة ٩٨ و١٠٠ ب.م وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين وهو آخرها تأليفاً وأربعة أسفار آخرى من أسفار العهد الجديد وهي ثلاثة رسائل من الرّسائل الكاثوليكيَّة والسِّفر النبوي أو رؤيا يوحنا ...»[1]. انتهى كلامه.

وقد ذهب قسِّيس الإسكندريَّة في القرن الثالث والمسمَّى DRONYEVIS إلى القول بأنَّ مؤلِّف هذا الإنجيل الرابع ليس هو الحواري يوحنَّا بن زَبَدي اخو يعقوب مستدَّلاً على ذلك بوجود مقبرتين في أفسوس تضم كلٌ واحدة رفاة حواري اسمه يوحنا[2].

يستعرض يوحنَّا في إنجيله الدَّور الكبير الذي قام به السّيدُ المسيح باعتبار كونه وسيطاً في إيجاد الخلق وتجدُّده ثم يقوم بذكر العديد من المعاجز مستدلاً على كون عيسى هو ابن الله وأنّه هو المخلِّص الموعود ثم يفسِّر تلك المعجزات ثم يظهر لنا بعض الحقبات التاريخيَّة الّتي تتحدَّث عن حياة عيسى عليه السلام وأنَّ بعض النَّاس آمنوا به وصاروا من تلامذته والبعض الآخر أنكروه وحاربوه...

---

(١) الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة على الإسلام:ص٧٨- ٧٩.

(٢) الأناجيل دراسة مقارنة:ص٣٧.

القسم الثاني من كتب العهد الجديد

وهو عبارة عن أربعة عشر رسالة وجهها بولس إلى عدد من الكنائس وعدد من تلامذته وقد دوِّنت هذه الرسائل من سنة ٥١ ب.م إلى سنة ٦٧ ب.م وتشكِّل هذه الرسائل جزءاً كبيراً ومهمّاً من كتابات العهد الجديد ومن هنا فلا بأس بالتعرُّض لحياة مؤلِّفها ومسيرته بشكل مختصر.

ممّا لا شك فيه أنَّ بولس لم يكن من أحد الحواريين الاثني عشر الّذين اختارهم عيسى عليه السلام ولكن مع ذلك كان له أهميَّة بالغة وكبيرة في تطوُّر الدِّيانة المسيحيَّة وإنتشارها يقول الأب توماس ميشال السيوعي.

«ولد بولس في طرسُوس (آسيا الصغرى) في الزمن الممتد بين ٥و١٥ ب.م ممّا يعني أنَّ بولس كان أصغرَ من عيسى بحوالى ١٥ سنة وكان يهوديَ المِلَّة روماني التابعيَّة وذهب إلى اورشليم نحو السَّنة ٣٠ ليدرس الشّريعة اليهوديَّة وممّا أثبته بولس في مقاطع رسائله الّتي جاء فيها على ذكر سيرته (أطلب خاصَّةً الرِّسالة إلى أهل غلاطية ١١/١الى ١٤/٢) أنّه لمّا حضر إلى فلسطين لم يكن من أتباع يسوع لا بل كان عدواً لَدوداً للمسيحيين وحوالي السّنة ٣٤ توجَّه إلى دمشق سعياً في إبادة المسيحيين فيها وإذ كان على مقربة من المدينة جرت له خبْرَةً دينيَّة مصيريَّة (دُوِّن خبرها في سفر أعمال الرُّسل ١/٩-٣٠ و١/٢٢ -٢٢ فأضحى من أتباع المسيح.

وما إن إنتمى بولس إلى المسيح حتى طغت على حياته أزمة شديدة فلم يَعُدْ إلى أورشليم بل إلى بلاد العرب حيث أمضى سنوات ثلاثاً في العُزلة والصلاة وانتهى إلى أنَّ رسالة المسيح ليست موجَّهة إلى اليهود وحدهم بل إلى جميع النَّاس فانطلق إذ ذاك مسافراً يحمل

البشارة فصار أعظم المرسلين بين المسيحيين الأوائل، وعددُ أسفار بولس أربعة إتسمت بطول مدَّتها وشمولها إذ توجه الرَّسول في أثنائها إلى مناطق كثيرة من الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وكان من دأبه أن يؤسِّس في كل مدينة يزورها جماعاتٍ صغيرة من المسيحيين ثم ينتقل إلى منطقة أخرى»[1].

وأوّل رسالة كتبها بولس ووجَّهها إلى المسيحيين في مدينة تِسَّالُونيقيً كانت سنة ٥١ ب.م وآخر رسالة كانت سنة ٦٧ ب.م.

وهذه الرسائل كانت على الشّكل التالي:

١)- الرِّسالة الأولى والثانية كانت لأهل مدينة تِسَّالُونيقيً سنة ٥١ ب.م.

٢)- الرِّسالة الثالثة إلى أهل فيلبِّي سنة ٥٦ ب.م.

٣)- الرِّسالة الرابعة والخامسة كانت لأهل قورنتس سنة ٥٧ ب.م.

٤)- الرِّسالة السّادسة إلى أهل غلاطية سنة ٥٧ ب.م.

٥)- الرِّسالة السّابعة إلى أهل رومة سنة ٥٧ ب.م.

٦)- رسالة إلى أهل فيلبِّي كتبت بين سنة ٦١-٦٣ ب.م.

٧)- رسالة إلى أهل قولسي ورسالة إلى أهل أفسس ورسالة إلى أهل فيلمون كلها كتبت بين سنة ٦١-٦٣ ب.م.

٨)- الرِّسالة الأولى إلى تيموثاوس الذي كان من أحد تلامذة بولس سنة ٦٥ب.م.

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة:ص٤٤-٤٥.

٩)- رسالة إلى طيطس الذي كان كذلك من تلامذة بولس تمَّت سنة ٦٥ ب.م.

١٠)-الرِّسالة الثانية لتلميذه تيموثاوس وقد تمَّت سنة ٦٧ ب.م

هذه مجموعة الرَّسائل الأربعة عشر الّتي كتبها بولس ويذكر صاحب كتاب الأسفار المقدَّسة أن الكنيسة لم تعتمد على هذه الرّسائل كلِّها إلاّ سنة ٣٦٤[١]ب.م.

القسم الثالث: الكتابات الأخرى

وهو عبارة عن الكتابات الأخرى المنسوبة لغير بولس وهي على الشّكل التالي:

١)- رسالة القدِّيس يعقوب الحواري الصغير، ويرى بعض الباحثين[٢] أنها أقدم أسفار العهد الجديد كتبها مسيحي فلسطيني بين سنة ٣٥-٥٠ ب.م كما وأنّ البعض الآخر[٣] يرى بأنَّها دُوِّنت سنة ٥٨ ب.م.

٢)- رسالتان للقدِّيس بطرس كبير الحواريين والأولى منها دُوِّنت سنة ٦٤ ب.م والثانية دُوِّنت ما بين سنة ٧٠ -٩٠- ب.م.

٣)- رسالة إلى القدِّيس يهوذا وهو الحواري أخو يعقوب الصغير وثلاث رسائل للقديس يوحنَّا وقد دُوِّنت بين سنة ٩٠ إلى ١٠٠ ب.م.

وبعضهم يرى أكثر وآخرون أقلّ. على الخلاف السّابق في يوحنا.

---

(١) الأسفار المقدَّسة في الأديان السّابقة للإسلام: ص١١٧.

(٢) مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة: ص ٤٦.

(٣) مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي: ص٩٤.

الرسم البياني للعهد الجديد

تدوين القسم الأول

الكتاب	المؤلف	المدة الّتي وقع فيها التدوين
إنجيل مرقس	مرقس	في الفترة الواقعة بين سنة ٦٠-٧٠ ب.م على ما اتفق عليه الباحثون المسيحيون وإن كان هناك اختلاف في تحديد السّنة بالذات
إنجيل متى	متى العشّار	اتفق الباحثون على أنّه وقع بين سنة ٦٢-٩٠ ب.م وإن كان هناك خلاف في تحديد السّنة بالذات
إنجيل لوقا وأعمال الرُسل	لوقا الطّبيب	تمّ تدوينها بين سنة ٧٠ ب.م ومطلع القرن الثاني على ما اتفق عليه الباحثون مع الاختلاف في تحديد السّنة بالذات
إنجيل يوحنا	يوحنا الحواري	تمّ تدوينه بين سنة ٧٠ - ٩٥ بعد الميلاد على ما اتفق عليه الباحثون المسيحيون وإن كان الخلاف في تحديد السّنة بالضبط موجود أيضاً

وبهذا يتضح لنا بأنّ الباحثون المسيحيون يتفقون على أنّ القسم الأوّل قد دُوّن في النِّصف الثاني من القرن الأوّل أو بعده بقليل إلى مطلع القرن الثاني.

تدوين القسم الثاني

الرِّسالة	المؤلف والكاتب	السّنة
الرِّسالة الأولى والثانية	بولس	إلى أهل تسّالونيقى سنة ٥١ب.م
الرِّسالة الثالثة	بولس	إلى أهل فيلبيُ سنة ٥٧ ب.م
الرِّسالة الرابعة والخامسة	بولس	إلى أهل قورنتس سنة ٥٧ ب.م
الرِّسالة السّادسة	بولس	إلى أهل غلاطية سنة ٥٧ ب.م

الرِّسالة السّابعة	بولس	إلى أهل رومة سنة ٥٧ ب.م
الرِّسالة الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشر	بولس	إلى أهل فيلبِّي وقولسى وأفسس وفيلمون كلها دونت بين سنة ٦١-٦٣ ب.م
رسالة إلى تلميذه تيموثاوس	بولس	سنة ٦٥ ب.م
رسالة إلى تلميذه طيطس	بولس	سنة ٦٥ ب.م
رسالة ثانية لتلميذه تيموثاوس	بولس	سنة ٦٧ ب.م

وكما هو واضح فإنّ القسم الثاني كذلك قد دُوِّنَ في النصف الثاني من القرن الأوّل بين سنة ٥١- وسنة ٦٧ ب.م.

تدوين القسم الثالث

رسالة المؤلف	السّنة
رسالة القدِّيس يعقوب أي الحواري الصغير.	يرى بعض الباحثين انها أقدم أسفار العهد الجديد تدويناً لأنّها دُوِّنت بين سنة ٣٥-٥٠ ب.م ويرى بعض الآخر أنّها دُوِّنت سنة ٥٨ ب.م
رسالتين للقديس بطرس الحواري الكبير	تمّ تدوين الأولى سنة ٦٤ ب.م والثانية ما بين سنة ٧٠ -٩٠ ب.م
رسالة للقديس يهوذا أخو يعقوب الحواري الصغير	تمّ تدوينها مابين سنة ٧٠ -٩٠ ب.م
سفر الرؤيا ورسائل القدِّيس يوحنا الحواري الكبير	قد تمّ تدوين جميع ذلك ما بين سنة ٩٠ -١٠٠ أو ما بين سنة ٦٥-٩٠ على الخلاف السّابق

وكما هو واضح فإنّ هذا القسم قد تمّ تدوينه في النصف الثاني من القرن الأوّل بعد الميلاد أيضاً.

ومن هنا صحّ القول بأنّ جميع أسفار العهد الجديد قد دُوِّنت في النِّصف الثاني من القرن الأوّل ب.م

خصائص الوحي

من خلال بحثنا في موضوع الوحي في الأديان الثلاثة يتضح لنا بأنَّ هناك العديد من الخصائص التي يتميَّز بها الوحي الاسلامي عن غيره.

١) ـ إنَّ الوحي الاسلامي بحدٍّ نفسه معجز بمعنى أنَّ معجزته من داخله إذ إنَّ نفس الوحي بالفاظه البيانية والبلاغية وتركيبته الخاصّه وسبكه المميَّز مجعز بخلاف الكتب السَّماوية الأخرى فإنَّ إعجازها كان خارجاً عنها فمثلاً كانت معجزة موسى العصا التي تتحوَّل إلى ثعبان وكذا معجزة عيسى عليه السلام كانت إحياء الموتى وشفاء الأبرص والأعمى وهذه معاجز خارجة عن ذات الوحي النّازل من عند الله وخارجة أيضاً عن ذات الكتاب المقدس الموجود بين أيدينا بينما معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله كانت من نفس الوحي فالنبيُّ صلى الله عليه وآله كان يستدل على أحقيَّة مضمون الوحي وأنَّه من الله بنفس الوحي ولكن في جهة بلاغته وسبكه العربي المميَّز.

٢) ـ إن الله تعالى اوكل أمر حفظ القرآن الكريم (الوحي الاسلامي) إلى نفسه حيث قال جل شأنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾[1].

وهذا بخلاف الكتاب المقدس (الوحي اليهودي والنصراني).

---

(١) سورة الحجر: ١٥ : ٩.

فإنّ أمر حفظه كان موكولاً إلى أتباعهما وهذا مائز مهم يتميَّز به الوحي الاسلامي عن غيره.

٣) ـ إنَّ الطابع العام الذي نراه في الكتاب المقدَّس هو أنّ كلَّ سفرٍ من أسفاره يتحدث بشكل عام من موضوع معيَّن فمثلاً سِفر التكوين يتحدث في أغلب إصحاحاته عن تكوين السماوات والارض كما وأن سِفر الخروج يتحدَّث عن خروج موسى كما مرَّ وهكذا بقية الأسفار بخلاف القرآن الكريم.

وبعبارة أوضح: إنَّ الكتاب المقدَّس كتاب شبه مبوَّب بخلاف الوحي الاسلامي فإنّه غير مبوَّبٍ أصلاً ولذا نرى بأنَّ القرآن الكريم في سورة واحدة يتعرَّض لمئات المواضيع بل في الآية الواحدة قد يتعرَّض لعشرات المواضيع وهذا هو السَّبب الذي أدَّى لارباك العلماء في مسألة تصنيف الآيات القرآنيه لأنَّهم وجدوا أنَّ الآيه الواحدة تتعرَّض لذكر العديد من المواضيع مما أوقعهم في حيرة كبيرة اضطَّرت بعضهم لذكر العديد من المناهج التصنيفية التي مّرت معنا سابقاً وأشرنا اليها.

٤) ـ إمتاز الوحي الاسلامي عن غيره في قصر المدَّة التي تمَّ فيها التدوين بخلاف العهد القديم فإن فترة تدوينه قد استمرات حوالي ١٣٠٠ عام.

وأما العهد الجديد فقد دُوّن بفترة قصيرة كانت حوالي مائة سنة، أي في القرن الأول بعد الميلاد وبعضهم قال وهو الأشهر عندهم أنّ التدوين وقع في النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد.

٥) ـ إنَّ تدوين الوحي الاسلامي قد تمَّ في زمن صاحب الرسالة التي

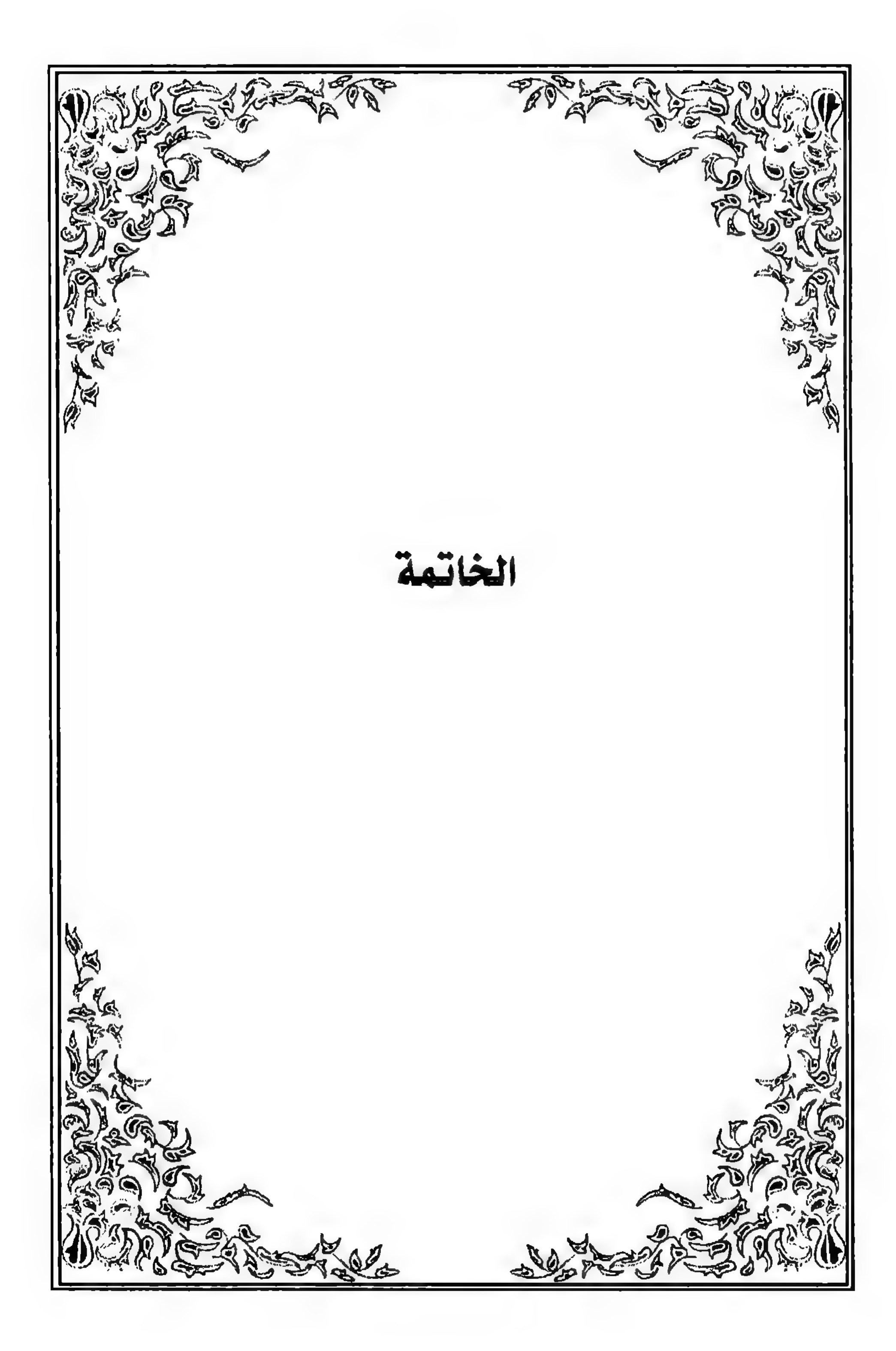
نزلت عليه و قد أثبتنا ذلك سابقاً بخلاف الوحي اليهودي والنصراني فإنَّ تدوينهما قد تمَّ في غير زمن صاحب الرِّساله أي بعد موت موسى وعيسى عليهما السلام.

٦) ـ إن الوحي الاسلامي بجميع سوره وآياته قد نزل مكتوباً على نبيِّ الرَّحمة بخلاف الوحي اليهودي فإنَّ جُزءاً كبيراً منه لم يزل مكتوباً بل إنَّ التلمود يعتبر تقليداً شفوياً لليهود وكذا الأسفار الباقية غير التَّوارة لم تنزل مكتوبة من قبل رب العزّة والجلال. وإنما كتبت بالإلهام، وكذا الوحي النصراني فإنَّ جمعيه كتب من طريق الإلهام أيضاً.

٧) ـ إنَّ الوحي الاسلامي قد استدل به جميع أتباع الدِّيانات الثلاث على صحة كتبهم المنسوبة لله تعالى، بمعنى أنَّ المسلمين قد استدلوا على صحَّة القرآن ببعض الآيات الموجودة فيه كما وأنَّ اليهود والنصارى قد استدلوا على صحَّة كتبهم ببعض الآيات القرآنية التي أشرنا إليها سابقاً، بينما المسلمون لم يستدلوا على صحَّة القرآن بالكتاب المُقدس أصلاً.

نعم المسلمون استفادوا من الكتاب المقدّس ببعض التفاصيل المتعلّقه ببعض القِصص التي وردت مجملة في الوحي الإسلامي وهذا مورد فجرٍ واعتزاز بالقرآن الكريم.

وممّا لا شك فيه أنَّ هناك العديد من الخصائص الآخرى التي يتميّز بها الوحي الاسلامي عن غيره قد أعرضنا عن ذكرها لعدم التطويل واكتفينا فقط ببعض الخصائص التي يمكن استفادها من بحثنا فقط تاركين الخصائص الأخرى الى أبحاث دراسات آخرى تذكر في محلِّها.



الخاتمة

الخاتمة

يتضح لنا من خلال بحثنا حول مسألة الوحي الّتي تشكّل الركيزة الأساسيَّة لجميع الدّيانات السَّماويَّة وبالأخص الدّيانات الثلاث الرّائجة في العالم. وهي الإسلام واليهوديَّة والنّصرانيَّة، والتي كان يدور بحثنا حولها بالخصوص، بأنّ هناك كثيراً من التطابق فيما بينها حول الوحي.

فإذا غضضنا النَّظر عن الخلاف الأساسيِّ والجوهريِّ القائم حول تحديد مفهوم الوحي بين الإسلام الذي فسّره بالإعلام الخفيِّ من جهة وبين اليهود والنَّصارى الّذين فسّروه بإعلان الله عن نفسه وذاته ـ الذي ينجسم مع الرؤيا والظهور لرّب العزّة والجلال. ولذا جوّزوا ظهوره وجهاً لوجه ورؤيته ومصارعته والتغلُّب عليه كما حدث مع يعقوب عليه السلام كما يعتقدون ـ ونظرنا إلى بقيّة الأبحاث الأخرى حول إمكان الوحي وحاجة البشر إليه نرى أنّ الطُرق والأدلّة الّتي ساقها أتباع تلك الدِّيانات حول إثبات ذلك تشترك إلى حدّ كبير فيما بينها.

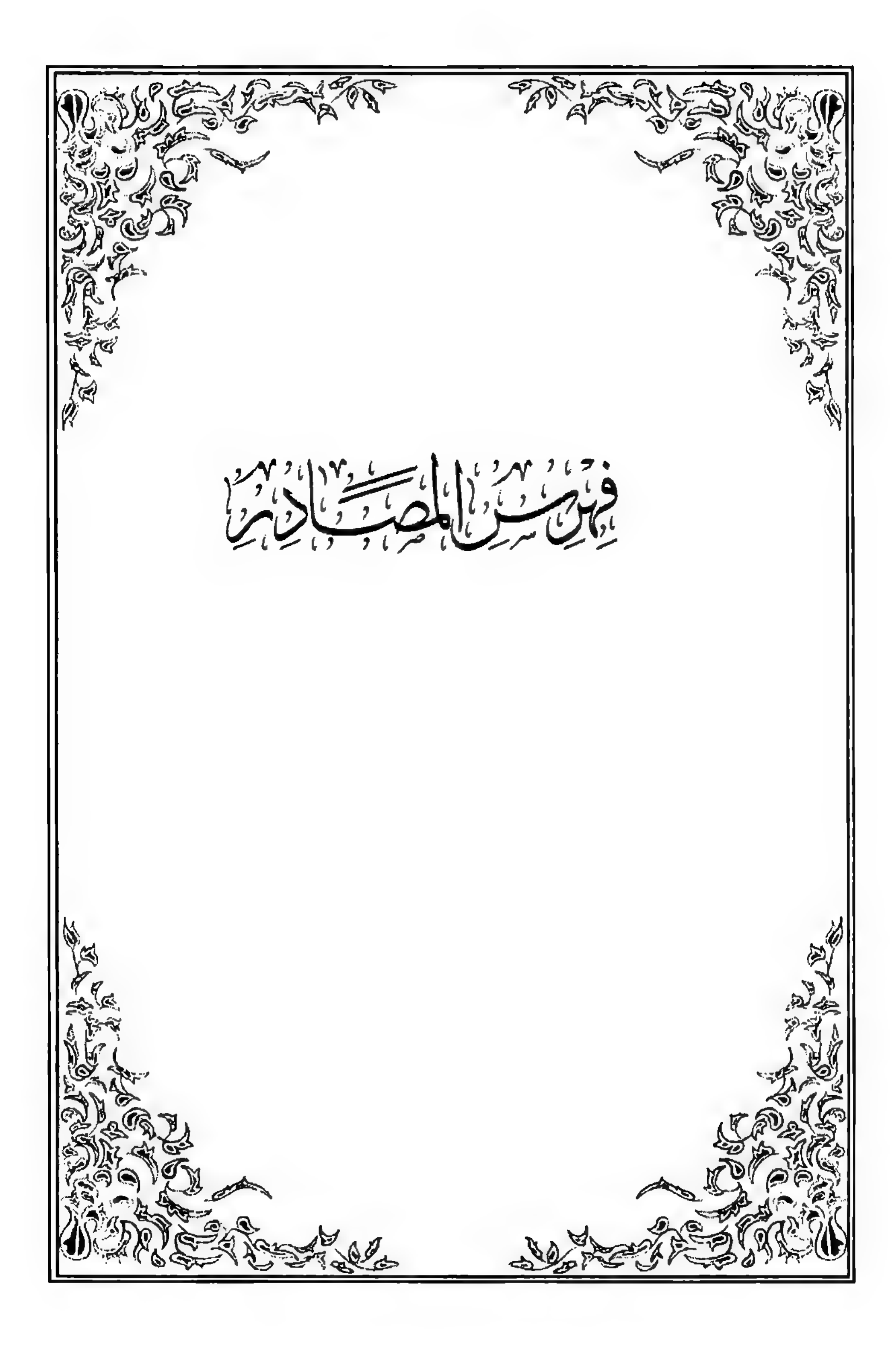
وكذا الحال لو نظرنا في الأبحاث الباقية كبحث أنواع الوحي وأقسامه فإننا نجد بأنّ هناك العديد من الأنواع والأقسام مشتركة بين الدِّيانات الثلاث فمثلاً نوعي الوحي الإلهامي والرّسالي يشترك فيهما الجميع على أقلّ تقدير بل إنّ جميع أقسام الوحي الرِّسالي بجميع صورتها استطعنا أن نثبت أنّها مشتركة بين الأديان الثلاثة المبحوث عنها، عدا الصورة الأخيرة من القسم الثالث من الوحي الرِّسالي، المعبّر عنها بإلقاء الملاك في قلب النَّبيّ وروعه من دون أن يراه فإنّ فيها ما مرّ سابقاً، أو نظرنا إلى بحث

عصمة الوحي فإنَّ كثيراً من الأدلّة الّتي ذكرت كذلك تشترك فيها جميع الأديان الثلاثة.

وعليه فالنتيجة الّتي توصلتُ إليها من خلال بحثي هذا تخلص إلى القول بأنَّ الأديان الثلاثة تشترك حول مسألة الوحي بنسبة ٩٠ بالمائة إذا لم نقل أكثر.

ولكن لا يخفى على المتأمّل أنّ النُقطة الأساسيَّة والجوهريَّة (أي تحديد مفهوم الوحي) الّتي وقع الخلاف فيها بين تلك الأديان يترتب عليها الكثير من المسائل العقائديَّة الّتي تشكّل نقاط افتراق جوهريَّة وأساسيَّة بين تلك الديانات بحيث تعطي لكلٍّ ديانة طابعها الخاص بها الّتي تتميَّز فيه عن غيرها فالديانتان اليهوديَّة والمسيحيَّة تجوِّزان الرؤية الجسمانيَّة على الله تعالى بخلاف الدِّيانة الإسلاميَّة إجمالاً فإنّها لا تجوز ذلك كما وأنّ تفسير الوحي بالإعلان قد أضفى طابعاً جديداً في الدّيانة المسيحيَّة ليس موجوداً في كلا الدِّيانتين اليهوديَّة والإسلاميَّة من خلال إعطاء الوحي صورة بشريَّة لأنّه وصل إلى كماله النّهائي والأخير بتجسُّده بالمسيح عليه السلام بحيث أصبح الوحي موجوداً بين النَّاس وبشكل مباشر من دون توسيط ملك أو نبوّة لأنّ الله أصبح موجوداً بين البشر بوجود ابنه المسيح الذي يشكل جزءاً من التركيبة الثلاثيّة لله تعالى، من الأب والابن والرُّوح القدس، هذه التركيبة الّتي كانت مورداً لنقض شديد من قبل المسلمين، وأصبحت مائزاً عَقَدِيَّاً مهما يميّز الدّيانة المسيحيَّة عن غيرها.

هذا خلاصة ما توصلنا إليه بعون ربّ العزّة والجلال سائلين المولى عفوه ورحمته ومغفرته والحمد لله ربّ العالمين.



فهرس المصادر

فهرس المصادر

بعد القرآن الكريم والكتاب المقدّس بكلا عهديه القديم والجديد

حرف الألف

١- أبو الخير: عبد المسيح

الإعلان الإلهي. طبعة المصريين القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٢- أبو جودة: الأب صلاح اليسوعي.

مدخل إلى حقائق الإيمان المسيحي طبعة دار المشرق بيروت ـ لبنان طبعة أولى سنة ٢٠٠٤م الموزّع المكتبة الشرقية بيروت لبنان الجسر الواطي ـ سنّ الفيل.

٣- أبو جودة: الأب صلاح اليسوعي.

موسوعة المعرفة المسيحيّة، درا المشرق بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠م.

٤- ابن العربي: محمّد بن عبد الله

أحكام القرآن، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥- ابن حنبل: أحمد

مسند الإمام أحمد بن حنبل: وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ دار صادر ـ بيروت لبنان طبعة ٦ مجلّدات.

٦- ابن منظور: جمال الدِّين

لسان العرب: مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٧- الأندلسي: محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي

تفسير البحر المحيط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨- أينس: جيمس

علم اللاهوت النظاميّ:

Wwwansweri/my-islam.ory/arabigbooks/theloyy/\chapter3 htmi-57 k.

حرف الباء

٩- البحراني: السيّد هاشم

مدينة المعاجز: تحقيق برئاسة عبد الله الطهراني، طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية ـ إيران ـ قم الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

١٠- البخاري: محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم.

صحيح البخاري ـ عالم الكتب بيروت تصحيح وتعليق ونشر إدارة الطباعة المنيريَّة لصاحبها ومديرها محمّد مير الدِّمشقي.

١١- بن قتيبة: عبد الله بن مسلم

تفسير غريب القرآن دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

حرف التاء

١٢- توفيقي: حسين

دروس في تاريخ الأديان طبعة المركز العالمي للدراسات الإسلامية قم المقدسة الطبعة الثانية. ذي الحجّة ١٤٢٥هـ

حرف الجيم

١٣- جديد: اسكندر

عصمة التوراة والإنجيل:

http://www.geocities.com/capitolhill/seate/4559/torahinjil.htm

١٤- الجُرجاني: علي بن محمّد

شرح المواقف للقاضي عَضد الدين عبد الرحمان الأيجي منشورات الشريف

الرضي ـ مطبعة السّعادة بجوار محافظة مصر. الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.

١٥- الجزري: علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الملقّب بعزّ الدين.
الكامل في التاريخ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٦- الجوزي: جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمّد القرشي البغدادي.
زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة عام ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

حرف الحاء

١٧- الحر العاملي: محمّد بن الحسن
وسائل الشيعة تحقيق مؤسسة آل البيت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م طبعة ٣٠ مجلّداً.

١٨- حسنين: الدكتور فؤاد علي
التوراة الهيروغليفيّة ـ طبعة دار الكتاب العربي القاهرة مصر. الطبعة الأولى.

١٩- حسين: الدكتور عماد علي بعد السّميع
الإسلام واليهوديّة دراسة مقارنة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٢٠- الحسيني: أحمد بن محمّد بن المهدي ابن عجيبة المتوفى سنة ١٢٢٤هـ
البحر المديد في تفسر القرآن المجيد، تحقيق عمر أحمد الرّاوي منشورات محمّد علي بيضون لنشر كتب السّنة والجماعة دار الكتب العلميّة بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢١- الحسيني العاملي: محمّد جواد
مفتاح الكرامة. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

٢٢- الحكيم: محمّد باقر
علوم القرآن مجمع الفكر الاسلامي الطبعة الرابعة ـ جمادي الثانية ١٤١٩هـ

٢٣- حموي: الأب صبحي السيوعي
معجم الإيمان المسيحي. دار المشرق ش. م. م. توزيع المكتبة الشرقية بيروت

الحمراء، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م.

حرف الخاء

٢٤- خليفة: عبُّود

ترجمة المجمع المسكوني الفاتياكني الثاني الوثقائق المجمعية الطبعة الثانية بيروت لبنان، سنة ١٩٨٤م.

٢٥- الخوئي: أبو القاسم

البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

حرف الدّال

٢٦- الدّارمي: عبد الله بن بهرام

سنن الدارمي. دار الفكر بيروت لبنان.

٢٧- ديَورانت: وِل

قصّة الحضارة دار الفكر بيروت ـ لبنان ـ دائرة المعارف البريطانية طبعة جامعة الدُّول العربية بالواسطة، طبعة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

حرف الرّاء

٢٨- رضوان: عُمر بن إبراهيم

آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره دراسة ونقد. درا طيبة للنشر والتوزيع الرياض شارع عسير الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٢٩- الرّيشهري: محمّد

فلسفة الوحي والنبوة مؤسسة دار الحديث الثقافية للطباعة والتوزيع والنشر قم المقدسة عام ١٣٧٥ هجري شمسي.

حرف الزاء

٣٠- الزرقاني: محمّد عبد العظيم

مناهل العرفان في علوم القرآن، تصحيح الشيخ أمِين سليم الكردي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت لبنان الطبعة الثالثة.

حرف السين

٣١- السبحاني: جعفر

الإلهيّات بقلم الشيخ حسن محمّد مكي العاملي ـ المركز العالمي للدراسات الاسلامية: الطبعة الثالثة سنة الطبع ١٤١٢هـ

٣٢- السبحاني: جعفر

سيد المرسلين. مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية.

٣٣- السبحاني: جعفر

مفاهيم القرآن، نشر مؤسسة الصادق عليه السلام. الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ

٣٤- السجستاني: عبد الله بن سليمان بن الأشعث الحنبلي المعروف بابن أبي داود ٢٣٠هـ ٣١٦هـ

كتاب المصاحف تحقيق د: محب الدين عبد السبحان واعظ ، دار البشائر الإسلامية الطبعة الثانية ١٤٢٣- ٢٠٠٢م.

٣٥- السَّقا: الدكتور أحمد حجازي

نقد التوراة ـ أسفار موسى الخمسة ـ السامريّة ـ العبرانية ـ اليونانية ـ الناشر مكتبة الكلّيات الأزهرية بمصر ومطبعة مورافتلي عام ١٩٧٦م.

٣٦- سيداروس: الأب فاضل

بين وحي الله وإيمان الإنسان دراسات لاهوتية. دار المشرق بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ١٩٩٦م. التوزيع المكتبة الشرقية بيروت شارع الحمراء سن الفيل.

٣٧- السيوطي: جلال الدّين

الإتقان في علوم القرآن طبعة دار ابن كثير دمشق بيروت تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البُغا الطبعة الأولى. سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٨- السيوطي: جلال الدّين

الدُّر المنثور: منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر

تفسير الجلالين: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

حرف الشين

٣٩- الشبستري: عبد الحسين
أعلام القرآن. دفتر تبليغات إسلامي قم الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ

٤٠- شبلي: الدكتور أحمد
موسوعة الأديان المقارنة ، الديانة المسيحية، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الثانية عشر ١٩٩٧م.

٤١- الشريف المرتضى علم الهدى: علي بن الحسين الموسوي البغدادي.
الذخيرة في علم الكلام. مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة طبعة سنة ١٤١١هـ

٤٢- شوقي: أحمد وغيره
نشأة العالم والبشريّة قراءة معاصرة لسفر التكوين – دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

حرف الصاد

٤٣- طاهر: أحمد
الأناجيل دراسة مقارنة، دار المعارف: ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج. م. ٤.

٤٤- الطباطبائي: محمّد حسين
الميزان في تفسير القرآن. طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان طبعة سنة ١٩٩٧م.

٤٥- الطَبرسي: الفضل بن الحسن
مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات والنشر بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م.

٤٦- الطبري: محمّد بن جرير
تاريخ الطبري منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان الطبعة

الأولى المصحّحة ١٩٩٨م.

حرف العين

٤٧- عباس: الدكتور عباس

قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية. الطبعة الأولى مصر.

٤٨- فَنيس عبد النور

شبهات وهميّة حول الكتاب المقدس الموقع على الانترنيت

www.hswering-isl am-org/arabic/books/claims/ihtro4.htm1-2Gk

٤٩- عبده: محمّد

رسالة التوحيد. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٥٠- العَبْسي: عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي المتوفي ٢٣٥هـ المصنّف في الأحاديث والآثار . دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر: عام: ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٥١- عنتر: الدكتور حسين

وحي الله، طبعة القاهرة، الطبعة الأولى.

٥٢- العياشي: محمّد بن مسعود السمرقندي

تفسير العياشي: المكتبة العلميّة الإسلامية ـ طهران سوق الشيرازي.

حرف الغين

٥٣- الغزالي: أبو حامد المتوفى ٥٠٥هـ ١١١١م.

المنقذ من الضلال، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.

حرف القاف

٥٤- القسطلاني: شهاب الدّين أحمد

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٥- القَشري النيسابوري: مسلم بن الحجاج

صحيح مسلم: مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٨- القمّي: علي بن إبراهيم
تفسير القمي: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم إيران الطبعة الثالثة شهر صفر عام ١٤٠٤هـ..

٥٩- القمّي: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق.
التوحيد للصدوق: الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

٦٠- القمّي: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق
علل الشرائع، منشورات مكتبة الداوري، قم إيران، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها النجف ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.

٦١- القمّي: محمّد بن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدِّين المعروف بالميرزا المشهدي.
تفسير كنز الدقائق مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرّفة جمادى الأولى عام ١٤١١هـ

حرف الكاف

٦٢- كامل: الدكتور وهيب جورجي
مقدّمات العهد القديم طبعة دار يوسف كمال القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٦٣- كليمان: روبير
إيماننا بين العقيدة والعمل. دار المشرق بيروت ـ لبنان ـ طبعة أولى ٢٠٠٥م. توزيع المكتبة الشرقية بيروت لبنان. سنّ الفيل.

٦٤- الكليني: محمّد بن يعقوب
أصول الكافي ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت لبنان طبعة سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

حرف الميم

٦٥- المجلسي: محمّد باقر
بحار الأنوار: دار إحياء التراث ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت لبنان، الطبعة

الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦٦- المحليّ: جلال الدين محمّد بن أحمد بن محمّد

تفسير الجلالين: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة التاسعة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦٧- المراغي: أحمد مصطفى

تفسير المراغي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ٣٠ مجلداً.

٦٨- مرتضى: جعفر العاملي

الصحيح من سيرة النبي الأعظم طبعة مؤسسة الحديث العلمية الثقافية قم سنة ١٤٢٦هـ

٦٩- المسعودي: علي بن الحُسين بن علي

مروج الذهب مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٧٠- مطهّري: مرتضى

سلسلة أصول الدين ـ النبوة ـ مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر قم المقدسة. الطبعة الأولى رمضان ١٤٢٠هـ

٧١- المعَافِري: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِميري المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨هـ

السيرة النبويّة لإبن هشام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٧٢- معرفة: محمّد هادي

التمهيد في علوم القرآن مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٧٣- معرفة: محمّد هادي

صيانة القرآن من التحريف مطبعة ياران الطبعة الأولى من مؤسسة التمهيد ـ سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٤- مبيدي: محمّد فاكر

آيات أحكام تطبيقي. مركز جهان علوم إسلامي الطبعة الأولى بالفارسية عام ١٣٨٣ هجري شمسي.

٧٥- ميشال: توماس اليسوعي

مدخل إلى العقيدة المسيحيّة. دار المشرق بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية ١٩٩٥م ـ التوزيع المكتبة الشرقية بيروت لبنان. سنّ الفيل.

٧٦- مجموعة من الباحثين

موسوعة الأديان في العالم: المسيحية الطبعة الأصلية سنة ٢٠٠٠م Eaitoqreps.

حرف النون

٧٧- نجّار: نهى

موسوعة الأديان السماوية والوضعية. دار الفكر اللبناني. بيروت لبنان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٧٨- نخبة من الأساتذة اللاهوتيين

قاموس الكتاب المقدس: صدر عن درا الثقافة القاهرة بالاتفاق مع رابطة الانجليين بالشرق الأوسط ـ مطبعة الجيل للطباعة الطبعة التاسعة ١٩٩٤ – ٢٠٠٠م.

حرف الهاء

٧٩- الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدّين

كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال مؤسسة الرسالة بيروت شارع سوريا بناية صمدي وصالحة للطبعة والتوزيع والنشر طبعة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٨٠- الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر المتوفى ٨٠٧هـ

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

حرف الواو

٨١- الواحدي: علي بن أحمد النيسابوري

أسباب نزول القرآن منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلميّة بيروت لبنان الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م – ١٤٢٤هـ

٨٢- الواحدي: علي بن أحمد النيسابوري

الوسيط في تفسير القرآن المجيد دار الكتب العلميّة بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٨٣- وجدي: محمّد فريد

دائرة معارف القرن العشرين دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١م.

٨٤- وافّى: علي عبد الواحد

الأسفار المقدّسة في الأديان السابقة للإسلام طبعة مصر يونيو ١٩٩٦م.

حرف الياء

٨٥- اليزدي: محمّد تقي مصباح

دروس في العقيدة الإسلامية. منظّمة الإعلام الإسلامي ـ إيران ـ قم الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٨٦- اليزدي: محمّد تقي مصباح

معارف القرآن تعريب: محمّد عبد المنعم الخاقاني، الناشر ذوي القربى، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ مركز التوزيع قم باساج قدس.

فهارس المواقع التي استفيد منها على الانترنيت من دون وجود اسم

١- وحي الكتاب المقدس.

http://www.baytallah.net/baytallah/Godword.html

٢- موقع نور.

http://www.alhor.com/salvation/2 truth/2 truth7. htm-37 k

٣- أدلة وحي الكتاب المقدّس

الموقع: http://www.thearabicchristanministry

الفهرس التفصيلي

إنّ أيّ إنسان منتسب لأيّ دين من الأديان السّماويّة الثلاثة يدرك بشكل واضح مدى أهميّة هذا البحث، وذلك لأنّ الوحي يشكّل اللّبنة الأساس، والنقطة المركزيّة الأولى الّتي تبنى عليها أُسس هذه الدّيانات السّماويّة ومعارفها، إذ من دون التّسليم بظاهرة الوحي وعقيدة الوحي الّتي هي من أحد الطُّرق الثلاثة للمعرفة المعبّر عنها في كتب العلماء.

١- بطريق الحسّ والتّجربة.

٢- طريق التعقّل والإدراك النّظري.

٣- طريق الإلهام والوحي الذي هو فوق الحسّ والتّعقّل.

لا يمكننا فعلَ شيء، وذلك لأنّ جميع المعارف والعقائد والأحكام سواء كانت مرتبطة بالحياة العباديّة للإنسان أم الاجتماعيّة والسياسيّة أم الأخلاقيّة والسلوكيّة أم غيرها، ننسبها جميعها إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي، ولذا نرى بأنّ جميع الأنبياء أوّل ما يحاولون إثباته والتأكيد عليه هو أنّ هذا الذي يقولونه من شريعة ليس من عند أنفسهم، وإنّما هو موحى إليهم من عند ربّهم خالق الكون والمنعم عليهم، وأنّهم جاؤوا بهدف هداية النّاس إلى هذا الخالق والمُنعم، وأنّ هذه الوسائل الّتي يحملونها هي من عند الله وليس لهم أيُّ علاقة بها سوى إبلاغها للنّاس والعباد حيث قال جلّ شأنه في حق نبيّه الأكرم محمد ﷺ:

وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى　　　إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية ماا

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - hajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com